الهاوية

وهى رواية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول

تمثلها شركة ترقيـة التمثيل العربى (آل عكاشة)

تطلب مجاناً مجموعة

مراثى المرحوم محمد بك تيمور

من العائلة رأساً

وهى مجموعة ما قيل من المراثى فى حفلتى التأبين وما نشرته الصحف

تحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

المسرح المصرى

وهو الجزء الثالث من المؤلفات

ويحتوى على الروايات الآتية

العصفور فى القفص

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول

مثلها جوق الأستاذ رشدى

العشرة الطيبة

وهى رواية كوميدى أوبريت ذات أربعة فصول

مثلها جوق نجيب افندى الريحانى

تحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

حياتنا التمثيلية

الجزء الثانى من مؤلفات الفقيد

يحتوى هذا الجزء على كل ما كتبه الفقيد عن التمثيل مثل منولوجاته التمثيلية ومقالاته الانتقادية ومحاكمته للمؤلفين الروائيين الخ مضافاً الى ذلك رواية

عبد الستار افندى

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول

مثلها الممثل المشهور عزيز افندى عيد

بيـــان

عن

الجزء الثانى والثالث من مؤلفات

فقيد الأدب والمسرح

المرحوم

محمد تيمور

فهرســة الصور

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الفهرســة

فهرسة الكتاب

انتهى كتاب وميض الروح وهو الجزء الأول من مؤلفات
المرحوم محمد بك تيمور ويليه الجزء الثانى وعنوانه :

حياتنا التمثيلية

— لقد عدت يا صديقى . لعلك كنت سعيد الحظ

— لم أوفق كل التوفيق ف . . . . .

— لا تبدى مسألتك فانها مسألة عويصة . الى اللقاء

وهمّ بمغادرته فاستوقفه حسن وقال له .

— ما هذا الاسراع ؟

— سنبتدئ الليلة فى منتصف الساعة الثامنة اطول الرواية ونحن الآن فى الساعة السابعة فأمامى نصف ساعة تكفى لصبغ وجهى وارتداء ملابسى التمثيلية . الى اللقاء يا صديقى . أرجو أن ألقاك غداً عند منتصف الليل فى قهوة بلزار وأرجو أن تكون فى المرة القادمة أسعد حظاً وأكثر توفيقاً

وغادره ودخل دار التمثيل فوقف حسن هنيهة ثم ذهب الى شباك التذاكر واشترى تذكرة وقد ألهاه ما رآه فى ذلك اليوم عن تناول طعام العشاء ؟

(ملحوظة) لم يكتب المؤلف من مذكراته غير ما نشرناه هنا

تم الكتاب

— عن الفلسفة ! هذا كثير : وهل يروق لكما أن تتحادثا عن الفلسفة وانتما فى هذه الدار . وهل انتقل السربون الى دار مدام هيمرى حتى تتناقشان فى آراء فلسفية تصدع الرأس !

فضحك الجميع ثم مكثوا قليلا يتحادثون ويضحكون وآن وقت الانصراف فاستأذن المدعوون وخرجوا وتفرقوا عند رأس الشارع وسار حسن وصديقه البير فى شارع فوجيرار فقال ألبير .

— لقـد لاحظت كل شيء يا صديقى ولا مرية بعد اليوم فى غرامك

فضحك حسن وقال

— ربما كان الأمر كذلك

ووصلا إلى تياترو الأديون فصعد حسن على سلمه وعرج على مكتبته واشترى ديوان المعرى فقال له صديقه

— لمن تشترى هذا الكتاب ؟

— لنفسى

فابتسم البير وقال

—أو لنفسك الثانية

واستأذن من صديقه وغادره أمام تلك الدار التمثيلية فلما خلى حسن بنفسه وقف هنيهة يفكر ثم قال (يالله لم أهتد بعد لسر هذه الفتاة بل لسر تلك الاسرة الغريبة) و إذا به يسمع صديقه الممثل درفيني يقول له

أهتد لشيء فأنا من جماعة المتشائمين الذين لا يرون فى الحياة إلا شقاء يتبعه شقاء .

— لعلك قرأت كتب شوبنهور .

— لم أقرأ منها حرفا واحداً . وإن كانت آراؤه كما تقول فأنا أول من يسير على آثاره

— أو على آثار المعرى .

— ومن هو المعرى ؟

— فيلسوف العرب وإنى أذكر له بيتاً من الشعر يتضمن لباب فلسفته ألا وهو .

(هذا جناه أبى علىَّ　　وما جنيت على أحد)

وترجم لها البيت بعد أن تلاه بالعربية فسرها معناه وقالت له وهى تبتسم .

— ليتنى كنت أعرف العربية لأقرأ كتاب هذا الفيلسوف .

— عندى نسخة إفرنسية مترجمة عن العربيـة سأحضرها لك لتقرأينها .

فشكرته وتحادثا قليلا وإذا بمدام لوشا قد قتربت منهما وهى تقول .

— ماذا تفعلان هنا ؟

فاجاب حسن

— نتحادث على الفلسفة

— نعم أنت . أراك تنفر منى نفور الفأر من القط فما الذى يخيفك منى ؟

— أؤكد لك يا مدموازيل . . . .

— لا أحب كثرة الكلام ولا أريد أن تكون كصديقتنا جيزيل فنوغرافاً لا ينقطع عن الحديث . إن أردت أن تبرهن لى على صداقتك أو شئت الأفصاح عن حبك . . . (وابتسمت بعد أن تناولت يده وهزتها فى يدها) فاحضر غداً فى الساعة الرابعة بجوار نافورة ميديسيس فى حديقة اللكسمبورج . سنكون جميعاً هناك وربما حادثتك فى شئون شتى تهمك . أتعدنى بالحضور .

ففكر حسن هنيهة وقال لنفسه (وما ضرنى لو ذهبت لأرى مرجريت) ثم قال لمارى .

— سأكون هناك فى الميعاد يا مدموازيل .

ونادت مدام هيمرى ابنتها مارى فلبت نداءها وغادرت حسناً فى مكانه وقد سره ذهابها . فلما خلا بنفسه اقترب من مدموازيل مرجريت وقال :

— الطقس جميل اليوم يا مدموازيل ،

— أجل . ولكنى أحب الغيام كثيراً وأرى بين نفسى وبين الظلام اتصالا كبيراً .

— يظهر لى أن المدموازيل حزينة .

— ربما كان الامر كذلك . ولقد بحثت كثيراً عن سر حزنى فلم

تتسيطر فيه على قلوب الرجال تفعل بها ما تشاء ولكنه ما زال بين النساء من يدافعن عن شرفهن ويجاهدن فى سبيل ذلك جهاد المستميت فهن والحمد لله أكثر من الزهور قوة ولهن من سبل الدفاع ما يجعلهن فى مأمن من غدر الرجال .

ثم سكتت المدموازيل مرجريت وهى تنظر المسيو بفلوفسكى وتبسمت بعد أن انتقمت لنفسها من هذا الرجل بهذا الحديث الطويل وفهم حسن معنى حديثها وعرف السر الذى دفعها لذكره فسره ذلك وأثلج صدره واستطاره الفرح فقال .

— لك الله يا مدموازيل . لقد نطقت بفصل الخطاب .

أما مدام لوشا ومدام هيمرى فقد وقع عليهما هذا الحديث وقوع الصاعقة أما المدموازيل مارى فلم تأبه لما قالته أختها بل قامت من مكانها وغادرت المائدة وقام الجماعة فى أثرها وتفرقوا فى أنحاء الصالون وود حسن أن يقترب من مرجريت ليحادثها ولكنه وجد المدموازيل مارى قد حالت بينه وبين حبيبته ثم قادته من يده الى ركن من أركان الغرفة وقالت له مازحة .

— يا لك من شيطان ماكر .

— أنت قاسية فى حكمك يا سيدتى .

— ربما كان الامر كذلك ولكنك أشد منى قسوة .

— أنا ؟

فسكنت ثورته وقرت فورته وحادث جاره ماكس فى شؤون شتى لينسى ما حدث واذا بمدام لوشا قد وضعت يدها على تمثال صغير لالهـة الجمال (فينوس) وقالت :

— ما أجمل هذا التمثال .

فضحك بفلوفسكى وقال .

— بمثل هذا الجمال تذوق المرأة لذة الحياة .

فنظرت اليه مرجريت نظرة غريبة وقالت .

— وكيف ؟

فأجابها البولندى .

— تتسيطر على قلوب الرجال تفعل بها ما تشاء .

فضحكت مارى وقالت .

— لقد أصبت فيما قلت يا سيدى .

ولكن مرجريت قطعت على أختها الحديث وقالت .

— ليسمح لى المسيو بفلوفسكى بأن أقول أنه أخطأ فيما قال أو إنه نسى شيئاً هاماً بدونه لا تقوم للجمال قائمة الا وهو جمال الروح . فالزهرة الجميلة التى تراها فى البستان تظل يانعة تخطف الابصار اذا لم تمسها يد الانسان بسوء أما إذا قطعتها تلك اليـد فانها تذبل وتموت بعد أن يتلاشى جمالها وذلك شأن المرأة أيضاً فانها تعيش جميلة لعفتها وطهارتها فاذا دنس الرجل طهارتها مات جمالها واندرست محاسنها وتحولت من حالها الاول الذى تتسيطر فيه على قلب رجل واحد الى الحال الثانى الذى

— ألم تبق فى جعبة التصوير صورة أخرى ؟

فأجاب البير.

— بل صورتان يا مدموازيل .

فقالت مدام لوشا .

— فليكونا من نصيب المسيو حسن .

وقالت مدام هيمرى .

— ومن يا ترى يتكرم منكم بالتصوير .

فقال كرينسكى : (أنا) وقال بفلوفسكى (بل أنا) وصاح ماكس (أنا . أنا) وصح الاقتراع وكان التصوير من نصيب ماكس فجلسوا جميعاً فى الشرفة مرة أخرى وجلس معهم حسن وصورهم ماكس صورتين ثم دخلوا الصالون ليتناولوا الشاى فلما جلسوا حول المائدة . رأى حسن البولاندى بفلوفسكى يتهافت على الجلوس بجوار مارجريت فآلمه ذلك واستهال الامر واسوء حظه وجد البولاندى قد فاز بأمنيته وجلس بجوار مرجريت . فاضطرم صدره وتنظت كبده وقال لنفسه (ماهذه الجرأة أيقبلها بالأمس ويجلس بجانبها اليوم . ما الذى يريده هذا الشيطان من هـذا الملاك) وأديرت كؤوس الشاى والحلوى فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ورأى حسن مزاحمه البولندى يسر شيئاً لمرجريت جزعت له الفتاة واربد وجهها الجميل وأدارت وجهها عنه اشمئزازاً وأنفة فعلم حسن أن البولاندى خاطبها فى شىء مس كرامتهـا فغاظه ذلك وأسخطه وكاد يزفر من الغضب ولكنه كتم غيظه وخفف من حدته

وتردد حسن فى دق الجرس فقال له البير (ما هذا الجمود أيها الصديق) ودق الجرس مرتين وانتظر قليلا وإذا بالباب قد انفتح وظهرت وراءه الصغيرة أيفون فلما رأتهما صفقت بيديها .

— لقد صدق ظنى يا أماه . هذا هو المسيو حسن والمسيو البير والمدام فتوغرافيه معهما . سيصورنا اليوم فما أسعد حظنا .

ودخلا معها الصالون وصافحا مدام هيمرى والمدموازيل مارى ومرجريت ومدام لوشا ومدام ماريون وإبنتها جيزيل ثم التفتا للرجال وصافحا ماكس وكرينسكى وبفلوفسكى وردسيسكى وكانوا قد قدموا للتصوير وجلس كل فى مكانه وقال بفلوفسكى .

— أخشى يا مسيو حسن أن يمر الوقت دون أن نشعر .

ألا يحسن بنا أن نبادر للتصوير ؟

فهب ماكس من مكانه وقال .

— وهذا رأيي أيضاً .

فقال حسن .

— هيا بنا أيها السادة الى الشرفة .

وقاموا جميعاً وأخذوا مكانهم فى الشرفة وصورهم حسن صور متعددة ولما انتهى من عمله قالت مدام ماريون .

— لقد صورنا المسيو حسن ولكنه لم يصور نفسه معنا فيا لسوء الحظ .

فقالت مارى :

الصفات الأفرنسية . ولكني لم أقل غير الصدق .

أتذكر يا صاحبي تأنق لباسك وتلك الرائحة الزكية التي تنبعث منك ؟أ كبر ظني أنك اليوم على موعد من فتاة . قل الحق يا صديقي . أعاملة هي أم ممثلة أم امرأة متزوجة ؟أأفرنسية هي أم من طالبات العلم الأجنبيات ؟

— لقد خاب ظنك ياصديقي . ألا أراك هذه الليلة في قهوة بلزار ؟

— تريد أن تغير مجرى الحديث . فليكن ماتريد. كلا ياصديقي ليس في وسعي أن أراك الليلة . وان شئت قابلتك غداً عند منتصف الليل .

وصافح صديقه المصري واتجه نحو باب الأديون ثم غاب عن نظر حسن . فقال حسن لنفسه (شاب زكي الفؤاد طيب الاخلاق . ما أسعدني بمعرفته) ثم غادر دار الأديون ودخل حديقة اللكسومبرج ومشى في دروبها وهو يفكر وما زال يطوف طرقاتها حتى لاقى صديقه البير ديباس فصافحه وتحادث معه قليلا ثم نظر في ساعته وقال (هيا بنا) وسارا في شارع فوجيرار ثم عرجا على شارع رين قاصدين دار مدام هيمري رقم ١٤٤ فلما وصلا أمامها قال البير

— لقد وصلنا يا صديقي . أرجو أن تكون هذه المرة أكثر ثباتا وجلدا

فابتسم حسن وقال

— فلنصعد أيها الصديق وعلى الله الاتكال

وصعدا السلم حتى وصلا الى الطابق الرابع ووقفا أمام الباب قليلا

والكتب الادبية والتمثيل . أما الآن فقد رأى أن يضيف اليهما قسما آخر يخص مرجريت تلك الفتاة التى دلهته واختبلته من أول نظرة ولقد ساءل نفسه مراراً لماذا يركن الى هذه الفتاة وينيط بها ثقته دون أن يختبرها . ألم ير فى أمها واختها الكبرى بل وفى تلك المرأة التى كانت معهم (مدام لوشا) ما ينفره عن تلك الاسرة ؟ ولكن . . .

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

وما اختاره مضنى به وله عقل

ظل يقلب صفحات الكتب وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت يمنة فرأى المسيو درفنيني الممثل بدار الأديون يبتسم له ويقول :

— ماذا تفعل فى تلك الساعة يا صاحبى ؟

— ألقى نظرة على هذه الكتب .

وصافحه مصافحة الصديق للصديق وكان قد عرفه فى قهوة بلزار فى أحد الليالى فصادقه وأحبه ومحضه مودته وجمعهما حبهما لفن التمثيل ، ووجد حسن فى صديقه الممثل رجلا سليم الطويه طيب السريرة فكان كلما رآه ود أن لا يفارقه. ثم قال له الممثل .

— ما أجملك اليوم يا حسن . ما هذا التأنق فى اللباس وما هذه الرائحة الزكية التى تنعش القلب . آه ومعك فتوغرافية أيضاً .ما شاء الله ما شاء الله .

— أتمزح أم تقول صدقاً ؟

— لا أنكر إنى أحب المزاح كثيراً وما المزاح إلا صفة من

(ولكنها أزاحت رأسها عن فمه فوقعت القبلة على شعرها . معذورة أنت يا مرجريت . معذورة أنت يا ملاكى الطاهر) ثم غادر الكلية وسار فى طريقه وقال بعد أن نظر فى ساعته (أمامى أربع ساعات ، ما أطول النهار اليوم) ثم عرج على حانوت تباع فيه زجاجات الروائح الزكية واشترى منه زجاجة (فيوليت) ليعطر بها جسده وملابسه ثم ذهب الى حلاق فى شارع سان ميشيل قص له شعره وحلق له لحيته وكانت قد نبتت قليلا واتبع فى ذلك نصيحة صديقه ألبير ديباس ثم رجع الى داره ودخل فى غرفته وأغلق الباب بالمفتاح وخلع ملابسه بعد أن بحث فى خزانته عن أجمل بدلة يمتلكها وارتداها وهو يبتسم ثم عطر وجهه ومنديله وجلس على كرسيه بقرب النافذة ينتظر قدوم الخادمة لتدعوه لتناول طعام الغداء . ونادته الخادمة بعد قليل وتناول غداءه مع رفقائه النزلاء ثم رجع الى غرفته وجلس قليلا على كرسيه ولكنه هب من مكانه ووقف أمام المرآة وأصلح رباط رقبته وأخرج ذيل منديله الحريرى من جيبه لتراه الناس ثم نظر فى ساعته وقال (الساعة الثانية . أمامى ساعتان فكيف أقضيهما) وخرج من غرفته وحادث صديقه البير ديباس فى التليفون واتفق معه على أن يقابله فى حديقة اللكسمبورج فى الساعة الرابعة وغادر النزل بعد أن حمل آلة الفوتوغرافية قاصداً تياتر والاديون وكان من عادته أن يطوف حوله مقلباً صفحات الكتب المعروضة خارج هذه الدار التمثيلية وكان يرى فى ذلك لذة كبرى لا تعادلها غير لذة اهتمامه بشأن التمثيل فى باريس . وكان قد قسم وقته ثلاثة أقسام : الدرس ،

هو وهى

— ٣ —

أفاق من نومه صبيحة يوم الثلاثاء وأصلح من شأنه وارتدى ملابسه وتأبط جعبة كراساته وخرج من المنزل بعد أن تناول فنجاناً من الشاى وقليلا من الحلوى وأخذ سمته الى الكلية وكانت قريبة من داره فسار فى شارع السربون وخيال مرغريت أمامه لا يفارقه لحظة واحدة بيد أنه لم يكن تعساً ولا حزينا بعد أن عالل نفسه بقرب اللقاء فكان يقول لنفسه (سأراها اليوم وسأحادثها وربما وقفت على سر هذه النفس الحزينة) ووصل الى باب الكلية واجتاز ساحتها ثم دخل غرفة الدرس وجلس غير بعيد عن (المسيو فال) أستاذ القانون المدنى ومرت الساعة بعد الساعة والأساتذة والتلاميذ فى واد وهو فى واد آخر فلم يسمع شيئا ولم يكتب شيئاً ولم يأسف على ذلك . كان يراها أمامه وهى جالسة فى ركن الغرفة تقلب صفحات رواية أنديانا ، وكان يراها أمامه وهى تحادثه ، وكان يراها أمامه وهى تزيح رأسها الجميل عن فم بفلوفسكى ، رأى كل ذلك بعين الخيال وكان يبتسم ثم يكفهر وجهه ويقول (لقد قبلها التعس . لقد قبلها التعس) ثم يهدأ حاله ويقول

— لا أنكر أن الفتاة جميلة ولا أنكر أنها استلفتت نظرى ولكنها لم تملك على قلبى .

— من يدرى سنرى ماذا يكون من أمركما يوم الثلاثاء .

وما زال يتحدثان الى أن افترقا عند شارع المدارس وسار حسن الى المنزل وهو يفكر ثم صعد الى غرفته وخلع ملابسه واستلقى على سريره وحاول أن ينام فلم يقدر فحادث نفسه قائلا (أسرة غريبة . أم لا تركن اليها النفس وابنة تبوح بهواها قبل أن يبوح به من راق فى ناظرها وابنة أخرى صغيرة ليست فى العير ولا فى النفير . أما الثالثة الوسطى فهى أحجية من الاحاجى بل لغز من الالغاز) ثم فكر قليلا (وربما كانت ضحية . . .) وما زال يردد هذه الكلمة ثم غلبه النعاس فنام .

يصدر كرينسكى أحكامه الى أن أتى دور بفلوفسكى فاذا به يحادث كرينسكى بالبولونية قبل أن يصافحه ولم يلاحظ ذلك غير حسن ثم صافحه فقال الملك (ماذا تريد أن تفعل بهذا الشخص ؟) فأجاب كرينسكى (يقبل المدموازيل مرجريت) ففهم حسن سر ذلك وسكت وهو يكتم غيظه وقام الجميع لتنفيذ الاحكام وقبل بفلوفسكى مرجريت فأزاحت عنه رأسها قليلا فوقعت القبلة على شعرها واكفهر وجه حسن ولاحظ صاحبه البير ذلك فأسر له تلك الجملة (يا صديقى المسكين) فابتسم حسن إبتسامة الحزين البائس ونظرت مدام همرى فى ساعتها وقالت لقد آن الرحيل وخرجوا جميعاً بعد أن ودعوا أسرة ماريون فلما وصلوا الى الشارع صافحهم حسن فقالت له مارى .

— لا تنسى أن تزورنا يوم الثلاثاء .

فأجابها حسن .

— سأكون فى الميعاد يا مدموازيل .

وسارا فى طريقه مع صديقه البير وظلا ساكتين هنيهة ثم قال البير .

— ماذا حل بك أيها الصديق . لماذا لا تتكلم ؟

— لقد تملكنى الأنضاء يا صديقى وسأنام الليلة ملء جفونى .

— أراهن أنك ستسهر للصباح .

— ماذا تقول ؟

— أقول أن مدموازيل مرجريت جميلة جداً .

فضحك حسن وقال :

سنذهب جميعاً لزيارة أسرة تيرى . وبعد غد سأذهب لزيارة أصدقاء آخرين فهل يتكرم علينا المسيو حسن بزيارتنا يوم الثلاثاء .

فاجابها حسن وهو يبسم .

— هذا جل ما أتمناه يا مدام .

فصفقت الصغيرة أيفون بيديها وطافت أركان الغرفة وهى ترقص وتقول .

— سيصورنا بعد يومين . سيصورنا بعد يومين .

وعزفت الموسيقى فهب الجميع للرقص وكانت الانسة مارى من نصيب حسن فلما خاصرها قالت له فى أذنه (ما أجمل عينيك) فأدهشته تلك الجملة فنظر اليها نظرة الحائر ولم يجب بحرف واحد فسكتت أيضاً ولكنها كانت تبتسم له كلما وقع بصره على عينيها . ثم انتهت تلك الرقصة وتفرقوا فى أنحاء الغرفة ليستريحوا ومكثوا هنيهة وهم لا ينطقون ببنت شفة وطال سكوتهم فهم البولندى كرنسكى من مكانه واقترح عليهم أن يلعبوا لعبة تكون ختام الحفلة فأقر الجميع لعبة تشبه لعبة (استغماية) التى يلعبها الاطفال فى مصر وانتخبوا من بينهم ملكا جلس على كرسى وكان الانتخاب من نصيب روسبيسكى أما كرنسكى فكان من نصيبه أن يجلس بين يدى الملك وهو مغمض العينين ثم يمد يده فيصافحه الجميع فيسأله الملك (ماذا تريد أن تفعل بمن صافحك) فيجيب بما يرتأيه دون أن يعرف الشخص الذى صافحه . فلما صافحته مدام ماريون سأله الملك سؤاله فأجابه (يقبـل هذا الشخص جدران الغرفة) وما زال

— لا تقل يا سيدى إنى أحب آداب اللغة الافرنسية بل قل إنى أحب منها ما يساير أهوائى . لقد كنت أقرأ أنديانا منذ حين ولقد قرأتها قبل ذلك كثيراً ولقد وجدت فيها ما طوعت لى النفس قراءته وفى ذلك ما يبعثنى على تلاوتها مراراً .

— وأنا أيضاً أحب تلك الرواية حباً جماً . لقد قرأتها منذ شهرين ولا أخفى عليك انى معجب بأخلاق أنديانة .

— معذرة إذا خالفت رأيك لأنى لا أعجب إلا بأخلاق السير رالف وكنت أود أن تسمى جورج صاند روايتها (السير رالف) ...

وإذا بالمدموازيل مارى قد أقبلت عليهما وهى تقول :

— أنبأتنى جيزيل يا مسيو حسن أنك تملك آلة فوتوغرافية ذات عدسة من نوع (زيس) فهل هذا صحيح .

— هذا صحيح يا مدموازيل .

فصفقت بيديها فرحا وقالت لأختها :

— ما رأيك يا مرجريت . ما رأيك فى ذلك ؟

فابتسمت مرجريت ولم تجب ونادت مارى أمها قائلة .

— ماما . ماما . إنى أقترح عليك شيئاً . المسيو حسن يملك آلة فتوغرافية فهل يجود علينا بزيارته غداً أو بعد غد ليصورنا .

فأجابتها أمها .

— يا حبذا لو صحت عزيمته على ذلك . اليوم يوم الاحد وغداً

أركان الغرفة واذ به يرى مدموازيل مرجريت فى ركن آخر تقلب بين يديها صفحات كتاب صغير فنظر اليها طويلا وود أن يغادر مكانه ليدانيها ويحادثها ويعلم تلك الجاذبية التى كانت تدومه لتلك الفتاة. رآها تقرأ ثم تطيل التفكير فعلم أنها لم تمسك بالكتاب فى يدها إلا لتفكر أو لتعمد للسكون والوحدة حتى لا يعكر صفاءها من يود الرقص معها وكان الجميع يتهافتون على ذلك. أما حسن فقد احترم إرادتها وظل ساكناً فى مكانه ينظر اليها وقد اكتفى بنظراته الطويلة وود من صميم فؤاده أن يطول جلوسها ليمتع عينيه بجمالها الطاهر وتلك الصورة الحديثة التى رسمتها يد الألم على وجهها الجميل وإذا بمدام ماريون قد اقتربت منه وقالت.

— يالك من كسلان. ألا ترى الجميع يرقصون.

ثم التفتت الى مرجريت وقالت لها:

(وأنت أيضاً ما هذا الكتاب الذى تقرأين) وانتزعت الكتاب من يدها وهى تضحك ثم خاطبت الاثنين قائلة (الى الرقص. الى الرقص. حالا) فقام حسن وقامت مرجريت ومشى اليها وهو يتعثر فى مشيته ورقص معها رقصة (الفالس). ثم جلس بجوارها وتحادثا سويا فقال لها.

— يظهر لى أن المدموازيل تحب آداب اللغة الافرنسية. لقد شاهدتها منذ حين تقرأ رواية أنديانا للكاتبة الشهيرة جورج صاند.

على كل وسيلة تنيلها غايتها وعدم الاكتراث بالشرف والطهارة ، وابنتها الكبرى مارى وهى أشبه الناس بأمها وجهاً وأخلاقا ، وابنتها الوسطى مارجريت وهى فتاة نحيفة القوام طويلة القامة سوداء الشعر ذات وجه تقرأ فيه آيات الجمال والألم وعينين جميلتين يفعل سحرهما بالقلب ما تفعله الكهرباء بالأجسام ، تراها كثيرة التفكير تنفر من الناس إذا دنا منها أحد فكأنها قصيدة من الشعر الوجدانى وصورة للجمال الطاهر رسمتها يد الحزن والآلام ، وابنتها الثالثة ايفون كانت دون الحلم ترقص مع الراقصين وتضحك مع الضاحكين وهى لا تعرف شيئاً بعد من أسرار المجتمع الانسانى أما صديقتهن مدام لوشيا فامرأة فى الاربعين من عمرها تمشى على آثار صديقتها مدام همرى فى كل ما تفعل وتحذو حذوها سراً وعلانية . أما الرجال فثلاثة من بولندا ، الاول مسيو روسيسكى نزيل مدام ماريون والاثنان الآخران مسيو كرينسكى ومسيو يفلوفسكى صديقاه .

ما أجمل هذه الحفلة التى لا يزيد عدد رجالها ونسائها عن اثنى عشر ، حفلة عائلية يتآخى فيها الرجال والنساء وترفع الكلفة وأمثال هذه الحفلات كثير فى باريس تكاد لا تخلو منها دار أو نزل .

جلس حسن مع الجالسين وضحك مع الضاحكين ورقص مع الراقصين ثم جلس ليستريح قليلا وكان قد رقص مع المدموازيل جيزيل والمدموازيل مارى والمدموازيل ايفون وأوقعه سوء حظه بين يدى مدام همرى ومدام لوشيا فرقص معهما ثم نال منه التعب فجلس فى ركن من

هو وهى

— ٢ —

دخل الصالون مع صاحبه فقابلتهما مدام ماريون وصاحبهما ولدها ماكس وأقبلت ترحب بهما ابنتها جيزيل . أما الام فامرأة فى الخمسين من عمرها قصيرة القامة ذات وجه كثرت فيه التجاعيد وشعر دب فيه الشيب وعينين براقتين ينبئان عن نشاط وذكاء . وأما الابن فشاب فى السابعة والعشرين من عمره جميل الوجه قصير القامة كثير الحركات خفيف الروح فهو المثال الحى لما يسمونه (الباريزيانزم) وأما الابنة ففتاة أطول من أخيها قامة ولكنها أقل منه جمالا كثيرة الحركات والكلام اذا أصغى لها السامع ساعة يناله منها مايصدع الرأس . ثم أمسكت مدام ماريون بيده وقدمته للحاضرين قائلة (أقدم لكم شاباً مصرياً وفد إلى باريس منذ خمسة أشهر طالبا للعلم ، شابا زكى الفؤاد كريم الأخلاق . . .) فقطع عليها حديثها شاكراً وقدمت اليه الحاضرين وكانوا ثمانية : مدام همرى وهى امرأة تناهز الخامسة والاربعين طويلة القامة بدينة الجسم بيضاء الوجه اذا تفرست فى وجهها نطقت معارفه بما اتصفت به هذه السيدة من الخصال كشراسة الخلق وعدم المبالاة بالنتائج الوخيمة والاقدام

لقد قرأت شيئاً عن هذا الشارع فى رواية الفرسان الثلاثة لديماس الكبير .

— إنى أكره هذا الرجل وأربأ بك أن تقرأ رواياته فلست من السوقة أيها الصديق لتنزل بنفسك الى دركهم .

— إنى أرتأى رأيك يا البير ولم أقرأ هذه الرواية إلاّ لأعرف شيئاً عن شخصية الكاتب فأنا اليوم من شيعة من يضرب برواياته عرض الحائط وعلى الاخص بعد أن قرأت شيئاً من روايات ابنه اسكندر ديماس الصغير .

— الفرق كبير بين الوالد وإبنه فالاول يشوه التاريخ أما الثانى فيحلل خبايا النفوس وينتصر فيما يكتب لنظريات إجتماعية يرى فيها الصراط المستقيم لاصلاح ما فسد من الاسرة .

— ولكنى أبرر عمل الاول لفقره وضيق ذات يده . وكانا قد وصلا لدار مدام ماريون فوقفا أمام الباب ودق البير الجرس ففتحه البواب وصعدا سلم الدار الى أن وصلا الى الطابق الرابع فدقا الجرس أيضاً وأحس حسن بخفقان قلبه ولم يعلم لذلك سبباً ثم انفتح الباب وسارا فى الدهليز قاصدين غرفة الاستقبال .

(١٥ مايو ١٩١٩)

— بل نسير على الاقدام وعلام نعمد للكسل والمسافة بيننا وبينهم قصيرة .

وسارا فى شارع راسين على مهل فقال حسن :

— إنى لا أعرف غير مدام ماريون وابنها وابنتها وأنت تعلم انى كثير الخجل لهذا أخشى أن أكون عبئاً ثقيلا على من لا يعرفنى .

فقهقه البير وقال — أتخشى لقاء النساء ؟ لقد عهدتك قوى القلب ثابت القدم فعلام هذا الحياء . لم تدع مدام ماريون غير أسرة (همرى) وما تلك الاسرة إلا مجموعة من النساء الام وبناتها الثلاث وصديقة لهن جاوزت الأربعين فالحفلة عائليـة وستكون فيها بين قوم قليلى العدد يجلونك ويحترمونك فلا تخش بأسا . اليك يا صديقى نصيحة غالية الثمن إذا اتبعتها كان لك بين النساء شأن عظيم . لاتركن للنساء كثيراً ، داول لهن بين اللين والشدة وأمزج لهن بين الرأفة والقوة ولا تنس الاعتناء بشاربك فهو من الرجولة وله فى قلوب النساء حظ كبير وقسط وافر وابحث عن مجموعة من الجمل العذبة والنكات المستملحة تجعلها بضاعة لك تبيعها للنساء لتقبض الثمن غالياً والثمن فى هذا السوق لا يخرج عن حد القبلات العذبة والعناق الطويل الخ . . .

فضحك حسن وعلم أن صديقه يمزح معه وكانا قد وصلا الى تياترو الاديون فوقفا هنيهة ينظران للناس تصعد سلم هذه الدار زرافات ووحدانا ثم أتما سيرهما فى شارع فوجيرار فقال حسن :

ولقد كان هذا شأنه فى ذلك اليوم . فلما ألقى بكتاب مبادئ القانون المدنى على الخوان لبث هنيهة يفكر ثم حادث نفسه قائلا (نسيت انى على موعد مع صديقى البير ديباس لنذهب سويا الى دار مدام ماريون حيث تقام حفلة راقصة) وهب الى خزانة ملابسه وأخرج منها بدلة سوداء وقميصا أبيض اللون وحذاء أسود لامعا وبعد أن ارتدى هذه الملابس سمع دقا على باب غرفته فأذن للطارق بالدخول واذا به يرى خادمة المنزل تقول له

— لقد أعد طعام العشاء يا مولاى

— ها أنا قادم

وخرج من غرفته قاصداً غرفة الطعام والتقى فيها برفقائه النزلاء وجلسوا جميعا حول المائدة يأكلون ويتسامرون فلما فرغوا من تناول الطعام أشعلوا لفافات التبغ وقامت المدموازيل مارى الى البيانو وعزفت عليه دوراً لبيتهوفين فصفق الجميع اعجابا ببراعتها ونبوغها ودق باب المنزل ففتحه الخادم واذا بشاب وضاء الطلعة نحيف القوام طويل القامة أبيض اللون تدل حركاته وسكناته على طيبة قلبه قد دخل عليهم وهو يبسم وحيا الجميع تحية جميلة ثم التفت لصديقه المصرى وقال .

— لقد آن الوقت يا حسن . هيا بنا

— هيا بنا يا البير

وخرجا من الغرفة فلما وصلا الى الشارع قال البير :

— أتركب عربة أم تسير على الاقدام ؟

هو وهى

جلس بجوار النافذة ونظر الى السماء القاتمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم أطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى فى الغرفة ذهابا وايابا ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدنى) وما لبث أن ألقى به على الخوان وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدنى . مبادئ القانون المدنى) . وكان قد وفد الى باريس منذ أشهر عديدة وسكن فى الطابق الثالث من دار شاهقة فى شارع السربون واقتنع بغرفته الصغيرة وتلك النافذة التى كان يرى منها معهد السربون تفد اليه الطلاب فى كل صباح ، وبينهم الغانيات ذوات العيون الناعسة والقدود الممشوقة . جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة إلا ليلقى بنفسه فى أحضان تلك العلوم . فسافر وفى قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعاً بين علوم الحقوق التى كانت تجشم نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التى يرى فيها مسكة الأمل وقرة العين.

وأحب الأسرة التى كان يعيش معها حباً جماً وامتزج بهم إمتزاج الماء بالراح بعد أن وجد فيهم قوما من أكرم أرومة ولكنه كان اذا فكر فى علوم الحقوق يربد وجهه وتختلج أعضاؤه ويهيم فى سماء التفكير

مبصبصاً بذنبه وهاله مصاب صديقه فأخرج لسانه ومسح به دموع خرطوش ولكن خرطوش آلمته شفقة صديقه الضعيف فهجم عليه وصرعه على الارض . ومازال يدق عنقه الى أن قضى عليه وعبثاً حاولنا فصله عن سكر .

لقد مات سكر . مات شهيد طيبته ووداعته . مات شهيد غدر صاحبه القوى . ذهب ضحية القوة والحق للقوة فى كل زمان ومكان .

وإذا بى أرى ربة الدار تمسح بيدها تلك الجثة الهامدة وهى تبكى وتقول « لقد كان سكر طيب القلب من فاتحة أمره الى خاتمة عمره » وفى الصباح دفنا سكر فى الحديقة تحت شجرة كبيرة كان من عادته أن يتفيأ ظلالها فى الظهيرة ونقشنا على ساق الشجرة هذه الكلمات .

« هنا يرقد سكر الكلب الطيب شهيد المروءة والاخلاص »

لقد كنا نكره سكر فى حياته فاذا بنا نحبه ونجله بعد مماته . لقد كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الاصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد أن الاصل لا دخل له فى الطيبة وأن مخلوقات الله سواء . ويا ليت شعرى اليس الحال كذلك بين الناس .

فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانسانى ذلك السحاب الاسود .

(١٠ أبريل ١٩١٩)

مستسلمون للراحة والسكون لا نسمع غير موسيقى الطيور ولا نرى غير جمال الطبيعة ففى ذات يوم رأيت صديقى المصرى مكفهر الوجه فسألته عن السبب فقال .

— أين خرطوش . ألم تره اليوم ؟

— كلا يا صديقى .

— أف لهذا الكلب الشقى . إنه حقاً أظلم من حيّة لا أدرى أين ذهب ؟

— لعله يجوب فى طرقات الغابة .

— وإذا ضل الطريق ؟

فقمت معه الى الباب وسرنا فى طريق الغابة نبحث عن خرطوش حتى كدنا المطاف وتملكنا الانضاء فرجعنا أدراجنا الى المنزل وجلسنا آسفين وإذا بخرطوش قد عاد الينا فقام صديقى اليه وهوى عليه بسوط كان فى يده وهو يقول — « وإياك وترك المنزل أيها الكلب الشقى ألا تخشى أن يسرقك سارق ؟ »

وانتهت هذه الحادثة وقضينا بقية اليوم كالعادة فلما روّق الليل البهيم جلسنا فى الحديقة نتسامر فاذا بخرطوش قد هبّ الى ناحية الباب يريد الهروب الى الغابة فقام صاحبى وراءه ولحق به فى الطريق وتبعت صاحبى فرأيته يهوى بسوطه على جسد الكلب وهو يقول « تريد إعادة الكرة يا خرطوش ؟ هاك عقابك » وإذا بسكر قد جاء على مهل ليرى ما حدث فلما بصر بصديقه خرطوش يئن تحت السوط اقترب منه

وكان لربة الدار كلب أطلقت عليه اسم (سكر) ، كلب قبيح الشكل مقيت الطلعة لا أعلم لماذا تحبه وتعطف عليه . كنت كلما نظرت اليه كرهت أن أعيد نظرى لوجهه ولم أر فيه تلك الشهامة التى يدفع بها عن صاحبه أذى اللصوص ولم يكن من فصيلة معروفة من فصائل الكلاب إذ للكلاب فصائل عديدة يعرفها الخبيرون فسبحان ربى لماذا تحبه مدام بار ؟ ربما كان ذلك لوداعته . أما كلبنا خرطوش فكان جميلا وشجاعا وقد أجمع الخبيرون على أنه من فصيلة (البينتر) Pointer وتلك الفصيلة مشهورة بما تأتى به من المدهشات فى الصيد والقنص .

وكم من مرة استهوانا السمر فكنا نجلس فى الحديقة بعد العشاء نتحادث عن أشياء شتى فاذا سقنا حديثنا الى أنواع الكلاب هزئنا (بسكر) وضحكنا ضحكة تجسم فيها السخرية فكانت تجيبنا ربة الدار .

— علام تضحكون ؟ سكر هذا كلب أمين طيب الاخلاق لم نسمع عنه أنه أذى طفلا أو تعدى على كلب آخر . إذا رأى أحداً منكم أقبل عليه يبصبص بذنبه ويمسح رأسه فى يده . تكفيه منكم اشارة الرضى ليلقى بنفسه على الارض فرحا مسروراً . أما خرطوش هذا الذى تحبونه فهو أقرب للشر منه للخير . أنا لا أنكر شجاعته ولكنى لا أحب شراسته التى تسول له ايذاء كل كلب ضعيف يلقاه فى طريقه . حرام عليكم يا ساداتى أن تغضوا أنظاركم عن الكلب الوديع ذى القلب النقى وتقبلوا بكليتكم على الكلب القوى المدغل . فكنا نسمع أقوالها ونحن نبتسم ومرت الايام فى هذه الدار الصغيرة ونحن عائشون فى عيش خضل

خرطوش وسكر

هناك على شاطئ نهر المارن ، فوق تلك البقعة الخضراء التى تفصلها عن باريس غابة فنسين أقاموا ضيعة أطلقوا عليها اسم (توجان سيرمارن) وفى هذه الضيعة الجميلة التى يحجبها ملتف الغيـاض ويحفها ذلك النهر الهادئ قضيت شهرين من حياتى الباريسية ، شهرين كاملين مرا كما يمر الحلم العذب برأس النائم ، شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى ، شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ولباريس الشتاء وضواحيها الصيف . ما أجمل تلك الايام العذبة وما أجمل تلك الغابة التى كنت أرتاد خلالها مع صديقى المصرى يتبعنا كلبه (خرطوش) . وما أجمل ذلك الفضاء الشاسع وتلك الحقول الخضراء والزهور اليانعة والسماء الصافية وما اجمل المنزل الصغير الذى كنا نسكنه ونرى من نافذته نهر المارن تحف شاطئيه تلك الأشجار الباسقة والربى المخضلة .

كنا نخرج من المنزل بعد الفطور ونسير على غير هدى ثم نعود لتناول الغذاء وفى العصر نعيد الكرة ثم نعود لدارنا الصغيرة وقد دجا جنح الظلام فنجلس فى غرفة الاستقبال مع ربة الدار وربه نتجاذب أطراف الحديث فاذا دنا وقت العشاء أكلنا ثم نأوى الى غرفنا لننام .

— أجل . ومن أجل هذا أغادر باريس اليوم . فهل لك أن تساعدني في إعداد حقائبي ؟

— تغادر باريس من أجل فتاة !

— بل من أجل الواجب يا صديقي . فالآنسة ا . ب تحبني حباً طاهراً وأنا أيضاً أحمل لها في قلبي مثل ذلك الحب ولكن أريد الاحتفاظ بعهدي .

— وماذا تقصد بذلك ؟

— لقد عاهدت والدتي أن لا أتزوج إلا فتاة من بنات جنسي والرجل لا ينقض عهده .

فرجوته أن يؤخر سفره عدة أيام فقال .

— لقد أصبحت ثمرة الحب رطباً جنياً . هل لك أن تساعدني في إعداد حقائبي .

فنزلت معه الى غرفته وبعد أن انتهينا من إعداد الحقائب ذهبنا سويا الى المحطة وودعته مودعاً معه الاخلاص والشهامة والاقدام

— هؤلاء من القاهرة .

فألمتنى جملته وقلت له وأنا أحرق الأرم .

— بل هؤلاء من بوستون .

فأدرك لساعته انى غضبت فأخذنى الى ركن من أركان الصالون وقال لى .

— انه من الواجب أن يعترف المخطىء بخطئه . لقد أخطأت وإنى أعتذر لك عما بدر منى فهل لك أن تصفح . فأعجبنى اعترافه بخطئه وهززت يده علامة الصفح .

. . .

ثم تطاولت المدة ودبت الأيام ودرجت الليالى فرأيت صديقى ه . و . يميل للوحدة والانفراد والتفكير فلم أهتد لسر ذلك وخشيت أن أسأله مخافة أن يغضبه سؤالى ثم رأيته يطيل النظر الى الآنسة ا . ب ساعة تناولنا الطعام فى النزل فقلت لقد بدأت العاصفة تهب . سنرى ما سيكون من أمر غرام الاميركى . ومكثت مدة وأنا اتغافل عن حبه وهيامه فاذا بى أراه فى صبيحة يوم من الايام يقرع باب غرفتى ففتحت له الباب فبادرنى بقوله

— لى معك حديث يا صديقى .

— وما هو ؟

— إنى أحب .

— محب محبوب ؟؟

— وما تقصد بذلك ؟

— سمعت وأنا عائد من دار التمثيل أن الطلبة يقيمون فى هذه الليلة حفلة فى قهوة بلزار احتفالا بنجاة أخ لهم من الانتحار . فلم أشأ أن أستأثر بهذه الحفلة دونك . لهذا قرعت بابك وأيقظتك راجياً أن ترتدى ملابسك وتنزل معى .

فحاولت الاعتذار فاذا به قد حمل ملابسى وأتانى بها لأرتديها فأطعته وغادرنا الفندق سوياً لنشاهد حفلة النجاة من الانتحار . أليس هذا من غرائب الاخلاق الامريكية .

. . .

وفى صبيحة يوم من الايام قرعت بابه ليرافقنى الى النزل فاذا به لم يرتد ملابسه بعد فقال لى .

— انتظرنى خمس دقائق فقط .

— وإذا لم تنته من إرتداء ملابسك بعد خمس دقائق .

— تذهب للنزل وحيداً .

وغادرته على هذا الوعد ووقفت أمام الفندق انتظر والساعة فى يدى فلما مرت الدقائق الخمس فتح هـ . و . نافذة غرفته وأشار الىّ بيده قائلا .

— لقد أبطأت . إذهب يا صديقى فالوقت من ذهب .

. . .

ورأيته يوماً فى النزل يحمل فى يده صورة (كارت بوستال) عن زنوج أفريقيا فقال لى مازحا :

فلما دخلنا الصالون قلت له — لماذا لم تحادث الآنسة دنجنسكى أخشى أن يكون قد آلمها ذلك .

— ولماذا ؟

— لأن النساء يؤلمهن أن نغض عنهن أنظارنا .

— لم أغض عنها نظرى يا صديقى ولقد بحثت عن موضوع يخلق بى وبها أن نتحادث فيه فلم أجد . فما حيلتى إذاً .

— الموضوعات كثيرة يا صديقى . حادثها عن الطقس . عن جمال باريس . عن . . .

— أتريد أن أحيل عن الجد الى السفسطة ؟ إنى أفضل السكوت فى مثل هذا الحال .

وتحادثنا فى شئ آخر بعد أن تلقيت عنه درساً جديداً .

. . .

وفى ذات ليلة كنت عائداً معه من المنزل الى الفندق فقال لى :

— هل لك أن تذهب معى الى الكوميدى فرانسيز .

— معذرة يا صديقى فأنا تعب هذه الليلة .

فودعنى وذهب منفرداً وصعدت الى غرفتى وآويت الى فراشى ونمت نوماً هادئاً لا تزعجه الاحلام وإذا بى أسمع فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دقاً عنيفاً على الباب فقمت من الفراش مذعوراً فرأيت المستر ه . و . يقول

— ما كان يخطر ببالى أنك من محبى النوم .

فقلت له وقد أدهشتني صراحته — حباً وكرامة لو شاء السيد أن يرافقني الساعة الى نزل مدام ميلون أكون له من الشاكرين .

فنظر الى نظرة تعبر عن شكره وقال — أشكرك يا سيدى .

وسرنا جنباً الى جنب الى نزل مدام ميلون وتحادثنا فى الطريق بعد أن تعارفنا وسره كثيراً أن يصادق مصرياً من أبناء النيل وأعجبه طعام النزل فتردد عليه كل يوم وأصبحنا صديقين نسكن فندقاً واحداً ونأكل فى نزل واحد .

. . .

المستر ه . . . و . أخلاق اختص بها هو ومن يسكن أمريكا اخلاق تجمع بين الاخلاص والصراحة والاقدام والمحافظة على الوقت والتفانى فى فعل الغرائب والعجائب . ذهبت معه مرة الى النزل وجلسنا حول المائدة وإذا بربة الدار تقدم لنا رجلا نرويجياً فوقفنا وأحنينا رؤوسنا وأكرمنا وفادة القادم الجديد وجلس الرجل أمام صديقى ه . . و . فتغير نظام الجالسين وتحول المستر ه . و . عن طرف المائدة واتخذ له مكاناً بينى وبين الآنسة ديجنسكى الفتاة الرومانية ذات الوجه الجميل والقد الممشوق . وتناولنا طعامنا وتحادثنا فى شؤون مختلفة وكنت أنظر المستر ه . و . راجياً أن تلفته نظرتى الى الآنسة ديجنسكى ليحادثها ولكنه ظل ساكتاً لا يفوه ببنت شفة فقلت له دون أن يسمعنا أحد — هل لك أن تحادث جارتك .

فالتفت الىّ وابتسم وظل ساكتاً الى أن فرغنا من الطعام .

صديق من أمريكا

اليوم أكتب للقارئ ما وقع مع صديقى هـ . . . و . ذلك الطالب الأمريكى الذى وفد الى باريس ليدرس الطب .

رأيته لأول مرة فى بلفاردسان ميشيل يجد فى سيره ثم عرج يسرة الى باب فندق (السلكت) بجوار السربون وكنت أسكن ذلك الفندق ثم ركبنا المصعد (أسنسير) سويا وتفرست فى معارف وجهه فرأيتها تنطق بما يكنه ضميره من صراحة وشهامة واقدام . ونزل المستر هـ . . و . فى الطابق الثانى وصعدت الى الطابق الثالث دون أن نتحادث . ثم أصلحت من شأنى فى غرفتى ونزلت الى الصالون فى الطابق الاول لاستريح قليلا قبل الذهاب الى النزل الذى كنت أتناول فيه طعام الغداء والعشاء فاذا به يدخن سيجارة وقد جلس على متكأ بجوار النافذة فلما رآنى هم واقفاً وجاء الىّ وهو يقول :

— معذرة يا سيدى إذا حادثتك قبل أن أتشرف بمعرفتك . أنا طالب جئت من بوستون لباريس لادرس الطب وقد قضيت فى هذا البلد شهراً من الزمن دون أن أعثر على نزل يجيدون فيه الطهى . فهل لك أن ترشدنى الى نزل يجمع بين النظافة وجودة الطعام .

تتجسم أمام عينى فى دار الادبون والتى أود من صميم فؤادى أن تنتشر فى مصر بلادنا المحبوبة .

هذا يا محمود وصف مقتضب لدار الاديون لليلة التى قضيتها فيه ، كتبته لك لتقف على بعض من أمور التمثيل فى باريس .

(٦ مارس ١٩١٩)

فى عينها آيات الطهر والحب ودلائل الوفاء . ثم دق الجرس فرجعنا جميعاً الى كراسينا دون أن تسمع لنا جلبة أو صراخ .

وشاهدنا الفصل الثانى والثالث ولكنى لا أكتم عنك انى شعرت عندما ألقى ممثل دور رودريج مونولوجه فى الفصل الثالث بفقدان شىء لم أحرم منه فى مصر الا وهو سماع هذا المنولوج يغنيه الشيخ سلامه حجازى ولعل هذا أثر العادة فى النفوس ، ثم ظهر لنا دىجاردان وتم بالقاء قصيدة تيوفييل جوتييه التى أنحى فيها باللائمة على لويس الرابع عشر لانحرافه عن كورنيل فى أخريات أيام الشاعر . صور لنا جوتيه كورنيل يسير فى الطريق وفى قدمه حذاء ممزق ليس فى مقدوره أن يستبدله بآخر لضيق ذات يده . وفى ختامها يقول الشاعر (لقد كبر اسم كورنيل وتضاءل اسم لويس) فلما بدأ دىجاردان بالقاء القصيدة صرخ رجل من أصحاب المقاصير (البنوارات) يالك من ممثل حقير . ولكن الممثل لم يلتفت اليه وأتم القاء القصيدة فدوى هتاف الجمهور وتهاليله فى الدار كأنه الرعد القاصف . ثم قامت الفتنة ورأيت الناس قد هبوا من مكانهم وصرخوا (فايطرد . فيطرد . فايطرد الملكى) فقمت من مكانى ودانيت الرجل فرأيته ممتقع اللون وسمعته يقول (لا أريد أن أشتم أب الفنون وما كانت صرختى إلا فلتة غضب) ولكنى رأيت الجمهور قد ازداد صراخه وفى ذلك مالا تحمد معه المغبة وأجبر الرجل على مغادرة الدار وفى صدره غصة . وعاد الجمهور لسكونه وانتهى التمثيل وعدت الى دارى وأنا أفكر فى هذه الروح الديمقراطية التى شاهدتها

بلادنا فقد عزم الله لنا أن نسير الى الامام ولننتظر مايفعله جورج أبيض عن قريب فى دار الاوبرا المصرية فربما بدّل من حال التمثيل فينقلب العسر يسراً . أما المكان فهو قرة العين ومسكة النفس يجمع بين الجمال والنظام . نرى جماعة المدرج يرون المسرح كما يراه صاحب المقصورة (البنوار) ويسمعون كلمات الممثل كما يسمعها . به الصور الجميلة التى تزين السقف والجدران .

ثم دق رئيس المسرح دقاته الثلاثة وارتفع الستار ومثل الفصل الاول . شاهدت يامحمود من دقة التمثيل ما أعجز عن كتابته اما المناظر فقد أراد أنطوان « مدير الاديون » أن يخرجها للناس كما كانت عليه فى القرن السابع عشر ليعيد للباريسيين صورة من صور التمثيل فى ذلك العهد صورة تاريخية جليـة واضحة فانظر الى أى سماء ارتقى الفن فى هذا البلد الامين .

أسدلت الستار فى ختام الفصل الاول فسرت من مكانى الى صالون الأستراحة حيث تمشى النساء وقد تأبطن أذرع الرجال . فى هذه الغرفة التى زينت جدرانها بصور كبار المؤلفين والممثلين جلست على كرسى ونظرت الى جماعات النساء والرجال وقلت متى أرى روح التسامح تدب فى قلوب المصريين فترى الرجال تخاطب النساء فى دار واحدة دون أن تهم بنفوسهم نزعات الصبوة أو فتن الهوى . هنا نرى الزوج يخاطب زوجة صديقه والخطيب يخاطب خطيبته ويبتسم لها وهو يقرأ

القدم وللقدم كما تعلم جمال يؤثر فى كل نفس خيالية . وما الاديون إلا مدرسة يؤمها خريجو مدرسة التمثيل فى باريس مع غيرهم من الممثلين فاذا قضوا فيها حيناً من الدهر وظهرت مواهبهم انتقلوا الى دار الكوميدى فرانسيز وحطوا فيها رحالهم . ألم يأتك خبر بول مونيه والبرت لمبرت فيس وساره برنارد وما نالوه من الشهرة بين مواطنيهم هؤلاء قد أنفقوا جزءاً من عمرهم فى دار الأديون لاجتياز ساحتها فلبوا دعوتها طائعين . ومن مزايا الاديون تلك المكتبة التى سمح لبعضهم باقامتها على جوانبه من الخارج فاذا مررت بتلك الدار وأنت سائر فى طريقك وقفت هنيهة تقلب نظرك فى صفحات الكتب لتشترى منها ما يروق لناظرك ، فما أجمل هذه الدار التى تجمع بين الكتب والتمثيل .

دخلت دار الأديون فى تلك الليلة وصعدت على سلمه الكبير ثم وصلت الى كرسى وجلست أنظر تارة للناس وتوراً المكان . فاذا بالناس لا تسمع منهم ذلك اللغط الذى يصمى أذاننا فى دار التمثيل العربى ورأيت جماعة المدرج (أعلا التياترو) لا ينطقون ببنت شفه كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم فى حضرة ملك من الملوك . فأين قزقزة اللب واين دخان السجاير المصرية وأين صهيل جماعة المدرج فى دار التمثيل العربى . كل هذا لا أثر له فى دار الاديون . ترى الرجال قد ارتدوا ملابسهم السوداء أو ما يقرب منها لوناً وترى النساء فى حال بهيجة اللون جميلة الشكل . هذا لعمرى مظهر من مظاهر المدنية والجمال لانراه فى مصر . بيد أنى لا أود تحطيم آمالك بسرد هذه الوقائع فلا يكبرن عليك أمر التمثيل فى

فيها أمام من كنا نجمعهم من رفقائنا الصغار . تلك أيام عذبة جميلة . أجل ما أجمل أيام طفولتنا التى تعبث بها اليوم أيام شبابنا ولكن ذكراها حية لا يغض منها توالى السنين والايام .

قات إنى تناولت خطابك صباح أمس ثم ارتديت ملابسى بعد تلاوته وشربت فنجانا من اللبن ممزوجاً بالقهوة وخرجت الى الطريق أخذاً سمتى الى حديقة اللكسمبورج ودعوت الله أن لا تمطر السماء وكأنّ الله أجاب دعائى فانقشعت ديم السحاب الاسود ولكن الشمس ظلت محتجبة تحت سحاب آخر أقل سواداً فلما وصلت الى الحديقة وجدت نفسى أمام دار الاديون فقرأت اعلانه الكبير فاذا بهم يمثلون فى الليل رواية (السيد) لبيير كورنيل التى يمثلها الشيخ سلامه حجازى فى مصر ويمزجها بألحانه الجميلة وقرأت فى ذيل الاعلان سطراً ينبئ أن الممثل الكبير ماكس ديجاردان سيلقى بين الفصل الثالث والرابع قصيدة تيوفيل جوتييه عن لويس الرابع عشر وبيير كورنيل مؤلف الرواية فاشتريت تذكرة ثم ركبت سيارة الى الجراند بلفارد .

أنت فى غنى عن أن أسرد لك ما حدث لى منذ اشتريت التذكرة الى أن دخلت دار لتمثيل ولا يهمك إلا أن أرسم لك صورة تتلجلج فى نفسى عن تلك الدار التمثيلية وعما حدث فيها تلك الليلة .

ليست دار الاديون يا محمود بدار فخيمة كدار الاوبرا أو كدار الكوميدى فرانسيز ولكنها جميلة لما تراه العين على جدرانها من آثار

ليلة فى الاديون

صورة خطاب أرسلته لأخى الصغير عام ١٩١٢ .

أخى محمود :

وصلنى خطابك صباح الأمس بعد أن أقضى على مضجعى طول الليل . فقمت من فراشى فى الصباح ونظرت من النافذة راجياً أن ينكشف عنى ذلك الهم القاتل الذى كنت أحس به يدب فى قلبى دبيباً فاذا بالسماء سوداء اللون وإذا بالغيوم تتكاثف فى الجو فخشيت أن تسيل المعصرات وتسقى أرض باريس ماءاً ثجاجا وما كان أحوجنى فى تلك الساعة الى شئ جميل يطلق عن وثاقى ويدخل السرور الى قلبى وإذا بى أسمع الخادمة تدق على الباب ففتحته وتناولت خطابك من يدها وقرأته عشراً ووضعته صدراً وكأنى عثرت فيه على من يسكن قلقى ويغسل فؤادى مما عاق به من الهم والألم . تسألنى فى خطابك عن التمثيل فى باريس فها أنا مجيبك لعلمى بحبك لهذا الفن ولست أنسى أيام كنا نتخذ من سريرنا مسرحا ومن كانته ستائراً ومن غرفة نومنا داراً تمثيلية نمثل

أجد فى حركاتهن وسكناتهن ذلك الدلال النسائى ولا تلك الرقة وذلك اللطف . رأيتهن قد ساوين الرجال عزماً وقوة وبرهاناً ثم علت كفتهن فى ميزان البحث والمناقشة وما أجمل انتصارهن بعد أن جاهدن جهاد المستميت . فنظرت الى صديقى البولونى وقلت له :

— لقد انتصر حزب النساء .

فالتفت الى وقال :

— آه لو كانت شقيقتى هنا تسمع هذه المناقشة .

فقلت : وما آراؤها ؟

— تدافع عن حرية المرأة وتسعى جهدها فى بث الآراء الديمقراطية فى بنات جنسها . ستراها بعد ثلاثة أيام لتحكم عليها بنفسك

فقلت له وقد زاد إعجابى بنساء اوربا .

— سأتشرف بمعرفة شقيقتك يا صديقى .

وتفرقت جماعة النزلاء فدخلت الى غرفتى وجلست أمام مكتبى وأطلقت لنفسى العنان فى التفكير . قارنت بين نسائنا ونسائهم أستغفر الله بل بين رجالنا ونسائهم فرأيت الفرق كبيراً والبون شاسعاً .

نساء أوربا يناقشن الرجال فى الادب والسياسة والفلسفة ورجال مصر يتناقشون فى أنواع الاوتوموبيلات وجمال الملابس وإذا ألقت بهم الصدفة أمام موضوع جدى مزجوه بالنكات المصرية المستملحة التى تطير الموضوع فى جوف الفضاء أما نساؤنا . . . . ؟ ؟

فبراير سنة ١٩١٩

فقال المسيو جارديه : هذا عجيب .

فأجابته المدموازيل لينا وقد آلمتها جملته :

— والاعجب منه يا سيدى انتصارك لنظريات بورجيه .

فأحنى المسيو جارديه رأسه وقال :

— عفواً يا مدموازيل عفواً .

وكنا قد فرغنا من تناول الغذاء فقمنا الى الصالون وأشعلنا سجائرنا وجلسنا نحادث وما أجمل المحادثة بين قوم غرباء لا تجمعهم صلة الوطن ولا القومية .

الغريب فى مصر يحن للغريب والافرنسى يحن للغريب والنزل الذى آوانا جميعاً جمع بين الروسى والانكليزى والافرنسى والبولونى والصينى وكانت المناقشات تجدد فيه كل يوم حول المائدة وبعد الفراغ من الطعام ثم يذهب كل الى غرفته أو يغادر النزل لعمل يعمله . وكنت أجد فى هذه المناقشات عالما جديداً لم تره عينى فى مصر .

قلت أننا دخلنا الصالون وأخذنا مقاعدنا ثم ابتدأت المناقشة من جديد بين المدموازيل لينا والمدموازيل جان والمسيو جارديه والمسيو كازنوف والمسيو يوان الصينى عن سياسة الاوربيين فى الشرق الاقصى أما البولونى فقد ظل ساكتاً ينظر الى سماء الغرفة كأنه يبحث عن أمل له . ثم تغير الحديث من السياسة الى الفلسفة فتناقشوا فى فلسفة شوبنهور ورأيت جماعة الرجال تحبذ الفيلسوف وتشد أزره وطائفة النساء تحمل عليه باللائمة . رأيتهن يدافعن عن آرائهن وحريتهن كما تدافع النمرة عن صغارها . لم

— أنت من أنصار بول بورجيه .

— أجل يا مدموازيل أنا من أنصاره ويا حبذا لو اقتدى بى جميع الافرنسيين .

— لو فعلوا ذلك قل على الحرية السلام .

— بل لو فعلوا ذلك لما تفشت بينهم تلك الامراض الاجتماعية التى تسترها عن عيونهم كلمة حرية .

— عبثاً أحاول اقناعك يا صديقى فنحن على طرفى نقيض .

والتفتت المدموازيل جان الى فتاة روسية كانت تدرس معها الآداب فى السوربون وقالت :

— وما رأى المدموازيل لينا ؟

فأجابتها قائلة :

— رأيى أخشى أن يدهشكم رأيى . إنى أحب الكاتبين من صميم فؤادى فصرخ المسيو كاروف من طرف المائدة :

— تحبين الاثنين ! أتجمعين بين الماء والنار ؟

فقالت له الفتاة الروسية :

— علام هذا التعجب يا سيدى ؟ أحب بيير لشاعريته وإن كان لم ينظم الشعر بعد وأحب بورجيه لدقته فى تحليل خفايا النفوس . الاول شاعر يبعث خياله فى نثره والثانى بحاثة لا يخطئ فى بحثه . بيد إنى أرى كتب الاول خالية من كل رأى اجتماعى أو فلسفى وأرى نظريات الثانى لا تتفق مع روح التقدم .

حول المرأة

— كلا يا صديقى كلا . إنى لا أساير أهواءك فبيرلوتى كاتب ماهر يصور لك ما تراه عينه وما تشعر به نفسه أمام تلك الصور العجيبة التى رآها فى الشرق .

فأجابها المسيو جارديه وهو يبتسم

— أجل يامدموازيل جان ولكنه يسير على وتيرة واحدة فى كل ما يكتب وفى ذلك مايدعو للمل والسأم .

فامسكت المدموازيل جان بخصلة من شعرها الأسود كانت قد انحدرت على جبينها الجميل وأعادتها الى مكانها ثم قالت :

— يسير على وتيرة واحدة ! وما ضره لو فعل ذلك . أتنسى سهولة ألفاظه ورقة أسلوبه وسمو خياله ؟ أترى بين كتابنا من يدانيه فى ذلك ؟

فقال لها المسيو جارديه بعد أن شرب كوبة من الماء :

— نحن لا نتفق يا مادموازيل . بيير لوتى كاتب شهير طبقت شهرته الخافقين وتحدث النـاس باسمه فى أوربا وأمريكا ولكنى أفضل عليه الكثير من كتابنا . . .

فقاطعته المدموازيل جان وهى تمضغ قطعة من اللحم قائلة :

رجعت من المحطة الى الفندق وأنا شارد اللب ، رأيت نفسى غريقا فى بحر يموج بالناس فدخلت الى غرفتى ونظرت من النافذة ومرت بخيلتى صور مصرية عديدة . تذكرت سريرى الذى لا يحلو النوم لعينى فى غيره وتذكرت دارنا التى فيها نشأت وشارعنا الذى كنت ألعب فيه مع الاطفال وأنا طفل صغير . وتذكرت أهلى واخوانى وما حدث لى فى مصر من الحوادث صغيرة كانت أو كبيرة . كل هذا رأيته بعين الخيال وأنا أنظر من نافذة الفندق الى تلك السماء السوداء وذلك الخضم المائج بالناس والمركبات والسيارات . ثم أطلقت زفرة من بين الجوانح وأرسلت دمعة خطت على الخد ما فى القلب من همّ وألم . ولكنى نشطت من عقالى دفعة واحدة وقلت لنفسى (علام هذا الضعف . لقد جئت لهذا البلد لأتعلم ففى هذا البلد تتثبت أقدامى) ثم نظرت الى ساعتى فرأيت أنى قضيت فى باريس أربعا وعشرين ساعة فقلت (لقد مضى اليوم الأول دون أن أفعل شيئاً يذكر) وغادرت الفندق لأبحث لى عن أسرة أعيش معها ؟

(١٣ فبراير سنة ١٩١٩)

جبل المقطم بمنظار معظم ولكنى لا أكتم القارئ أنى بعد أن وقفت على جمال باريس الحقيقى وعرفت كيف تقضى الحياة فيها أحببت تلك البلدة كثيراً وعرفت ما بينها وبين بلادنا الشرقية من الفرق الكبير . لهذا أنصح لكل سائح أن لا يفد الى باريس فى الصباح فى ساعة تسيل فيها دموع السماء .

سارت بنا السيارة الى أن وصلنا الى الفندق ثم صعدنا الى غرفتنا وأخذنا فى اصلاح شؤوننا ثم نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول غذائنا ونحن لا بسون طرابيشنا فكنا موضع أنظار الآكلين . وفى عصر ذلك اليوم خرجنا للتنزه فى غاب بولونيا فركبنا سيارة أخرى وجلس خادمنا المصرى بجوار السائق ثم ما لبثا قليلا حتى تحادثا وطال حديثهما فأخذ منا العجب كل مأخذ سائق باريسى لا يعرف العربية يحادث خادما مصريا يجهل الافرنسية ؟ ألا يدعو ذلك للدهشة والعجب ؟ وعند عودتنا سألنا الخادم عن حقيقة الامر فقال لنا إن السائق قضى فى مصر عدة سنوات وإنه يتقن المصرية فقلت لنفسى وقد أخذتنى هزة الطرب (بلادنا يؤمها الباريزيون أيضاً) ولكنى ما لبثت أن انقلب سرورى الى حزن وغم بعد أن أدركت أن من يؤم بلادنا ليشاهد جمال آثارها ويتمتع بصفاء سمائها أقل عدداً ممن يفد اليها سعياً وراء الرزق ليزاحم أهلها فيما هو حق لهم . ثم تناولنا عشاءنا وصعدنا لغرفنا ونمنا ملء جفوننا وفى الصباح استيقظنا مبكرين وأخذنا وجهتنا الى محطة ليون وهناك ودعنى والدى وركب القطار الى مرسليا وتركنى فى باريس وحيداً فريداً .

نذكر العهد القديم أيام كانت فرنسا مقر الأرستقراطية ومهبط الملكية. ثم أمطرتنا السماء مدراراً فرأينا باريس من بعيد كأنها تستقبلنا وكم استقبلت باريس الغرباء من قبل، ثم وصل بنا القطار الى محطة الشمال فنزلنا منه بعد أن نادينا حمالا أتانا وهو يترنح فى مشيته غير عابئ بنا ثم قال لنا وهو ينظر الينا نظرة الند الى نده.

(أى فندق تقصدون) فقلنا (فندق الكونتيننتال شارع جراند بلفراد) فهز رأسه وابتسم ابتسامة الساخر وقال (ليس فندق الكونتيننتال فى شارع جراند بلفراد يا صديقى) وحمل أمتعتنا فسرنا خلفه الى أن وصلنا الى سيارة وضعنا فيها أحمالنا وركبناها الى فندق الكونتيننتال.

جال بخاطرى وأنا جالس فى السيارة مع والدى خواطر ثلاث: الاول إنى رأيت فى الباريسيين وجوها ليست بالغريبة عن وجوه الشعوب اللاتينية التى يعيش كثير من أفرادها تحت سماء بلادنا. والثانى إنى شعرت بالفرق الهائل بين الشعب الالمانى والفرنسى فالاول شعب أرستقراطى والثانى شعب ديموقراطى ففى المانيا ترى الخدم يلبون إشارة السيد طائعين كالعبيد وفى فرنسا تجد الحمالين يعاملونك معاملة النظير وما أجمل أن يشعر جميع أفراد الشعب بكرامة أنفسهم. والثالث إنى لم أجد باريس تستهوى الافئدة وتأسر القلوب فأين جمالها الذى كانت تتوق نفسى لرؤيته. لقد كنت أظنها بلدة أديمها من فضة وحجارتها من ذهب فاذا بها بلدة من البلاد بل هى كالقاهرة إذا نظرت اليها من فوق

مذكراتى عن باريس

أكتب اليوم مذكراتى عن باريس ، أكتبها كما تمليها على نفسى ، لا أريد تميق العبارة ولا المغالاة فى الوصف شأن فطاحل الكتاب والشعراء ولكنى أريد كتابة ما شعرت به نفسى وتصوير ما رأته عينى فى غضون عدة سنوات قضيتها فى بلد العواطف والجمال والعلم والعرفان والحقيقة والخيال .

(١)

اليوم الاول

ركبنا القطار من براين ظهراً قاصدين باريس فوصلناها صبيحة اليوم التالى . قضينا الليل فى تلك الغرفة الخشبية وحاولنا النوم مراراً فلم نفلح فمكثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن لاح الصباح وما أجمل إنبثاق النور على تلك الاراضى الخضراء . أما السماء فكانت متلبدة بالغيوم ثم بكت عين السماء قليلا فشعرنا بوحشة وانقباض ولبثنا واجمين لا ننطق ببنت شفة ننظر لتلك القصور القديمة التى كنا نراها من نافذة القطار ، قصور شاهقة قائمة فوق تلال خضراء عليها مسحة من القدم دعتنا لأن

الكتاب السادس

مذكرات باريس

خواطر

١ لا يهدم المشروع الكبير غير الحياء .

٢ الجبن هو سر تأخر الشرقيين لأنهم لا يخاطرون بكل ما عندهم فى سبيل نجاحهم .

٣ الرأى الجديد يؤلم لأنه يفاجئ الانسان قبل أن يأخذله عدته .

٤ لا خوف على الأمة من الرأى الجديد لأنه يفيد إن كان صائباً ويموت إن كان واهناً .

٥ الرجل ذو الأرادة القوية إذا كان سيئ النية يكون أقل خطراً على الامة من الرجل ذى الارادة الضعيفة إن كان خالص النية .

٦ يستحيل على من وُلد فقيراً ثم إغتنى فى سبيل الصدفة والخداع أن يصبح يوماً صديقاً يعول عليه .

٧ من الناس قوم يستحيل عليهم أن لا يخلطوا الجد بالهزل . هؤلاء والبهائم فى مستو واحد .

٨ الصداقة كالحب تحمل فى نفسها مهدها ولحدها .

٩ ليست التعاسة فى أن تحب وأن لا تكون محبوباً ولكن التعاسة فى أن تكون محباً محبوباً وتجبرك الظروف على مغادرة من تحب .

١٠ الحب يحمل تحت ابطه رداء الفضيلة ليرتديه كل انسان وضيعاً كان أو رفيعاً .

(١٩١٨)

يبلغ الثانية عشر من عمره ، يمسك بكتاب فى يده مكتوب عليه هذا العنوان (مبادئ علم الفلسفة) ولبثا يتناقشان مع عمتهما ثم قمنا سويا للعشاء ومكثنا نتسامر بعد ذلك ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربى لقد كنت أبلغ التاسعة عشرة بل كنت على أبواب العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكنى كنت جاهلا بعلم طبقات الارض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسى البالغ من العمر ثمان سنوات أو اثنتى عشرة سنة فهو خبير بعلم طبقات الارض وبعلم الحيوان والنبات والمنطق وعلم النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ الجاهل أمام الاستاذ المتعلم .

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فإن كان من القسم العلمى جهل علمى التاريخ والجغرافيا وإن كان من القسم الادبى جهل الرياضيات والكمياء والطبيعة . أما علم طبقات الارض والحيوان والنبات والفلسفة فلم تقرر بعد فى برنامج المدارس الثانوية ولا ندرى السبب فى ذلك . نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصلح فى الغد ما أهملته بالامس .

(٣١ اكتوبر ١٩١٨)

هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحى ليون ، جبل أخضر اللون تكتنفه تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق ، وعلى قمته بَنَتْ يد ناسك متقشف بيتا صغيراً يقضى فيه حياته تحوطه حديقة غرس أشجارها بيده. هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام بيته وهناك اعتزل العالم وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت منذ ثمان سنوات فى أسرة افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس فيها اللغة الافرنسية ، وكان بيتهم غير بعيد عن الجبل وكنت أشرف منه على مدينة ليون فتتراءى لى فى ظلام الليل بمصابيحها اللامعة . أيام جميلة تعيدها الذكرى لنفسى وما أجمل الذكرى والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءاً من عمره لاقى فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل أسرة إفرنسية مكونة من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحا إلى المدرسة ويعودان منها قبيل الغروب فيلعبان ويمرحان فى الحديقة الى أن يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالعة ويقضيان مع عمتهم ساعة من الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد . وأبيح لى أن أشهد هذه الدروس لتعتاد أذنى سماع النغمة الافرنسية ، ففى ذات ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر إلا ثمان سنوات ، قطعا من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته ورأيت الطفل الكبير ، وكان

قد وضع حمله أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق فأخذت من بين بضاعته الثوب الذى دفعت ثمنه وما دفعنى لذلك غير الانتقام وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورائى وأمسك بى ثم أخذ الثوب منى ومازالت بين يديه يصفعنى تارة ويهزنى طوراً الى أن سلمونى ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن . ثم تبسم الشيخ احمد وقال ولكنى لا أكذب القول لقد كنت على أحسن حال فى سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعا . وغادرنى الشيخ احمد وهو يبتسم حاملا الواح الثلج كعادته فقلت فى نفسى حرام أن يعاقب الابرياء أما المجرمون فما زالوا يعيثون فى الارض فساداً ثم القيت نظرة أخرى على الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظرى فرأيت فيه صورة البائس الذى يخرجه المجتمع الانسانى من حيز الابرياء الى حيز المجرمين وكيف لا يكون الامر كذلك والشيخ احمد لم يشْك فى سجنه ضيقاً ولا جوعا .

(١٣ اكتوبر ١٩١٨)

وجدرانها وكل شئ فيها سلامه وبينها أشواقه ولو كان للارض والجدران لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيـات اللقاء بعد الفراق . ناديته فابى ندائى ووافانى يتعثر فى مشيته فسألته عن سر غيبته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج فى أعماق السجون ؟

— إنى والله برئ .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشترى الملابس الرثة ثم يبيعها فى الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه يا شيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو إلا حانوت متنقل

— بورك فيك يا سيدى فقد عرفتَ الرجل. لقد سألتُه يوماً شراء ثوب كان فى يده وساومته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بعشرة قروش وغادرنى وسار فى طريقه ولكنه التفت الى بعد حين ونادانى قائلا هات الثمن وخذ الثوب فاعطيته ما كان فى جيبى وكنت لا أملك سوى عشرة قروش فوضع الدراهم فى جيبـه وسار فى طريقه فجريت وراءه لآخذ الثوب ولكنه نهرنى ثم ضربنى وربح الصفقة منى فالتفت يمنة ويسرة لعلى أجد فى الطريق رجلا ذا شهامة ومروءة يرد الىَّ مالى فلم تقع عينى على غير آكام الرمل فعدت أدراجى صفر اليدين لا أملك أبيض ولا أسود ولكنى أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبـان الذى وجد ضعفى وبؤسى وسيلة يبرر بها جريمته . وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان

سارق وسارق

الشيخ احمد يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهوينا لضعفه وانحلال قواه وإذا نظر اليك إنبعث من عينيه بريق يهز أوتار قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه فى صبيحة كل يوم يحمل على ظهره المقوس الواح الثلج يسير بها فى شوارع الرمل ليودعها فى البيوت والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قادته غير البلوى فهو من الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول . ولقد أطلق عليه أطفال الرمل اسم الشيخ احمد لسذاجة طبعه وضعف قوته فهو فى نظرهم ألعوبة يقتلون به الوقت والوقت فى نظر الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فردده الكبير والصغير والغنى والفقير والشريف والحقير وأصبح حامل الثلج لا يعرف فى حى الرمل بغير ذلك الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين فى كل رصيف عند مجيئنا للاسكندرية وكأنا نرى برؤيته جزءاً من رمال الرمل وغياضها وبحرها الهائج غير أنا فى هذا العام حرمنا رؤية وجهه البائس شهراً من الزمن شعرنا باختفاء شيء اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر الشيخ احمد فى ربوع الرمل يحمل على ظهره الواح الثلج ورأيناه فى صبيحة يوم من الايام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يبتسم كأنه يقرئ أرض الدار

— شكرا لك يا سيدى لانك بطبع هذا الكتاب تخدم الشرق أجمع

— بل إنى أشكركم بالسماح لى بطبعه .

— إنك تظهر مآثر العرب وتنشر علومهم الدفينة .

— أجل ولكنى أيضا أظهر للعالم الانسانى كيف كان حال الطب في ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم ولعلى أوفق لذلك .

وودعنا الرجل وانصرف حاملا الكتاب وأتانا به بعد أشهر معدودة مطبوعا متقنا جميلا .

لعلى بكتابة هذه الخاطرة أشرح لابناء وطنى سراً من أسرار تأخر المصريين .

(١٩ سبتمبر ١٩١٨)

— أرى سيدى الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة أحاديث النبى .

— نعم ياولدى وعلى بركة الله .

— قراءة أحاديث النبى ذات فوائد عظيمة لعلكم وجدتم فيها شيئا يعزز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرأها ياولدى على بركة الله .

— ألم تجدوا فى معانى أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض بعض نظريات علم الاجتماع .

— نحن نقرأها يا ولدى على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئا من سياسة الامم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بلحيته وتردد قليلا ثم قال .

— نحن نقرأها يا ولدى على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

. . .

وانقضى شهر رمضان وكدت أن أنسى ذلك اللقاء الى أن ساقت الظروف لدارنا مستشرقا من مستشرقى أوربا شيخا أشيب وقورا حليم الطبع لامع الصفحة ، قدم الى مصر للبحث عن كتاب عربى قديم فى أمراض العيون بحث عنه فى جميع مكاتب العالم فلم يجده فى غير مكتبتنا

جالست مع الرجل وحادثته مليا وقلت له :

سر من أسرار تأخر المصريين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة ، إذا مشى فى طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار ، وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت فى عينيه الطيبة ولا أغالى إذا قلت السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه فى الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر ثم جاء شهر رمضان فاذا بى أراه من نافذة غرفتى يجلس مع أولاده فى غرفة من غرف داره ليقرأ البخارى وإذا بى أرى شيخاً آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالساً بجواره يسمع أحاديث النبى ويهز رأسه استحسانا حتى إذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ فى تلاوة الاحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبى وفى ذلك عبرة لمن يعتبر وذكر لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول فى بيوت الناس كل يوم فجلست معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث فى مواضيع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له .

عينه ثم سار فى طريقه مع ابنه وكأنه تفاءل شرآ مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث فى طريقى قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لابسين من الملابس ما لا يحجب من جسديهما إلا القليل، عاربى الرأس حافيى الاقدام تتراكم على جبهتيهما وملابسهما القاذورات والاوساخ — تسابقا لمكان الحادثة ولما وصلا اليه ركعا على الارض وابتدا يلحسان اللبن وكان لبنا بالتراب لا بالقهوة .

يالله أترفض نفسى فى هذا الصباح فنجان لبن بقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبنا ممزوجا بالتراب

(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحوت من نومى ولبست ملابسى ، أتتنى الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . ألقيت نظرى على الطعام فوجدته مختلف الالوان من جبن وزيتون وبيض ولبن وقهوة وكانت لى شهية للأكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعت ثم نظرت للبن والقهوة وقلت لنفسى (إنى أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعت من غيره اليوم وليس فى مقدورى أن أضيف الى ما فى معدتى من اللبن شيئاً) وقمت لأرتدى ملابسى وإذا بى أرى كلبى يبصبص لى بذنبه فأفرغت ما كان فى فنجانى من اللبن فى وعاء الكلب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قليلا مترقبا وصول القطر الذى يقلنى حتى المحطة التى أسكن فيها وإذا بى أرى رجلا يبلغ الخمسين يسير وراءه طفل ما شككت فى أنه ولده يحمل معه قدراً مملوءاً بسائل لا أعرفه وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلا وإذا بالولد يهوى على الارض والاب يهوى فوقه ولحسن حظهما لم يصابا بسوء ولكن القدر انكسر وسال ما فيه على الارض وكان لبنا ناصع البياض فنظر اليه الرجل نظرة ملؤها الاسف وكادت الدموع تسيل من

وطئتها أقدامى بالامس فاذا بى أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره غادة ما شككت فى أنها زوجته . وشعرت خلفى أيضاً بالرجل الثانى يسير مع سيدة ما شككت أيضا فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفا من بعيد ينظران للارض دون أن يجسر أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحادث الاخرى وهى لامعة الصفحة باسمة الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهتها لمنزلها .

يا للعجب . بالامس وقف الرجلان يعتب الواحد منهما على الآخر لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصنم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الاول والثانى ود وصداقة . كل هذا لا نفعله احتراما لنسائنا بل احتراما لتلك الخرقة التى نضعها على وجوههن ، والتى نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه إذا قابله مع زوجته ظنا منه أن فى ذلك ما يحط من قدر الزوجية إذ للرجال عالما منفصلا عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف الاربعة ليتحادثوا معا ويتنزهوا معا وعلى الأخص إذا كان الرجل صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أى حائل يحول بينهم والى متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن فى غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء فى مصر ؟

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

ما أجمل الصيف فى رمل الاسكندرية وما أجمل رمل الاسكندرية فى عين المصطاف . الأرض صفراء والحدائق خضراء ومياه البحر زرقاء والامواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى الصيف والقمر فى منتصف كل شهر أشعته زاهرة تنعكس على وجه الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام فى ماء البحر كل صباح يعيد للنفس نشاطها وللقلب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجمل منه أن تخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف فى طريقك صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الهوينا معا تنظران لجمال الطبيعة وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدو فى صغائر الامور وكبائرها فوق هذه الرمال

أخرج فى العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلى قبيل المغرب . ففى ذات يوم خرجت للتروض كعادتى وبينما أنا سائر فى طريقى لمحت رجلا يقرب منى من بعيد وشعرت برجل آخر يسير خلفى ثم اقترب الرجلان وسلما على بعض وهما يبتسمان ووقفا هنيهة يتحادثان ثم سارا معا أمامى وهما يعتبان على بعضهما لطول غيبة الواحد عن الثانى فما شككت فى أنهما صديقان التقيا فى هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلى وتركتهما معا ولم أعلم عن أمرهما شيئاً إلا عصر اليوم التالى .

خرجت فى اليوم التالى للتنزه كالعادة وسرت فى الطريق التى

الناس بمظهر الصائم حتى إذا جاء دخل القهوة سراً ودخل فى ركن من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهاراً والفاطر سراً .

والمنظر الثالث منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذى أتى القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوبة ماء وكل هذا بقرش تعريفه فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس وشرب القهوة والماء أمامهم وهو يقول لنفسه (الله يعلم انى مفطر فلتعلم أيضاً الناس لانى لم أفعل ما يغضب الله) .

والمنظر الرابع منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا الافرنسية أو الانكليزية مملوءة بالاغلاط المضحكة ولا يلبس إلا اللباس الجميل ولا يمشى إلا مشية الاعجاب والتبختر وإن ضحك كانت ضحكته نسائية تستلفت أنظار الرجال قبل النساء وإن تكلم سالت من فمه الرقة وادعى أنه ممن تتفانى النساء فى محبتهم . يجلس هذا الشاب على قهوة ماتاتيا واضعاً رجله اليمنى على رجله اليسرى خالعاً طربوشه وممسكاً بيمينه كأس الوسكى أو الكونياك يحتسيه جرعة جرعة ، هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا الناس منظر المتفرنج ، منظر العضو الأشل فى جسم الامة المصرية ؟

بل ما أجمل النغمات الموسيقية فى قهوة ماتاتيـا نغمات (أحجار الطاولة) ممتزجة باصوات بائعى أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلست فيها وأتاك أحد السماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الأرض الخ . بل ما أجملها أيضاً وقد جلس فيها كتّاب المحامين يناقشون أصحاب الدعاوى وصغار الممثلين يتحدثون فى شتم اخوانهم ورؤسائهم . والاجمـل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيـا وهى تنظر بعين الغطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والـكراسى المهشمة التى أعدها كاتبو العرضحالات لانفسهم ولزبائنهم على رصيف المحـكمة المختلطة .

كل هـذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحيـاة تسترعى نظر الـكاتب الذى يكره الجلوس فى سولت وجروبى والـكونتيننتال والذى يحب أن يرى بعينه من غرائب الحياة ما يجرى فى أمثال قهوة ماتاتيا .

كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائى كل يوم ولا يعبأ بها ولكنه إذا مر على القهوة فى شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره : أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست أجمل من المناظر الاولى ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس الجفون جهم المحيا ممسكا بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر الشيخ الصائم الذى ضاق فى عينه منزله فأتى ليقضى وقتـه فى القهوة بلا أجر ولا ثمن .

والمنظر الثانى منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً يظهر أمام

رمضان فى قهوة ماتاتيا

خلف المحكمة المختلطة وأمام بنك الكريدى وفى كتف دكان مدكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطى متهللة الوجه باسمة الفم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والمتكبر والوديع :

ما أجمل قهوة ماتاتيا وهى تنظر لحديقة الازبكية نظرة الهازئ تقول لها وهى تبتسم « أنت شاسعة الارجاء كثيرة الاشجار طويلة الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت فأنا أيضا غير نظيفة ولكنى أضم تحت لوائى عددا من الناس لم يطأ أرضك بعد ربعه ولا خمسه فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل اسرائيلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس يحف بها البصل والخيار والقوطه الحمراء والفجل والكرات .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل والشعور المسدلة والقد النحيف واللباس النظيف ينظر مرور الناس ليسرق من جيوبهم باسم (حرفة) الادب والشعر أو باسم (اللاحرفة) الدراهم التى أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها أيضا الصحفى صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التى تصدر لسب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة .

وافقت ليالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الحوذى يبكى . كان الباشا يعد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الحوذى يبيع أثاث بيته ليشترى الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن فى آذان الباشا فينشرح لها صدره وتنبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقع فى قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه .

وفى صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر ونقص من أهل البيت الحقير شخص هو ابن الحوذى البائس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين

ذهب الحوذى لقصر الباشا باكى العين كاسف البال خاوى الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه فى سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده .

إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٦ يونيو سنة ١٩١٨)

عرس ومأتم

شارع (الـ . .) شارع قديم جداً أنشأ فى عهد أمير مصر سعيد باشا وبقى على حاله الاول الى يومنا هذا ولعل السر فى ذلك وجوده فى حى قديم بعيد عن الاحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين القصور الكبيرة تحوطها الاسوار العالية والبيوت الصغيرة الحقيرة التى لا تأوى تحت سقفها إلا المساكين . فى هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة ولهذا الباشا أربعة من الاولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسراتها

أراد الباشا أن يزوج ابنـه الاكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالا وأقام الأفراح فى قصره أربعين ليلة متواليـة حتى ملت النفوس سماع النغمات ورؤية التعاليق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً ! ! ! تلك لعمرى مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شىء كانت له ضجة هائلة فى ذلك الحى بل كان حديث الناس فى كل مكان

.

. .

وفى ذلك الشارع أيضا بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات الـكارو له ولد مريض أربى على الثامنة عشر لازم الفراش أربعين ليـلة

وأمر بحل وثاقه وأخذه على ناحية وهمس فى أذنه وهو يتلمظ وقد سال اللعاب من فيه .

— ما الذى معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حتة

فأعطاه الطفل الحلاوة والتهمها العريف وهو يبتسم وعاد الطفل لمكانه . وخرجت من الكتّاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق السوقة لا أظن انى أراه فى مكان آخر ؟

٢٣ مايو سنة ١٩١٨

كرسيه وصرخ فى الاطفال صرخة أراد بها اظهار مقامه بينهم ولكنى لا أنكر انى ارتعدت عند سماعها كما يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم التفت يميناً وشمالا فرأيت طفلا ينسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفى فى يده شيئاً وإذا بالعريف يصيح .

— إلى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ تعال هنا

فأتى الطفل وهو يتعثر فى مشيته وصاح العريف مرة ثانية .

— علىَّ (بالفلقة) .

فأتاه بها أكبر الاطفال سناً وشدوا وثاق الطفل وأقسم العريف بأغلظ الأيمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحا لانه خالف النظام والاوامر الجديدة وهمَّ بضربه وهو يقول .

— أقسم بالله والنبى والرسل والصحابة والاولياء والاتقياء الاحياء منهم والاموات إنك لا تفات من يدى . سوف ترى . سأحل بك أشد عقاب رأته العيون وسمعت عنه الآذان من عهد آدم ونوح . ما الذى تخفيه فى يدك ؟ تكلم . لماذا غادرت مكانك خفية . . ما الذى بيدك ؟

فصاح الطفل وقد رأى العريف يهم بأن يهوى بعصاه على جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبى يا سيدنا حلاوة .

فابتسم العريف وقال

— صفحت عنك لأنك قلت الحقيقة .

درس فى كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحمزاوى والسكة الجديدة على حارة درب سعادة اسم (شارع) ولا أدرى لماذا يفعلون ذلك وحارة درب سعادة ضيقة تكاد تلتطم العربات بجدرانها إذا مرت فيها وهى ملأى بالقاذورات والاوحال صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان فلم تضن عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة) وان كانت ضنت عليهم بمصابيح الانارة . وفى هذه الحارة ، أستغفر الله بل فى هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة وبجوار هذا الجامع كتّاب صغير يطلق عليه كتاب (سينو اغا). كنت أسكن هذه الناحية وأنا صغير بل فى هذه الناحية ولدت وفيها ربيت ولم أتركها إلا وأنا يافع بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التى لم يبق منها إلا دمن تبعث الذكرى فى القلوب ، ذكرى الطفولة العذبة الجميلة . أذكر انى وددت وأنا صغير أن أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التى كنت أذهب اليها كل يوم فدخلت مع خادمى وصعدت للطابق الاعلى ورأيت الاطفال جلوساً كلاً أمام قمطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية وكان (الفقى) غائباً ذلك اليوم أما (العريف) فكان واقفاً فى وسط الغرفة وبيده عصا (جريدة) تنظر اليها الاطفال نظرات ينبعث من بريقها الخوف والوجل . رآنى العريف وحيانى أجمل تحية وأجلسنى على

وقفنا نخطب فى المجمع ويصيح بملء فيه (الطب أيها السادة هو النبع الفياض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحا معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد فى مستو واحد . بل ربما كان الطب أوسع صدرا للفقراء وأحنى قلبا على الضعفاء والبائسين ، الطب . . .)

٤ ابريل سنة ١٩٢٨

مخالب الموت) فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفه واتخذ وجهة الباب وخرج للشارع ليأتى بالطبيب ومشى الرجل فى الشارع وهو يترنح كالشارب الثمل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثا فخرج خادم أسود وهو يهيم ويزمجر وقال له (ماذا تريد ؟)

— ابنتى تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه علىّ أن لا أجيب سائلا .

— ولكن ابنتى تموت .

فأقفل الخادم الباب ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه (أجل سأفعل ذلك وماضرنى لوفعلته) واذا به يرى رجلا يسير الهوينا فى الطريق فمد له يده وقال (حسنة يا سيدى) فانتهره الرجل وسار فى طريقه . ومر رجل ثان وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الخيبة فى كل مرة . وإذا بالشرطى يقول له : (ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول فى الطريق . هيا الى القسم) ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطى فقال له : (لم أتعود التسول يا سيدى ولكن ابنتى تموت فأردت أن أجمع أجرة الطبيب فلم أجد غير هذه الوسيلة) ولكن الشرطى قاده للقسم وهناك قضى ليلته .

وفى الصباح عاد الفقير لمنزله بعد أن أطلق سراحه وكانت الساعة تدق العاشرة واذا به يسمع صراخا وولولة فهرول لداره فوجد زوجته تبكى وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب عليها وقد فقد الرشد .

وفى هذه الساعة . الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور ... بك »

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم فى أحشائه جماعة ممن يبيتون على الخسف ويشربون على غير ثميلة . قوم فقراء أضر بهم المرض وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجمل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً) إذا مر الفقير وقرأهما دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الاطفال فى البيت) أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتسم ابتسامة تعبر عما فى قلبه من الشكر والرضى وما رضى الفقير إلا حسنة من حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا أن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب ونسينا أن أحد الفقراء فى تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فرش ابنته الحامل التى كانت تصرخ من الألم وهى ترتعد من البرد وقد اصطكت أسنانها وتقلصت شفتاها وسالت دموعها على خدها تكتب سطور البؤس والألم . ابنة فى الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد أن تركها حاملا وهى الليلة تلد وقد تعسرت ولادتها فأصبحت على قيد شبرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين يديه وهو كاسف البال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجته العمياء التى كانت تبكى وتضرب رأسها فى الحائط تقول له : (أنسيت أن الدكتور . . . . بك يعالج الفقراء مجانا . إذهب اليه واطرق بابه فربما رق قلبه وانقذ ابنتنا من

للفقراء مجانا

بينما كان الظلام ملقيا رداءه الأسود على المدينة والسكون ضاربا خياله والناس رقوداً فى منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالسا أمام مكتبه يخط بيده الكريمة ما يمليه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور فى تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لاول مجمع طبى مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوى أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم فى يده كانهُ رمز الجد والعمل والحنو والشفقة ، وما لبث الدكتور فى مكانه قليلا حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفياض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحا معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد فى مستو واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء وأحنى قلبا على الضعفاء البائسين ، الطب . .) ثم تمهل الطبيب قليلا وفكر كثيرا وهو جالس أمام مكتبه يمنعه عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوى باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وهو يلهث من التعب وقد عجز عن الكلام فحملناه الى الدار ليستريح ويأكل ويشرب .

سبحان ربي ، الفرق كبير بين الاثنين . الأول شاب اتخذ الكسل حرفة والادب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا التي تموت فيها العواطف أو بالحرى الى الموت الأدبي . والثاني شيخ أقعده الكبر ونال منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى في المعركة الكبيرة معركة الحياة وعزّ عليه أن يمد يده للسؤال فعمد للعمل مفضلا الموت على الجبن . والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التي يسمو فيها الانسان لذروة الشرف أو يموت فيها ميتة الابطال ؟

(مايو سنة ١٩١٨)

— البيك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم فى مصر، والبيك يعرف كساد سوق الأدب فى مصر، والبك يهمه أمر الأدباء فى مصر، والبك يساعد الأدباء فى مصر .

فأجبته بابتسامة صفراء قائلا .

— والبيك ليس فى جيبه إلا ثمن تذكرة الترام .

فضحك الشاب وقال .

— أنا أطلب مبلغاً لا يزيد عن شلن ولا ينقص عن نصف فرنك والبيك كريم .

فأخرجت من جيبي قرشين أعطيتهما له وسرت فى طريقى لأركب الترام .

. . .

نزلت من الترام عند باب الحامية واتخذت وجهة دارى وأنا أسير الهوينا وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين ضخم الجثة محنى الظهر له لحية بيضاء تتدلى على صدره يدفع بيده عربة صغيرة عليها فجل يبيعه للناس . يسير هنيهة ويستريح أخرى ويصرخ من أعماق قلبه (ريان يا فجل) والناس تسير بجواره دون أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون له بثمن كأس من الجعة اعتادوا شربه كل مساء .

سار الرجل فى طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع وحانت منى التفاتة له فوجدته يصرخ (ريان يا فجل) ثم وقف هنيهة ليستريح وإذا به يهوى على الارض فأسرعت مع الخدم اليه فوجدناه ملقى على الثرى

ريان يا فجل

قضيت صباح أمس ساعة فى قهوة بميدان الاوبرا قرأت فيها الجرائد وشربت فنجانا من القهوة ثم هممت واقفا وعزمت على العودة لدارى للغذاء فقصدت ميدان العتبة الخضراء لاركب الترام . وبينما كنت ماراً أمام دار البريد استوقفنى شاب أسمر الوجه وضاح الطلعة قوى العضلات رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما فى قلبه من عزم ونشاط : وكان لابسا معطفا جديداً يخفى بدلة ما شككت فى أنها من عمل دايا أو ريبو .

استوقفنى الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددت السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابى وحيرتى وقلت لنفسى « ماذا يريد الشاب منى وليس لى به معرفة ولم أصادفه فى طريقى قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائى يود محادثتى فى أمر يخص ذلك الصديق أو لعل له قصد آخر » ومشى الشاب بجانبى وهو يبتسم ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع فى سيره .

— كلا يا سيدى أنا عائد لدارى .

— أيسمح لى البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

الكتاب الخامس

خواطر

قطع مصرية ضمنها ملاحظاته عن الحياة

١٢ يتعود الذهاب متأخراً لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله

١٣ يذهب الى إحدى الحانات ليلا فيقضى فيها لياته للصباح
ثم يقصد دار الفاروق ثملا مترنحا

١٤ يطرد نهائيا من دار الفاروق

١٥ أصبح حسن محرراً صعلوكا يعيش عيشة الأدنياء الساقطين .

تم

ملحوظات ختامية [١]

(يُعرف منها موضوع الرواية الختامى)

١ حسن يرسل لحبيبته خطابا باسم صاحبة لها مُدَرِّسة

٢ امتحان البكالوريا — سقوط حسن

٣ خطاب من حبيبته

٤ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى .
أول مرة أهان أمه فيها

٥ يرد على خطاب حبيبته ويعتذر اليها

٦ دخوله الفاروق كمحرر

٧ أصبح محرراً وأصبحت حياته كما يأتى : يقضى عصر يومه
فى القهاوى وليله فى محال الخمور

٨ يتعرف بشبان أغنياء يغرونه على القمار

٩ أصبح حسن مقامراً

١٠ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .
أنه فى احتياج شديد للدراهم . تقرضه والدته

١١ الوالدة تبيع حليها

(١) كتب المؤلف هذه الملحوظات الختامية ليستعين بها على اتمام فصول الرواية فنشرناها ليعرف القارىء منها موضوع الرواية الختامى باختصار

عبد اللطيف بك الجرس وأعطى المقالة للخادم آمراً إياه أن يدفع بها لتنشر . فقال لعبد اللطيف بك .

— كنت أود أن يقرأ البك المقالة ليصححها .

— نحن لا نصحح ما تجود به قرائح رصفائنا . ولكن قل لى متى ينتهى امتحانك ؟

— بعد خمسة عشر يوما .

— أود أن تمر على بعد انتهائك منه لأحادثك فى مسألة هامة .

— إنى رهن إشارتك .

وهمّ المحامى واقفاً واستأذن فى الخروج وهو يقول لحسن .

— أعيد عليك جملتى السالفة (الأحلام يا ولدى تحقق إذا ارتكن الانسان على نفسه) .

ثم خرج بعد أن صافح صديقيه .

وحسن لا يعوزه فى الدنيا إلا ارتكانه على نفسه فهل يفلح فى مسعاه .

ثم جاس صاحب الجريدة ليفاوض حسناً فى اشتغاله بالفاروق رئيسا لقلم الترجمة .

(ملحوظه : الى هنا ينتهى ما كتبه المؤلف من رواية الشباب الضائع)

فأجاب المحامى .

— ما شاء الله .

وقال صاحب الجريدة .

— ولم يمنعه اشتغاله بالعلم من مساعدة جريدة كجريدة الفاروق

— هذه خصلة حميدة تثبت لنا تعلقك الشديد بالصحافة وكلفك بها

فأجاب حسن وهو يتردد فى القول .

— هذا من حسن أفضالكم وجميل سجاياكم .

فقال المحامى .

— وأى المواضيع يطرقها حسن افندى ؟

— أكتب فى مواضيع خيالية وأحب المقالات الاخلاقية ولى كلف بترجمة ما يكتب فى الجرائد الانكليزية .

— شىء جميل . انى أبشرك بمستقبل عظيم . ستغدو يوماً ما صاحب جريدة .

— هذا حلم جميل .

— الاحلام تتحقق يا صديقى إذ ارتكن الانسان على نفسه .

فقال صاحب الفاروق مخاطباً حسناً .

— وهل أتيتنا بشىء جديد ؟

— بالمقال الاول من مقالات خواطر .

وأخرج من جيبه رزمة أوراق دفعها لصاحب الجريدة . فدق

— وهل هو عليم به ؟

— كلا . سأعلمه به بعد اتفاقى مع من سأستعيض به عنه .

— وهل وفقت لشاب حسن السيرة والسريرة ؟

— نعم . ولا ينقصنى إلا الاتفاق معه .

ودخل عليهما فى هذه الساعه حسن أمين وهو باسم الثغر فالتفت عبد اللطيف بك لصاحبه المحامى وأسره هذه الجملة (افتكرنا القط جانا ينط) . وصافح حسن أمين المحامى بعد أن قدمه له صاحب الفاروق وجاس الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث . فقال المحامى .

— لقد حادثنى عبد اللطيف بك عن حضرتكم كثيراً ومدح لى غيرتكم على تقدم الصحافة.

فاحمر وجه حسن وقال بصوت متهدج .

— إنى لا أستحق كل هذا المديح .

— إنك لا تحب أن تذكر الناس حسناتك وهذا شأن كل نابغة عظيم .

— حاشا لله أن أكون نابغة لانى ما زلت تلميذاً أتلقى العلم فى المدارس الثانوية .

— وفى أى مدرسة أنت ؟

فأجاب صاحب الجريدة .

— فى السنة الرابعة بالمدرسة الخديوية .

— أتيتُ لأحادثك بشأن المقالة التى تعرضتْ لك فيها احدى جرائد أمس . اتسكت عن هذه الوقاحة ؟

— السكوت خير وأولى .

— ليست هذه الجريدة من الجرائد الساقطة التى تبيع شرفها فى سبيل المال وليست المقالة مقالة مدح ولا ذم والسكوت يسئ من سمعة الفاروق فأولى لك أن تكتب رداً يكبح جماح أعدائك ويرد كيدهم فى نحرهم

— أتستصوب ذلك ؟

— بلا شك . ان الفاروق هو الجريدة الاسلامية الوحيدة المنتشرة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى نخذ لنفسك الحيطة ياصديقى واعمل أن الله مع العاملين .

مكث صاحب الفاروق هنيهة يفكر ثم نظر لصديقه نظرة طويلة وقال :

— ستظهر المقالة غدا .

— بل اليوم .

— محال لقد أزف الوقت وليس عندى متسع للكتابة .

— إذا فلنرجئها للغد . وما الذى أنت عازم على فعله مع المحرر السورى ؟

— قررت فصله .

وكان البك من العمد الذين لم يتعلموا القراءة ولا الكتابة . وانصرف محمود افندى حاملا فى يده الدراهم بعد أن أعطى لابى شنق الوصل ممضى عليه .

وتحادث صاحب الجريدة مع البك عن أحوال بلدته وعن الامن العام فيها وعن رأيه فى النفى الادارى وأبدى له الزائر آراءاً لو لا كرم الضيافة لقهقه لسماعها صاحب الجريدة هازئاً ساخراً . وانصرف البك بعد أن شرب القهوة وهو يتعثر بأذيال جبته وقفطانه ويصيح بملء فيه « السلام عليكم » .

ولما خلا صاحب الجريدة بنفسه قرع الجرس ودفع للخادم بالمقالة الافتتاحية ليذهب بها لتنشر . ومكث هنيهة يضرب أخماساً فى أسداس. ثم دخل عليه الخادم ليعلن قدوم زائر جديد .

دخل الزائر فلم يقم له عبد اللطيف بك لما بينهما من الود والاخاء فصافحه الزائر ثم جاس بعد أن سأل صاحب الجريدة أن يعطيه سيجارة اعطاها له عن طيب خاطر وهو يبتسم . وابتدأ الحديث قائلا .

— كيف حالك اليوم ؟

— على ما يرام . لقد أتيتَ مبكراً . أليس فى عزمك الذهاب للمحكمة .

— ليس عندى من القضايا ما يبعثنى على زيارة المحكمة اليوم وعندى من المحامين كما تعلم من يقوم بأداء الواجب بالنيابة عنى .

— حسناً فعلت .

— أدخله .

ودخل البك الجديد مهرولا يتعثر فى أذيال جبته وقفطانه وصاح بملء فيه .

— السلام عليكم

— وعليكم السلام ورحمة الله .

وهمّ البك واقفاً وصافح زائره بيده وأجلسه فى صدر المكان وقدم له سيجارة بعد أن أمر الخادم أن يأتيه بفنجان قهوة وابتدأ يحادثه وهو يبتسم .

— لقد تكرم البك بزيارة الفاروق فمرحى له وأهلا وسهلا به .

— لقد تشرفت بهذه الزيارة التى كانت تطمح اليها نفسى منذ عام. إنى مشترك بالفاروق وأقرأه كل يوم ويلذ لى مطالعته كثيراً ولولا إقامتى فى الريف لكنت أول من يكثر التردد على صاحبه . فعذراً يا سيدى عذراً والكريم من يقبل العذر .

— إن عذر سيدى البك مقبول على العين والرأس أما زيارته لادارة الفاروق فهى مِنّة كبرى لا أنساها أبد الدهر .

— ولقد أتيت بالاشتراك فأرجو قبوله .

فأظهر صاحب الجريدة امتعاضاً ولكنه قرع الجرس وأمر الخادم أن يناديه بأحد رجال الادارة وما غاب الخادم دقيقة حتى عاد ومعه محمود افندى المنوفى محصل الاشتراكات واليه دفع البك قيمة الاشتراك فلما قدم اليه الوصل ليمضيه اعتذر البك لألم فى يده وسأله أن يمضيه عنه .

— إذا كان ما نكتبه فى جرائدنا من نوع مقالاتك . وامثالك كما نعلم جميعاً قليلون فى هذا البلد الامين .

— إنك تطريني يا شيخ عبد الله .

— أنا لا أقول إلا الصدق فان ظننت فيه الاطراء فشأنك وما تظن .

— أشكرك . ولو انى أظنني أقل كفاءة من ذلك .

وهم واقفاً فقال له بحرى .

— وإلى أين ؟

— أود أن أرى البك .

وخرج مسرعا لا يلوى على أحد .

. . .

كان محمود بك عبد اللطيف صاحب الفاروق ورئيس تحريره جالساً أمام مكتبه يحرر المقالة الافتتاحية . وكانت الغرفة التى كان جالسا بها مزدانة بأفخر الرياش وبها لوحة كبيرة مكتوب عليها بالثلث (بسم الله الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبينا) وصورة متقنة للبك مرسومة بالزيت صنعها له أحد ماهرى الرسامين بمصر .

جلس البك جلسة الكاتب المفكر ينظر للنافذة تارة ليستجمع أفكاره وللورقة تارة أخرى ليخط ما عليه عليه قلبه . فلما انتهى من مقالته سمع خادمه الخصوصى يقول له :

— احمد بك أبو شَنَقْ ينتظر فى غرفة الاستقبال .

— خبر استقالة مدير مصلحة البريد . أصحيح ذلك ؟

— الفاروق لا ينشر غير الاخبار الصادقة وإن نشرها قبل أن تحقق .

— لله درك .

وإذا بأحد الخدم داخلا وفى يديه ورقتان دفع بهما للشيخ عبد الله وهو يقول

— بريد زفتى وميت غمر يرجو البيك أن تصلح ما به من خطأ .

فتناول الأستاذ الورقتين وهو يقول (الأولى بك أن تقول البك يرجوك فى كتابته من جديد) وخرج الخادم وكأنه لم يسمع ما قاله الاستاذ .

فالتفت حسن لشيخنا المسكين وقال :

— أيسرك اصلاح بريد الاقاليم ؟

— مرة فى كل شهر

— بل قل مرة فى كل عام . وهل عزم الفاروق على زيادة صفحاته الى اثنتى عشر

— هذا ما لا علم لى به ولا اظن مذيع هذا الخبر صادقاً

— ولم ؟

— يصعب علينا ان نملأ ثمانى صفحات طويلة عريضة فأنى لنا ان نحرر اثنتى عشر صفحة . ومن من المصريين يقدم على مطالعتها .

— المصريون متشوقون للمطالعة .

(وكان البيك صاحب الجريدة) .

— سأطالعه عليها بعد حين .

— جرى هذا الحديث الصغير وبحرى افندى مشتغل بالترجمة كأنه فى واد والآخرون فى واد آخر . فالتفت حسن له وقال :

— وما رأى بحرى افندى ؟

— وعن أى شىء يريد سيدى الكريم أن أبدى رأيى ؟

— عن الخواطر .

— المقالات التى وعدتَ الفاروق بها ؟

— نعم .

— إنى أرحب بها كما أرحب بك الآن .

— شكرا لك . وهل فى عزمك ترجمة مقالات الفيجارو عن المرأة المصرية ؟

— ربما صح منى العزم .

— يا حبذا لو أقدمت على ذلك وأخرجت تلك المقالات ذات التخيل اللطيف والمنهج الواضح .

— أخشى أن تذهب الترجمة بحسنها الرائع .

— هذا تواضع أجل صاحبه عنه

ثم التفت حسن للشيخ عبد الله وقال :

— وما ذاك الخبر الذى نشرته أمس ؟

أى خبر ؟

الديباجة المليحة واللفظ الشائق ويغفلون عن تلك الروح العالية التى اذا قرأها القارئ جرت فى نفسه مجرى الماء المثلوج فى صدر الظامئ

وسكت عن الكلام مشتغلا بالكتابة . فنظر له الأستاذ نظرة عتاب واستهجان وأمسك بقلمه ليكتب وخط على الورقة فى السطر الأول (داس قطار المطرية مساء أمس بجوار محطة منشية الصدر غلاماً يبلغ العاشرة فأسال دماءه وهشم عظامه ونحن نستلفت انظار اصحاب . .) وإذا به يسمع من النافذة صوتاً رقيقاً يناديه قائلا

— عم صباحاً يا شيخ عبد الله

فرفع رأسه لاتجاه الصوت ولما عرف صاحبه ابتسم وقال

صباح الخير يا حسن افندى . تفضل .

وإذا بصاحب الصوت يقرئ السلام بحرى افندى فرده بما هو أحسن منه ودخل حسن امين عليهما وجلس على كرسى بعد ان صافحهما ثم التفت يمنة ويسرة ورفع رأسه للسقف ثم قال

— انى أتيتكم اليوم بالمقال الأول من مقالات (خواطر)

فقال الأستاذ .

— وكم عدد هذه المقالات الشائقة ؟

— ربما أربت على العشرين .

— ما شاء الله .

— وأود أن تظهر المقالة الاولى فى الفاروق اليوم

— وهل اطلع عليها البيك ؟

— وهل تظن أن خربوشاً محروم من مواهب الفن ؟

— من مواهب الابتكار فقط والابتكار أساس الكتابة

— وهل قرأت قصيدة على بدر . لقد دفع الىّ بها رئيسنا لتنشر فى صدر الجريدة

— أظنها لا تخلو من المدح

— كعادته

— أف لشعرائنا الكرام . فقد قل من يعتنى منهم بالخيال والمعنى

— وماتقصد بذلك .

— أقصد أن الشعر لا يستعذبه القارئ إلا اذا كان لشاعره وحى من السماء

— الشعر يا صاحبي هو اللفظ الحسن والديباجة الأنيقة .

سكت الافندى هنيهة وهو مطرق للارض ثم رفع رأسه وحدق فى وجه الاستاذ وقال (ربما) وذهب تواً الى مكتبه وهم بالترجمة فاذا بالاستاذ يقول له

— لعل لك رأى آخر ؟

فابتدأ الافندى فى الكتابة وقال وهو ينظر فى الجريدة (ربما) فعز على شيخنا ذلك فقال

— أتهزأ يا بحرى أفندى بالكلام المنسجم واللفظ الأنيق

— حاشا أن أكون ذلك الرجل ولكنى أكبر على شعرائنا المفلقين أن يصرفوا هممهم للغزل والمدح والرثاء والهجو وينتقون لذلك

جلس الاستاذ أمام مكتبه وخلع عمامته ثم وضعها فوق كتاب المصباح المنير وابتدأ يداعبها بيده اليسرى ويشرب لفافة تبغ بيده اليمنى بعد أن انتهى من شرب فنجان القهوة . أما الاقلام والاوراق فكانت ملقاة فوق المكتب بعضها فوق بعض . ووقف الافندى أمامه واضعاً يسراه على كرسى من الخيزران وممسكا بيمينه جريدة المانان . يقرأ فيها فصولها الهامة . فابتدر الاستاذ صاحبه قائلا .

— تفضل سيجاره .

— أشكرك . لقد انهيت من أختها منذ قليل .

واستمر الافندى فى المطالعة والاستاذ فى أفكاره الخيالية حتى أعياه التفكير فنظر لصاحبه فوجده قد طوى جريدته وهم بالذهاب لمكتبه فاستوقفه قائلا .

— هل من جديد ؟

— أكاد لا أجد شيئاً يستوقف النظر اللهم إلا مقالة عن الزواج فى أمريكا ربما اشتغلت بعد حين بترجمتها

— وما قولك فى مقال أمين خربوش

— أحسده على سمو خياله ورقة اسلوبه وأسف لفقر مادته

— صدقت . لو كان مثلك له دراية باللغات الافرنكية لبزهيجو وشكسبير

— ياصديقى اللغات تفتح للاعين طريقاً مغلقة ولكن لا نكساب النفس مواهب جديدة

القسم الثانى

الفصل الأول

بعد عامين

رجلان قطعا من الحياة نصف مرحلتها . الاول معمم والثانى مطربش . الاول له لحية كثة وأنف كبير وعينان لهما أطار أحمر وضعته يد الخمر والسهر وجبة سوداء يصح لنا أن نطلق عليها كلمة نظيفة ولو أنها لا تخلو من بعض بقع لا تظهر إلا لعين الفاحص المدقق . والثانى حليق ذو أنف أفطس وعينان براقتان يلمع فيهما نور الذكاء وبدلة كالح لونها وعذره فى ذلك أنها بدلة عمل . الأول مصرى مسلم والثانى سورى مسيحى . هذا يشتغل فى الفاروق ليحرر باب الاخبار ويصحح ما يكتبه كتاب الاقاليم ، وذاك ليترجم النبذ السياسية عن الجرائد الفرنسية . والغرفة التى كانا بها مساحتها أربعة أمتار فى خمسة وليس بها إلاّ مكتبان وعدة كراسى من الخيزران ولوحة معلقة فوق مكتب الاستاذ ومكتوب عليها بالثلث « الفاروق » .

— كان فى عزمهم السفر غداً كما تعلم ولكنهم سافروا فجأة صباح اليوم .

لم يجب حسن على كلام أمه ودخل غرفته ليقف هنيهة أمام النافذة يندب الهوى ويبكى الفراق . لقد انقضت أحلامه اللذيذه . تحطم سراج حبه الوهّاج وغداً يسكن بيت حبيبته قوم لا صلة بينه وبينهم . لقد كتب له القضاء البؤس حتى فى يوم سعده ففارقته حبيبته يوم نشرت مقالته فلم يتيسر لها أن تشاركه هذا الفرح العظيم .

والقضاء أحكام تحار فيها العقول .

جلس حسن على كرسى كان بجوار النافذة وأرسل دمعة تحدرت على خديه تخط عليهما ما قدرته له الأيام .

وفرحاً وقد أنسته مقالته العالم أجمع . نسى أمه الحنون ، وحبيبته الوفية ، وبيته وكتبه ، وكل من يعرف من الاصحاب ولم يفكر الا فى مقالته التى نشرها الفاروق والفاروق شيخ الجرائد فى مصر . لقد نال حسن ما كانت تصبو اليه نفسه ولقد أثبتت له مقالته الجديدة أن البلاغة أنزلت على فؤاده وأن الالفاظ السلسة سخرت اقلمه وأنه غدا بين الكتاب سيدهم وأميرهم بعد أن يئس من الفوز فى مضمارهم ، وقف حسن فى وسط الطريق ينظر للسماء رافعاً يديه يشكر الله على هذه النعمة ويسأله أن يديمها عليه ثم سار فى طريقه ينتحى جهة منزله . فلما وصل صعد السلم وهو يجرى الى أن لاقى أمه فى ردهة البيت فألقى بنفسه فى أحضانها يسكب دموع الفرح والهناء وقال لها وقد تهدج صوته .

— لقد نشرت مقالتى يا أماه . انى سعيد الحظ .

— أنشرت الحقائق مقالتك ؟

— لقد نشرها الفاروق .

— وهل أرسلت له مقالة جديدة ؟

— كتبتها ليلة أول أمس وأرسلتها له صباح أمس فنشرها اليوم .

فقبلته أمه وهى محزونة الصدر فساءه ذلك لأنه لم يعهد منها الا الفرح لفرحه والحزن لحزنه فنظر اليها نظرة العاتب كأنه يسألها الافصاح عن حزنها وكمدها . وحانت منه فى هذه اللحظة التفاتة الى نوافذ بيت خاله فوجدها مقفلة فالتفت لأمه وقال .

— وهل سافروا صباح اليوم ؟

الغيظ والكمد وبعد أن أنهيا سمع صوت ابراهيم يسرى يطن فى آذانه . . .

ـ أى مقال تقرأ يا عبد العزيز ؟

ـ أقرأ مقال من مزقت مقالته ورميت بها على الارض .

ـ أيجرأ حسن على الكتابة فى الفاروق ؟

ـ خذ واقرأ

أخذ ابراهيم الجريدة وقرأ المقالة الى النهاية . وضحك ضحكة غير طبيعية ثم رد الجريدة لعبد العزيز وقال له :

ـ لقد كان هزأة القوم وأضحوكتهم فأصبح واسمه يكتب على صفحات الجرائد الكبيرة .

ـ هذا ما يدهشنى يا أخى .

ومر أمامهما حسن فى هذه الساعة فالتفت لابراهيم وقال له :

ـ (سلام من رعمسيس الثانى الى ابراهيم يسرى سيد الكتاب فى مصر) .

ومشى فى طريقه دون أن يزيد حرفا أو يسمع من ابراهيم كلمة فالتفت ابراهيم لعبد العزيز وقال له :

ـ ما الذى يقصده من قوله ؟

فلم يجب عبد العزيز ولكن نظرته كانت توحى لابراهيم ما معناه (كما يدين الفتى يدان) .

. . .

انتهى لعب الكرة فخرج حسن مع من خرجوا وهو يميد سروراً

— لقد نشر (الفاروق) مقالتى بعد أن مزقت (الحقائق) أختها ، خذ واقرأ ثم أعط الجريدة لصاحبك ابراهيم لتقوم عنده قيامة الاحزان وتضيفه الهموم والاشجان . اقرأ يا عبد العزيز وثق بعد ذلك بأخيك حسن أمين فقد أضاء نجم سعده وأصبح ممن لا تُفتَح العين على مثلهم فى الناس .

اصفر وجه عبد العزيز وارتجفت شفتاه لأنه كان ممن لا يريدون الخير لاحد وتناول الجريدة من يد صاحبه وأجال نظره فى مقالته وقد أظلمت الدنيا فى عينيه فتعسر عليه أن يفهم منها كلمة واحدة فأمسك بالجريدة مدة وهو كالصنم لا يتحرك ولا يتكلم الى أن قال له حسن وهو ضاحك السن

— هيا بنا الى الملعب لنصله قبل ابتداء اللعب .

وسار الصديقان الى الملعب وفى صدر أحدهما جنة البشر والسرور وفى صدر الثانى جحيم الحقد والبغضاء .

اشترى حسن نسخة أخرى من الفاروق ودخل بها الملعب وأراها لكل من توسم فيه الصداقة والاخلاص فطاف بها الملعب خمس مرات متواليات استوقفه فيها إخوانه كثيراً . وأخيراً وقف بجوار الكشك يقرأ مقالته على فئة من إخوانه .

. . .

افترق عبد العزيز من حسن عند باب الملعب لانه لم يشأ أن يطوف معه الملعب ووقف فى ركن من الاركان يقرأ المقالة وهو يعض شفتيه من

الفصل السابع

كان اليوم الثلاثاء فهرعت طلبة المدرسة الخديوية الى ملعب الكرة لتشاهد فرقة مدرستها تلاعب فرقة انكليزية تفوقت على فرق كثيرة . وكان حسن ممن يميلون لرؤية لعب الكرة فرافق اخوانه الى الملعب وفى عزمه أن يشترى الفاروق من ميدان الحلمية . فلما وصل الى الميدان تناول الجريدة من يد أحد البائعين وأجال بصره فى الصفحة الأولى فوجد مقالته الثانية فقرأها مرتين وهو لم يبرح مكانه وقد ارتعشت يداه واصطكت أسنانه وارتجف ساقاه . وبينما هو يقرأ مقالته اذ به يرى عبد العزيز ماراً بجواره فاستوقفه بنظرة دلت عما يخالج قلبه المسكين من السرور . فلما رآه عبد العزيز بارق الثغر لامع الصفحة وقف يسأله السبب فقال

— لعلك غير ما كان ...

ولكن حسنا لم يمهله ليتم جملته وقال له وهو يسحب أذيال الغبطة

ورمى بها على مكتبه ووقف يتمطى فى الغرفة ثم هدّد الفضاء بيده كأنه يكلم شخصاً خيالياً وقال بصوت خافت (ستنشر هذه المقالة فى الفاروق فيسعد المحسود ويشقى الحاسد) ودخل الى سريره وقد وثق بنفسه واستغرق فى نومه الى أن أشرقت الشمس .

— يتهم الانسان الكلب بالنجاسة لأنه يغار من وفائه .

ثم قام الى غرفته ليخلع ملابسه . ولما فارقها الى الفسحة وجد الطعام مهيأ فجلس مع زوجته واخته وابن اخته يتناولون العشاء سويا . أما لبيبه فأكلت بعض ما تبقى منهم وكانت تشعر بالسعادة والحزن فى ساعة واحدة . سعادة قرب حبيبها منها وحزن فراقها عنه بعد يومين .

فرغ القوم من العشاء وودعت الأخت أخيها وخرجت مع ابنها الى منزلها ومكثت معه هنيهة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قام حسن وقبل يدها وأغلق باب غرفته بعد أن أشعل مصباحه وجلس أمام مكتبه يفكر . ثم أخذ القلم فى يده وغمسه فى الدواة وكتب فى وسط السطر (الحاسد والمحسود) ولبث بعدها عشر دقائق وهو بين عاملين يتجاذبانه عامل الاقدام وعامل الاحجام الى أن تغلب العامل الأول على الثانى فابتدأ فى الكتابة وهو ممتقع اللون خافق القلب وما زال يكتب سطراً ويشطب آخر الى أن أتم مقالته ثم قرأها لنفسه مرتين وهو يمشى فى غرفته بعد أن أعاد كتابتها على ورق جيد ثم طواها ووضعها فى ظرف أعده لذلك وكتب عليه بالثلث

ادارة جريدة الفاروق

بشارع خيرت   مصر

حضرة رئيس التحرير

— سنسافر بعد باكر فهل أعددت كل شيء ؟

فأجابته أخته قائلة

— كدنا أن نتم كل شيء ولم يبق الى عدة حقائب سنجهزها غدا .

وأتت القطة (دلال) وتمسحت فى أذيال سيدها فأخذها على ركبتيه ولاعبها قليلا وقال .

— وكيف نأخذ دلال معنا ؟ هل أعددتم لها قفصا جميلا ؟ أود ان تضعو فيه قطعه من القماش حتى لا يؤلم جريد القفص عظام هذا الحيوان الجميل .

فأجابته زوجته

— لقد هيأت لبيبة لهـا القفص قبل أن تهيء حقائبنا فلا يشغل بالك أمرها

— انى واثق من حب ابنتى لهذا الحيوان الصامت .

ثم التفت لابن أخته وقال

— كيف حال كلبك سحاب ؟

— لقد وجدته اليوم فى ساحة محمد على ولا أدرى ماذا كان يصنع. فرافقنى الى الدار ولقد تركته هناك .

— ان سحاب كلب أمين .

فقالت أخته

— ولكنه نجس .

— انى أسمع الناقوس يدق فهيّا بنا نتناول الغذاء .

وسار الاثنان جنبا لجنب الى غرفة الطعام

. . .

غادر حسن المدرسة قاصدا منزله فلما وصل سأل عن أمه فقيل له أنها ذهبت لبيت أخيها لتعد مع زوجته معدات السفر فقصد منزل خاله وفيه قابل والدته وزوجة خاله وجلس معهما يتكلم فى شؤون السفر ويتأسف على الفراق وكانت تسمعه لبيبة من وراء السجف وهى تبكى لكلامه وتتوجع لآلامه . ودخل عليهم خاله فقام حسن من كرسيه وقبل يده وقال له

— كيف حال خالى اليوم ؟ عسى أن تكون فى خير وسلام

— لا يؤلمنى ياولدى الا فراقكم ولقد حكم به القضاء فعبثا نحاول دفعه .

— هل من حيلة لرد هذا القدر ؟

— انى أجد فى السفر مأمنا يقينى شر رئيسى

— وهل ينوى لك الشر ؟

— انه يعمل على النكاية بى لظنه أنى أرميه فى كل ناد بالرعونة والطيش والجهل التام .

— ومن صاحب هذه الوشاية ؟

— كثيرون ياولدى ولقد صفحت عنهم ولله الأمر .

ثم التفت عبد الرؤوف أفندى لزوجته وقال لها :

اسمك بين الكتاب مكللا بزهور الفصاحة والبلاغة ؟ واعلم أن نفسه لاتود لك الخير لأنه يخشى أن تكون كاتباً عظيماً .

— ولكن الوسيلة التى اتخذها لمنعى عن ذلك المقصد الشريف وسيلة تدل على دناءته وضعة نفسه وما كان عهدى به كذلك .

— انه عُرَّة قومه . وهل ظننته قبل اليوم من ذوى الشرف والحسب والنسب . أعوذ بالله من ذكر السوء عن الاخوان ولكنى مجبر على ذلك وما دعانى الى ذكر حقيقة هذا الشاب الا حبى لك وشغفى بما يخطه بنانك .

— انى أشكرك ياعبد العزيز ،

— لى كلمة أخرى .

— تكلم

— أود أن تكتب مقالا آخر تنشره فى جريدة كبرى كالمؤيد أو الفاروق لتكيد به هذا الوغد .

سكت حسن ونظر للأرض هنيهة ثم للسماء وقال :

— لقد طلقت الانشاء ثلاثا وحاشا لمثلى أن ينغمر فى حمأة الكُتَّاب بعد اليوم .

— ماذاتقول : أظن بك جنة ياعزيزى .

— أنا سليم العقل وأكره أن تناقشنى فى ذلك ولا يغضبك قولى هذا ....

بالتخاصم إن هو فعل ذلك . فألقى رئيس التحرير مقالتك على أديم الثرى بعد أن مزقها .

— ألقى مقالتى على الأرض ؟ مزق مقالتى ؟ أتدوس المارة كلاما تعبت فى انشائه ؟ يا للعار ! وما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ ولكنى نسيت أن ألومك على خطأ فعلته ساءنى فعله كثيراً .

— أنا ؟ وأى خطأ فعلت ؟

— لقد استحلفتك أن لا تذكر لأحد خبر كتابتى تلك المقالة فلماذا أسررت له بخبرها ؟

— انى لم أفعل ذلك وأشهد الله والنبى والأخاء والود على ذلك . ولكنى أعلم أن ابراهيم قابل رئيس التحرير عفواً فى العتبة الخضراء فقرأ عليه مقالتك ففعل ابراهيم بها ما ذكرته لك .

وكذب عبد العزيز على الله والنبى والأخاء والود لانه وإن صدق فى مقابلة ابراهيم لرئيس التحرير فقد كذب فى تنصله من أخباره بشأن مقالة حسن . وعبد العزيز هذا كما قلنا يحب الايقاع بين التلاميذ لا لمال يكتسبه ولا لنصر يفوز به ولكن لمرض فى نفسه ابتلاه به المجتمع الانسانى .

نظر حسن لعبد العزيز نظرة الحائر ثم قال له .

— أعيد عليك سؤالى هذا (ما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟)

— انك مازلت صبيا صغيرا لا تعرف من شؤون الناس شيئا . ان ابراهيم يخشاك كما يخشى الفأر القط . أتجهل ما يحل باسمه لو ظهر

فاذا به يرى أمامه عبد العزيز فابتسم له ابتسامة الحزين وقال له والدمع يكاد ينطق بآلامه

— أكنت تشاركهم فى ضحكهم يا عبد العزيز ؟

— بل كنت ألومهم على فعلتهم الشنعاء .

— أشكرك يا أخى على رقيق احساسك

وسكت الاثنان دفعة واحدة فلم يجد أحدهما سبيلا للتكلم والتفت عبد العزيز بعد قليل الى يمينه ثم الى خلفه كأنه كان يخشى أن يسمع أحد ما أراد ذكره لحسن ثم قال له وهو يتلعثم :

— أود أن أسر اليك شيئاً وأريد أن تصدقه

— قل ماشئت

— عدنى أولا أن تصدق ما أقوله لك .

— انى أثق بك أيها الأخ ثقة عمياء فحدثنى بما تريد .

— أتعلم السر فى ضرب رئيس التحرير بمقالتك عرض الحائط ؟

— وأنَّى لى أن أعرف سر ذلك . أظن أنها لم ترق فى عينيه .

— حاشا أن يكون ذلك سر المسألة وانى أخالك أكبر من أن تظن ذلك .

— وهل أنت واقف على الحقيقة ؟

— كان يقصها علينا ابراهيم يسرى بصوته الجهورى .

— وماذا قال لكم ؟

— قال لنا أنه قبَّح لرئيس التحرير أن ينشر مقالتك بل وعده

فراق حبيبته تتبادلان إزعاج رأسه المسكين وأخيراً استسلم للنوم فنام الى الصباح .

. .

انقضت الحصة الرابعة فنزل التلاميذ الى فناء المدرسة وخلت كل جماعة منهم بركن من أركان الفناء تجاذب فيه أطراف الحديث . ومنهم من آثر اللعب والجرى ومنهم من ذهب الى فناء الكرة ليريض نفسه . ولزمت جماعة ابراهيم يسرى المقعد المجاور لسلم الفناء وكان من بينهم عبد العزيز ومحمود وقد سلف لنا ذكرهم وابتدأوا بذكر حسنات الأساتذة وسيئاتهم ولا يلذ للطلبة الا التكلم فى ذلك . ثم انتقلوا من ذلك الحديث الى السخرية من بعض الطلبة الذين كانوا موضعاً لهزئهم وسخريتهم ولذ لابراهيم يسرى أن يقص على جماعته خبر مقالة حسن أمين وأغرب فى الضحك لما حلّ بها وشاركه اخوانه فى ذلك ولقبوا ذلك المسكين بلقب « رعمسيس الثانى » ورأوه بعد آونة يسير الهوينا على السلم وهو مطرق للأرض فنادوه بصوت واحد « يا رعمسيس الثانى » فالتفت بالرغم منه فرآهم يضحكون ويشيرون اليه بأصابعهم فسار فى طريقه وقد علت وجهه حمرة الخجل وود أن يصعق فى ساعته وذهب بعد ذلك الى الحديقة ليخفى نفسه خلف أشجارها الكثة . وهناك جلس على مقعد خشبى ينظر للتلاميذ ولا يراه أحد واستسلم لأشجانه فمرت امام فكره صور أحزانه تباعاً فكأنه كان يستعرض شريطا من شرائط الصور المتحركة وهمّ من مكانه ليتمشى فى الحديقة راجيا أن يخفف من حزنه

ليكتب . أمسك فى يده القلم وهيأ الدواة والورقة قبل أن يهتدى للموضوع ولكنه ما لبث قليلا على هذه الحالة المضحكة المبكية حتى اعتراه اليأس فألقى بالقلم وكاد أن يهشم الدواة ومزق الورقة وألقى بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه . وتلك هى حال عصبى المزاج إذا كان ضعيف الارادة لا يشكو همه إلا لنفسه ولا ينتقم إلا من نفسه أيضاً .

سكن قليلا فقام الى سريره وارتمى عليه مستهزءاً بكل ما وافاه بل بالعالم أجمع . فسكنت ثائرة نفسه وحاول النوم متناسياً نكبته الشديدة والنوم لا يزور من فى قلبه كمد باطن وحزن دفين . وتذكر فراق حبيبته فى هذه الساعة التى أحس فيها بالراحة قليلا وجسم له مزاجه العصبى وضعف ارادته أن هذا الفراق أبديا فهم من نومه جالساً ونظر الى النافذة وكانت مقفلة كأنه يسألها جلية الخبر ثم قام اليها وفتحها ونظر لبيت حبيبته وتناسى فى تلك الساعة مقالته وما جرته عليه من الاوصاب والكروب . ومد يديه للسماء وما أقسى قلب السماء على من تخالجه الهموم . ولبث هنيهة ساكناً لا يتحرك وكان لابساً لباساً أبيض اللون أصبح فيه كالتمثال فى جوف الليل البهيم .

عبثاً حاول نسيان أشجانه فأقفل النافذة ورجع الى سريره يميد به شجوه وارتمى عليه لينام بعد أن يئس من كل شئ حتى من استرساله فى الهموم . وأقفل جفونه فكانت فكرة الكتابة فى « الفاروق » وفكرة

أحضانها دموعه الحارة ، وما أحسن صدر الام على فؤاد الولد الحزين ، ففى هذا الصدر ينشأ الرضيع ومنه يتغذى وفى هذا الصدر يلعب الطفل هازئاً بالحياة وآلامها . وفى هذا الصدر تستذرف جفون الشاب آلام الخيبة واليأس . صدر الام هو الغرفة الدافئة الصغيرة التى بنتها يد الحب والحنان ففيها يتلاقى السرور بالسعادة وفيها يلتطم الاسى بالمصائب .

حملت الام ابنها ووضعته فى سريره وجلست بجواره تلاعب شعوره الجميلة وتقبله من آونة لاخرى وهى تحاول الصبر حابسة دمعها وواضعة يدها على قلبها كأنها تود أن لا يخفق فيسمع منه ولدها صوت الهم .

سألت الام ابنها عن سبب أشجانه فذكره لها . فأكبرت عليه أن يبكى لأجل مقالة أخطأ رئيس التحرير فى فهمها وسألته أن يهون عليه وينسى ما مضى ويهيئ للغد مقالا آخر يرسله « للفاروق » وهو أكبر جريدة مصرية كانت تظهر فى ذلك العهد . وما رامت من كل ذلك إلا أزالة الهم عن فلذة كبدها . ولقد فازت بأمنيتها وسرعان ما ينسى ضعيف الارادة الماضى إذا وجد من المستقبل بارقة أمل وإن كانت خلابة . تسيطرت فكرة الكتابة فى « الفاروق » فى فكره وقام يتبع أمه ليتناول العشاء . وأكل هنيئاً وشرب مريئاً ورجع الى غرفته لينام بعد أن أقسم لأمه أنه لا يعود للبكاء .

دخل غرفته وأوصد الباب وأشعل مصباحه وجلس أمام خوانه

الفصل السادس

أظلم الليل وخيم السكون على أنحاء المدينة وحسن ملقى على مقعده يبكي وينتحب وقد لذ له البكاء، والبكاء أكبر تعزية للأنفس الحزينة. أتت أمه وطرقت الباب تسأله الخروج للعشاء فأصلح من شأنه وفتح الباب فقال لها وهو يتصنع الثبات في القول والعمل.

— لست بجوعان يا أماه هذه الليلة وأود الخلوة لحفظ درس التاريخ لأني أتوقع أن أكون غداً ضمن الممتحنين.

— عبثاً تحاول يا ولدي اخفاء ما في نفسك. لأن شعور الأم يدلها على خفايا قلب ولدها. إنك بلا شك حزين وتشهد بقايا دمعات بذلك. فما الذي أحزنك اليوم. أتشاجرت مع أحد أقرانك، أم خاصمك أستاذك؟ تكلم يا ولدي وقل لي بالحقيقة حتى أشاطرك ما في نفسك من الأشجان.

— أنت واهمة يا أماه...

وأتم جملته والدمع يخنقه وارتمى على صدر أمه يبكي في

وافترق العاشقان بعد أن تساقطت نفسهما غماً وتقطعت أحشاؤهما حزناً ولهفاً .

. . .

ورجع حسن الى مقعده وارتمى عليه وهو كاسف البال وقد أتئنس بوحدته وانفراده ليطلق لدمعه العنان وانكب على البكاء انكباب من انفطرت مريرته . وتساقطت دموعه على الارض فكان يلتقطها كاتبه الامين سحاب وكان سحاب فى عرفه أوفى من الانسان .

———

على خده ثم أقفـل باب الغرفة وأحكم إقفاله وخلع معطفه وارتمى على سريره ليبكى وينتحب فنادته بصوت يسمع السامع منه رنة الحزن والأسى فهم واقفاً وذهب للنافذة وهو يبكى واندهش لما رأى حبيبته تبكى مثله .

ظنت لبيبة أن حسناً واقفاً على جلية الامر فقالت له

— سنسافر بعد أسبوع يا حسن

— تسافرين ! وإلى أين ؟

— إلى اسيوط

— وهل تحققِ ذلك .

وكف عن البكاء لاندهاشه العظيم فوقف واجماً لا يعرف ما يقول. فقالت له لبيبة

— ظننتك واقفاً على الحقيقة . لقد نقل أبى الى اسيوط وسأفارقك بالرغم منى . ولـكن ما الذى كان يبكيك ؟

فأجهش حسن بالبكاء دفعة واحدة وقال بعد قليل

— تلك كبرى المصائب . لقد أراد الحظ الاسود أن لا تنشر مقالتى وأن تسافر حبيبتى فوداعا أيتها الآمال الـكاذبة ووداعا يا أحاديث المنى فما أنت إلا وساوس الاطماع وأضغاث الاحلام . واسترسل فى البكاء واسترسلت معه حبيبته وظل العاشقان ردحاً من الوقت يتناجيان ويشكوان مصيبة أظلتهما على غير حسبان ولا انتظار .

على الأرض وداسها بقدمه فاعلا بها مافعل رئيس التحرير بمقالته ومشى الى بيته مستمسكا من الامل بخيط باطل .

. . .

فى تلك الغرفة التى سمعت آذانها كل ماجرى بين حسن ولبيبة ، وامام هذا الشباك الذى استقبل النسيم يحمل للعاشقة قبلات حبيبها جلست لبيبة تبكى وهى تنظر للفضاء . وما لبيبة الا فتاة وديعة هادئة طيبة السيرة والسريرة لا تستحق من الحياة سهمها القاتل ولا من الوجود سلاحه القاطع . لقد وقع على قلبها خبر السفر وقوع الصاعقة فوضعت يدها على قلبها الخافق كأنها تبحث عنه بل كأنها تبحث عن آمالها فيه وما هى آمال الفتاة السجينة فى الحياة بعد أن يتقلص ظل أمانيها فيمن تحب ، فيمن عليه تعتمد وبه تسعد وبغيره لا تعرف غير الشقاء

تعيش الفتاة المصرية فى بيتها وهى لا تعرف عن الحياة إلا ما يقع فى ذلك البيت ولا تسمع من الاصوات الا صوت أهلها ولا ترى من الاشياء إلا جدران هذا البيت الضيق وإذا لاح لها برق آمالها فى طلعة شاب تراه عفواً ويكون من أقربائها تحكم عليها الظروف بالابتعاد عنه فلا تجد تعزية إلا فى الاستسلام للأسى والدموع .

تلك حال فتاتنا لبيبة وهى كما قلنا فتاة لا تستحق ذلك .

ذهبت للنافذة لتقص على حبيبها ذلك الخبر المؤلم فوجدته بعد قليل داخلا غرفته هو وكلبه ثم وقف هنيهة يمسح دمعة تساقطت

الى أن دق ناقوس الانصراف فى عصر ذلك اليوم فخرج مع من خرج من التلاميذ ومشى مسرعا الى الترام وركب فيه وود أن يسوقه بنفسه فلما وصل الترام الى باب الخلق ازداد اضطراب قلبه وتعددت أنفاسه وظهر على وجهه القلق وهم واقفاً ثم جلس ثم وقف ثم جلس وأعاد ذلك مراراً وقفز منه دفعة واحدةوإذا به يسمع بائعى الجرائد يقولون(اللواء . اللواء . المؤيد والاهرام) فأخرج من كيسه قرشاً ومد يده لأحدهم صائحاً (الحقائق . علىّ بالحقائق) فبحث البائع هنيهة فى أعداد الجرائد التى كانت تحت أبطه وقال له (لم تظهر بعد) . فهم حسن بضرب البائع ولم يستوقفه إلا الترام الذى كان يسير بجواره الى العتبة الخضراء والعتبة الخضراء محط رحال كل الجرائد فقفز فيه كمن به جنة .

وصل به الترام الى العتبة الخضراء واشترى حسن (الحقائق) وفتحها ليرى مقالته الشائقة فاستلفتت نظره لاول وهلة لفظة (أم) وكانت عنواناً لاحدى المقالات فظنها مقالته فشعر بالدم يعلو الى رأسه وتلعثم لسانه وغص ريقه ولكنه قرأ العنوان بامعان فوجده (الأم العادلة) وكانت المقالة غير مقالته . فشرع فى البحث عنها فى كل جزء من أجزاء الجريدة فى باب الوفيات ، فى باب الاعلانات ، فى باب أخبار البورصة ، حتى وفى العنوان نفسه ولكنه رجع بخفى حنين وكاد أن يصعق امام الناس فألقى بالجريدة على الأرض ولكنه لم يلبث هنيهة حتى عاوده الامل فالتقطها مرة ثانية وابتدأ فى مطالعة مقالة « الأم العادلة » ثم حول بصره مرة ثانية لكل كلمة فى الجريدة وأخيراً انقطع رجاؤه منها فرمى بها

— أنا لا أهزأ بك يا صديقى ولا أرى داعياً يدعوك لاخفاء الحقيقة عنى .

— وأى حقيقة أخفيتها عنك ؟

— وما الذى يدعو عبد العزيز للكذب . إنك بلا شك ممن لايحبون التغنى بمآثرهم .

— وأى مأثرة يحق لى أن أفتخر بها أيها الصديق

— ومن ذا الذى ينكر فضلك ؟

سكت حسن ولكن لم ينظر للأرض خجلا كعادته بل نظر الى ابراهيم نظرة تجسمت فيها الأنفة من هزوه والاحتقار لشخصه ولوى ظهره له وابتعد عنه وهو يسمع ابراهيم يناديه قائلا لاتغضب يا (رعمسيس الثانى) فقال لنفسه (انه يعرف أيضاً انى كتبتها تحت اسم مستعار فان لم تنشر المقالة اليوم صغرت فى عينه وهو ممن يتطلعون لذلك . فأف منك يا عبد العزيز لقد أخبرتك بأمر هذه المقالة ورجوتك كل الرجاء أن تخفى أمرها عن كل التلاميذ ولكنك أخبرت به القاصى والدانى فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

تجسمت فى رأس حسن فكرة عدم نشر المقالة وكان خوفه من فضيحته أمام ابراهيم يسرى أكبر من خوفه من عدم نشر المقالة وكل ذلك أتاه من حيائه وضعف ارادته

قضى حسن فى المدرسة يوماً عصيباً لم يفقه فيه لاقوال أساتذته

بها ساعتين وقف فى الفناء مع اخوانه التلاميذ يتجاذب أطراف الحديث
واذا ابراهيم يسرى يقرئه السلام ويقول له

— مالك تفكر يا حسن . أحلت بك مصيبة ؟

— أينبئك حالى بذلك ؟

— نعم .

— انك واهم يا عزيزى . لم تحل بى مصيبة كبرى ولكن حياة
الانسان لا تخلو من المكدرات

— صدقت . اقرأت أمس جريدة الحقائق ؟

— وهل « الحقائق » جريدة تستحق المطالعة ؟

— لقد اخبرنى صديقى عبد العزيز أنك أرسلت لمديرها مقالة نفيسة .

ارتج على حسن فى هذه الساعة ولم يعلم ما يقول واحمر وجهه خجلا
وسكت هنيهة وهو ينظر لأقدام من كان حوله ثم رفع بصره لابراهيم
يسرى وقال له

— أأخبرك عبد العزيز بذلك ؟

— وهل فى ذلك بأس ؟

— لقد كذب عليك عبد العزيز ياصديقى لأنى لم أغتر بعد بخدع
الآمال حتى أكتب بالجرائد

— أنت أبو الانشاء

— هذه نغمة من يهزأ بى يا ابراهيم فان كنت من هؤلاء فانى
أسامحك .

لم يسلك حسن سبيله الى المنزل لأنه كان سائراً على غير هدى ولكنه كان يأمل الخير فى الغد مع أن شواهد الحال كانت تنطق بغير ذلك . لقد مرت على مقالته ثلاثة أيام والأقدام تدوسها فى الشارع ولكنه كان يجهل ذلك فكان يقول لنفسه « إن لم تنشر مقالتى فى الغد فعلى آمالى السلام » ويا ليته كان عالما بما حل بها حتى لا يفاجأ فى الغد بالم يحس فى ضميره قبل ثلاثة أيام

ليس شىء أصعب على نفس الناشىء من حبوط أول أمل له ، كما أن هذا الحبوط هو أكبر باعث له على إعادة الكرة لنيل أمنيته وتحقيق غرضه . وتكبر صعوبة حبوط المسعى على الناشىء اذا كان من خلقه الحياء وضعف الارادة وحسن أعظم مثال لهذا النوع من الناشئين . ولذا كان المه عظيما ، ولم يبعث فى قلبه داعى التأسى الا أمله فى الغد وكان الغد آخر موعد لنشر مقالته ، ففى الغد يفتح حسن صدره للبؤس أو للسعادة

مشى حسن من شارع الى شارع وهو لا يلوى على أحد الى أن وصل الى منزله بعد الغروب فنادته أمه فلم يجب عليها وانتظرته حبيبته لتقرؤه السلام كالعادة فذهب انتظارها سدى ولم يعزيه على مصابه فى ذلك اليوم الا كلبه « سحاب » .

. . .

اشرقت الشمس فى الصباح وخرجت الناس من منازلها والطيور من أعشاشها وتكلمت ألسنة المدينة بعد ان سكتت طول الليل ومشى حسن من بيته الى المدرسة وهو غير عابىء بما حوله ولما وصل اليها وفضى

الفصل الخامس

دخل حسن قهوة « النادى المصرى » وطلب جريدة الحقائق فأجابه الخادم قائلا (اننا لا نشترى هذه الجريدة ياسيدى) فأخرج حسن من جيبه قرشا وقال للخادم (اذهب واشتريها لى) فصدع الخادم لأمره واتاه بها بعد حين

أمسك حسن جريدة الحقائق بيده وبحث فى الفهرست عن عنوان مقالته فلم يجده فكذب الفهرست وبحث فى جميع الصفحات فلم يجد من مقالته حرفا واحداً فأظلمت الدنيا فى عينيه وأقفل الجريدة وألقى بها على الخوان وعافت نفسه قراءة الجرائد الأخرى فأطلق لفكره العنان .

مكث حيناً يفكر فى أشياء كثيرة الى ان سئم التفكير فقام يتمشى وهو مطرق برأسه . ثم أطلق من بين جوانحه زفرة ألفتت اليه انظار المارة ومشى غير عابئ بأحد .

— أنا لا أمزق كلام الناس يا صديقى

— هاتها . . . .

وأخذها من يد ابراهيم ومزقها وألقى بها على الارض وهو لا يعلم انه يمزق بذلك غشاء ذلك القلب المسكين قلب حسن أمين وقد دفعه على ذلك ما كان قائماً فى قلبه من الحقد على أعدائه وعلى الاغنياء والعظماء وقام يتبعه ابراهيم وقد ارتسمت على شفتى هذا الخبيث ابتسامة الغلبة والظفر

— بل من صغارهم

وأخرج من جيبه خطاباً أعطاه لابراهيم وهو يقول له :

— هاك مقالة وصلتنى أمس من كاتب مجهول يسألنى فيها ان لا اذكر إسمه الحقيقى

— وأى اسم اختاره لنفسه ؟

— رعمسيس الثانى . خذ واقرأ لتقف على المقالة

قرأ ابراهيم المقالة ثم ردها لصاحبه وقال :

— انى أعرف هذا العصرصور الصغير . انه معنا فى المدرسة

— فى السنة الرابعة معك

— فى السنة الاولى وله كلف عظيم بالانشاء حتى لقبه الطلبة بأبى الانشاء . أعازم أنت على نشر هذه السخافات ؟

— لم يقر رأيى بعد على شىء

— انى اربأ بجريدتك الراقية ان تتلوث بهذه القاذورات النجسه

— اترأى فى مقال صاحبك ذلك ؟

— انى لا أعد هزؤة المدرسة صاحبا لى

— أتهزأ الطلبة بهذا التلميذ ؟

— هو موضوع سخريتهم أجمعين

— انك اذاً لعلى حق . مزق المقالة والقها على الارض لتدوسها المارة وكفى جريدتنا ما حل بها من المصائب حتى ازيدها بكلام هذا التلميذ المهزأ مصيبة على مصيبة

غضب الله . قل صواعق السماء . قل قاذورة البلاد قل ماشئت فقد ألجأتنا الحاجة فى هذه البلاد لنصير كالذئاب الجائعة تأكل بعضها بعضا ولكن يظهر لى أنك لا تقرأ « الحقائق » منذ مدة طويلة لأنك تجهل ما يكتب فيها

وابتدأ ابراهيم فى خلق اعتذاراته وشرحها بما أتاه الله من فصاحة اللسان وبلاغة الكلام حتى صرف ما فى ذهن صاحب الحقائق نحوه . وما صاحب الحقائق هذا إلا تلميذ حاز شهادة الكفاءه ثم ألجأته الضرورة لان يتخذ الصحافة مهنة فابتدأ عمله شريفاً ثم ختمه بسب الناس وشتمهم كما تفعل أصحاب الجرائد الأسبوعية التى لم تنشأ الا لهذا الغرض . وهو صديق قديم لابراهيم يسرى وابراهيم هذا كان من أكابر معضدى الحقائق وعلى صفحاتها نشر مقالاته الاولى ولما وجدها تتدهور من هاوية الى هاوية صدَّ عنها وابتدأ بالكتابة فى الجرائد الكبيرة الى أن حاز الشهرة التى رفعته الى مقامه الكبير بين اخوانه الطلبة . ولقد اراد حسن امين ان يقلده فيما يفعل لينال فى الحياة حظاً اكبر من حظه واعظم فأرسل مقالته الأولى لجريدة الحقائق

مكث ابراهيم يتحادث مع صاحب « الحقائق » مدة طويلة الى أن قال له

— ومن ذا الذى يعاونك على التحرير ؟

— رأسى ويدى

— الا ترد إليك رسائل من كبار الكتاب ؟

العلم والأدب ولمت بعضهم على توانيه وتقاعده عن خدمة رجال الصحافة

— وهل ذكرت أسماء الأشخاص ؟

— لم أذكر أسماءهم ولكنى وصفت صفات بعضهم وصفاً دقيقاً يعرف به القارىء اسم الموصوف

— أفعلت ذلك ؟

— وكيف لا أفعل ذلك وقد أصبحنا فى هذا البلد الأمين كالمتشردين لا نجد لقمة بها

— وما الذى دفعك لارتكاب هذا الزلل ؟

— لازلل فيما فعلت أيها الصديق القديم . ذهبت عند أحد البشاوات لأسأله بدل الاشتراك فاعتذر بمرضه أولاً وبتغيبه عن قصره ثانياً ثم بطردى من القصر ثالثاً ... وذهبت عند أحد البيكوات فقال لى بسماحته المعروفة (لقد اخطأت ياصاح فى العنوان) وذهبت عند أحد الكبراء ففغر فاه عند ملاقاتى وسبنى امام خدمه ولولا ما أظهرته من الشمم والاباء لضربنى بيده ورفصنى بقدمه فماذا تقول فى كل ذلك ؟

— جنايات فظيعة على رجال الصحافة

— أليس كذلك ؟

— لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . لقد أصبحت الصحافة محتقرة فى أعين العظماء والكبراء والاغنياء فمن يعولها فى كنانة الله بعدهم ؟

— كنانة الله ! أتسمى مصر بهذا الاسم ! قل جحيم الله . قل

— حاشا أن أفعل ذلك ولو قُطِّعت ارباً ارباً . وسأعمل الى النهاية وان أقلّت صحيفتي عطاءها ولم أنل منها الا النذر اليسير

— ألا تخاف الخراب ؟

— أنا واقع فيه يا صديقي من يوم أن فكرت في انشاء الصحيفة. أنسيت ان الصحافة لم تنعم عليَّ بشيء

— وبعد ؟

— سأجاهد حتى ألفظ النفس الأخير

— همة شماء فلله درك من رجل

— ألم تقرأ (برق) يوم الجمعة الماضى

— كلا

— لقد كانت (افتتاحيته) ملأى بالمطاعن

— ومن كان فريسة (البرق) فى الأسبوع الماضى ؟

— جريدة الحقائق

— جريدتك أنت

— نعم . وعلام العجب والبرق جريدة لم تنشأ الا لنهش أعراض الناس

— وما الذى ذكره صاحبها فى مقالته هذه

— قال انى أسب الناس لاستدر أموالهم

— حاشا ان تكون ذلك الرجل

— لقد كتبت عدة مقالات أستحث بها اغنياءنا على مساعدة اهل

منه أن يأتى ابراهيم بفنجان قهوة أتى به الخادم بعد قليل .

— كنت منذحين مع بعض الاخوان وكنا نتحادث بشأن جريدتك

— انى لأعجب لذلك بعد أن أغضيت الطرف عن جريدة لا أعدها إلا من بنات فكرك

— لقد اعتذرت لك يا صديقى فلم تقبل عذرى وليس أمامى إلا شىء واحد أصلح به خطأى . سأكتب فى جريدتك من جديد حتى لا تقول عنى انى أهملتها بعد ان كنت من العاملين على نجاحها

— أشكرك يا صديقى

— ولكن كيف حال جريدتك ؟ أفى عزمك أن تجعلها يومية؟

— لعن الله من يذوق لذة العلم فى بلد كمصر . انى أقرأ الجرائد والمجلات الأوربية وأقتطف منها ما لذ وطاب وأنشره على صفحات جريدتى ليستفيد منها المعمم والمطربش ولا يكون جزائى على كل ذلك الا الصبر والاعراض

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

— ولقد طرقت باب السياسة وباب الاجتماع وأردت أن أكتب فى الفلك والرياضيات ولكن خاب فألى وتلاشت كل آمالى وكرهت الصحافة بعد ان كنت أتفانى فى الزود عن حياضها

— كل هذا يفت فى ساعد اهل الأدب ولولا انك ذو همة قصية المرمى وعزيمة تفل الحديد لنصحت لك بايقاف جريدتك

— أنت ! أما دار بخلدى أن أراك اليوم . فيا حسن حظى . لقد صدق المثل العامى (افتكرنا القط جانا ينط) واين كنت ؟

كنت جالساً على هذه القهوة (وأشار بيده لقهوة النيل) لأستريح واذا بى أراك تقلب نظرك فى أديم الأرض طوراً وفى صفحة السماء تارة أخرى فقلت لنفسى، والنفس كما تعلم تحب لقاء الأدباء : هاك طلبتك التى كنت تطمحين اليها منذ حين . فناديتك وأنا آمل أن تشملنى بعطفك بعد أن رميتنى بهجرك وصدك

— لا صد ولا هجر فبما فعلت أيها الأخ الكريم ولكن المدرسة . . .

— لا تلجئنى لأن أقول (العذر أقبح من الذنب)

— مغفرة وصفحاً لو كنت أذنبت وتسامحا لو كانت الظروف أذنبت .

— هذا كثير يا عزيزى . فلا تجعلنى بالله عبد لطفك أبد الدهر

— لا يسع محدثك الا أن يقر لك بالتفوق فى كل شىء

— هل لك أن تجالسنى قليلا ؟

— ذلك ما تصبو اليه نفسى . انى كنت أنظر لأديم الغبراء تارة ولصفحة السماء طورا لانى كنت أبحث عن أخ كريم مثلك يسمعنى من فيه آيات السحر الحلال .

— بورك فيك يا عزيزى

وذهب الصديقان لقهوة النيل وجلسا أمام خوان صغير وابتدآ فى الحديث بعد أن صفق صاحبنا الجديد مرتين فلما أتاه خادم القهوة طلب

— ومتى أخبرك بذلك ؟

— صباح اليوم

— عنوان يأخذ بمجامع القلوب . انى أهنىء صاحبك ياصاح على هذا الذكاء

— اما زلت تهزأ به ؟

— ان العنوان أطربنى ولذا ترانى أترنح كالشارب الثمل

ومشى وهو يترنح يمنة ويسرة مقلداً شارب الخمر وضحك بعد ذلك ضحكة عالية ثم التفت الى صديقه وقال له

— بشر صاحبك بنجاحه فى مسعاه لأن صاحب « الحقائق » فقير المادة فسوف يرى فى مقال أبى الانشاء عوناً له يستعين به

— أتهزأ بصاحب « الحقائق » وأنت أول من كتب فيها .

— ان للحقائق فضل على ولى عليها أيضاً فضل عظيم وأظنك لاتنكر ذلك .

ووصل الصاحبان الى ميدان العتبة الخضراء فقال عبد العزيز لصاحبه

— كنت أود أن أتم حديثى معك ولكنى مجبر على مغادرتك

— وأين تقصد ؟

— شارع الموسكى حيث أشترى (نصف دستة) من الشرابات .

وغادر عبد العزيز صاحبه فوقف ابراهيم هنيهة ينظر طوراً للغبراء وطوراً للسماء وهم الى جهة دار البريد وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت خلفه ليرى المنادى وعندها صاح بملء فيه

— ان نفسى لتواقة لقراءة هذا الكتاب

— غدا تبتدئ فى مطالعته فى حصة المطالعة الانجليزية لان استاذها كما تعلم لا يهمه كثيراً ما تفعله التلاميذ

— إنه اذا دخل الفصل جلس على مقعده إلى أن يدق الناقوس

— ولكن نتيجته حسنة دائما . فما السر فى ذلك ؟

— سعادة حظه

عند ما قال عبد العزيز كلمة « سعادة حظه » ضرب بيده على رأسه كأنه يأسف على نسيانه ذكر أمر كان بوده أن يقوله ليسرى . ثم قال له

— لقد نسيت أن أقول لك أن صديقك أبا الانشاء قد أرسل مقالة لجريدة الحقائق

— لقد أخطأت يا صديقى فى إلصاق لفظ الصداقة بصفاته وكان الأولى أن تقول (حاسدك لا صديقك)

— انك ما زلت تضمر له الشر

— انى أمزح معك يا عبد العزيز ولا أخالك تعتقد فى غير ذلك وما موضوع مقالته ؟

— البورصة

— وما عنوانها ؟

— الأم الشفيقة القاتلة

— ومتى أرسلها ؟

— منذ يومين

— أأساوى (عبد ربه) وهو من جهابذة أهل العلم أصحاب النقد الصحيح والفكر الثاقب

— لكل منكم طريق لم يسلكه الآخر . أنت تكتب فى الخيال وهو فى النقد

— وهل تظن أنى عاجز عن انتقاد الكتّاب أجمعين ؟

— أنا لا أقول ذلك ويسرنى أن أرى فى نقدك ان شاء الله صواب الفكر ودقة النظر .

— سوف تقرأ عن قريب فى احدى مجلاتنا الكبيرة عدة مقالات، فى معنى النقد وشروطه

— وأتعشم أن تكون بتوقيعك

— ان شاء الله تعالى . ألا ترى ان الكتاب الذين يكتبون فى النقد يحيدون كثيراً عن الصراط المستقيم ؟

— لا ارى ذلك .

— هذا لأنك لم تقرأ فى الانكليزية كتب النقد الصحيح وهى كثيرة يا صديقى وان شئت اقرضتك كتاباً منها لتقف على هذه الروح العالية المفقودة عند كتابنا سامحهم الله

وانتهى عبد العزيز من مسح حذائه ونفح ماسح الأحذية قرشاً ومشى مع ابراهيم جنباً لجنب وهو يقول له

— انى أشكرك ياعزيزى ومتى أحظى منك بهذه المنحة العظيمة

— غداً ان شئت ذلك

— أرى فيه رداً لمن يكتب تحت لقب (عبد ربه) على مقالات احمد نديم

— لقد صار احمد نديم ذائع الصيت بين كبار الكتّاب

— انه يكتب منذ سنين عديدة

— ومن هذا الذى يكتب تحت اسم (عبد ربه) ؟

— يقولون إنه موظف باحدى النظارات وآخرون يقولون انه تلميذ (بالمدرسة السعيدية) وآخرون يقولون انه من كبار قضاتنا .

— أصدق أنه قاض أو موظف ولكنى لا أظن أنه طالب

— ولم لا ؟

— أيكتب الطلاب كلاماً كهذا

— وهل تستكثر عليهم ذلك وأنت منهم ؟

— انى ما زلت من الكتّاب الحديثين

وابتسم ابتسامة تدل على اعتقاده عكس ما يقول ولا يستغرب القارىء ذلك من ابراهيم يسرى بعد أن عرف كل اخوانه أنه ممن يعتقدون فى أنفسهم الألوهية فى فن الكتابة وزد على ذلك أنه حسود يكره أن يرى تلميذاً مثله يجاريه فى مضمار القلم . أما عبد العزيز فهو من النمامين الذين تدب عقاربهم بين القوم فتقطع بينهم حبال الود والاخاء وممن يتبعون السيئة حتى يقضوا لبانتهم وينالوا غرضهم .

سمع عبد العزيز جملة ابراهيم وقال له :

— انى لا أعتقد ذلك

الفصل الرابع

أتى ناظر المدرسة الخديوية يمشى الهوينا الى أن وصل الى الدرج فوقف عليه ليحيي طلبته قبل انصرافهم . وكانت الطلبة قبل ظهور ناظرهم فى هرج ومرج فلما رأوه قادما اليهم لزموا السكون كأنهم كانوا متأهبين له .

حيا الطلبة رئيسهم وحياهم وانصرفوا الى الخارج والحرية نصب أعينهم ، وليس شىء أحب الى قلب الطالب من تلك الساعة الجميلة ساعة انتهائه من درسه واستنشاقه عبير حريته

مشى ابراهيم يسرى الهوينا الى أن وصل الى الباب الخارجى وهناك قابل عبد العزيز واقفا يمسح حذاءه وهو يطالع جريدة اللواء فابتدره بقوله

— هل من أخبار جديدة

— لا أرى شيئا يستحق العناية

— وباب المقالات ؟

أسعد إنسان فى مصر فاذا بك تسألين الله أن أحظى بها عاجلا فشكراً لك ، اللهم شكراً لك .

ورفع حسن يديه للسماء شاكراً فابتسمت حبيبته وقالت له

— ومتى تظهر مقالتك ؟

— بعد ثلاثة أيام أوأربع لانهم يقدمون عليها مقالات كبار الكتاب وانى أعدك انك ستكونين أول من يسمع بظهورها

— يالسعادة نفسى فى ذلك اليوم

ونظر المحبان للسماء فوجدا الظلام بدأ يضرب خيامه فافترقا وهما يبتسمان . فلما أدار حسن وجهه لغرفته وجد نفسه فيها وحيداً ولم يطق أن يستأثر بسعادته الكبرى فلم يدر ما يفعل فابتدأ بالقفز فى غرفته فاذا به يرى كلبه (سحاب) يقفز خلفه كأنه يشاطره هنائه وسعادته .

فقال لنفسه سأشرح لها شؤون الكتابة والكتاب لتقف عليها. فالتفت اليها فوجدها تبتسم كأنها تسأله الصفح والرضى فقال لها بصوت متهدج

— انك بلا شك لا تعرفين ما يعانيه الكاتب عند كتابته مقالته

— أود أن أعرف ذلك

وكان هذا الرضى مفتاح استرسال حسن فى حديثه فقال

— آه ياعزيزتى لو كنت تعرفين ذلك ؟ إن الكاتب إذا جلس أمام مكتبه وأمسك بالقلم فى يده استرسل للتفكير أولا فاذا ما اختمرت الفكرة فى رأسه أراد أن يكسو معانيها ألفاظا أنيقة تلذ القارىء فاذا وفق لذلك خطها قلمه على الورق الأبيض بالمداد الأسود ويكون هذا شأنه فى كل ما يكتب ولا تظنين أن الافكار تترى فى رأس الكاتب تباعا ولا أن الألفاظ دانية القطوف . واذا أراد الكاتب أن يكون مبسوط العبارة متناسب الفِقَر بعيداً فيما يكتب عن شوائب اللبس فانه لعمرى يحاول المستحيل والدليل انا لا نجد فى مصر عدداً كبيراً من الكتاب

— واذا وفق الكاتب الى كل ذلك ،

— اذا وفق . يدخل جنة الحياة تحمله اليها ملائكة البلاغة

— ما أحلى وقع هذا الكلام فى أذنى . أستحظى ياحسن بكل ذلك

— اذا أراد الله لى الخير

— سأسأله فى كل لحظة أن ينيلك هذا المقام الرفيع

— أنت اذاً تشاطريننى فرحى ؟ انك لا تعلمين كم أنا سعيد بذلك. ظننتك لا تهتمين بما تصبو اليه نفسى ، بتلك الامنية التى أصبح اذا نلتها

— لقد أقدمت على عمل عظيم اليوم

— وما هو ؟

— كتبت مقالة وأرسلتها لتنشر فى احدى الجرائد

— ولأى جريدة أرسلتها ؟

— لجريدة الحقائق . . .

ولم تبد لبيبة اهتماماً كبيراً لما أخبرها به حسن لتفكيرها بحبها وزواجها وسعادتها فعز على حسن بل ساءه كثيراً أن يرى من لبيبة ذلك . فاحمر وجهه قليلا وغص بريقه عند ما حاول متابعة حديثه شأن كل حى يدفعه الحياء الى ما يقرب من الجبن ثم نظر الى السماء كأنه يسأل الله خلاصه من خيبته ثم نظر الى الارض هربا من نظرات لبيبة وكأنها شعرت بما يدور فى خلده فودت إصلاح خطأها فحدثته بصوت حنون تبرأ عند سماعه القلوب الكليمة قائلة

— أواثق أنت من نشر مقالتك ؟

— لا أعلم

وسكت خوفا من الكلام فابتسمت لبيبة ابتسامة تعبر عن هزءتها وسكتت ناظرة للفضاء

ابث حسن هنيهة يفكر وكل فتى حى يحلو له التفكير اذ فيه التعزية الكبرى لخيبته وقد حدا به فكره الى مغادرة حبيبته ولكنه لم يستصوب هذا الرأى مخافة أن يسىء لمن يهوى فزادت حيرته ولكنه اهتدى دفعة واحدة لرأى ظنه صائبا وسرعان ما يهتدى الفتى الحى للآراء الجديدة .

سكتت لبيبة هنيهة لتفكر ثم قالت :

— لا أعلم

— انك اذا لاتجيبنني لأنك لا تفكرين فيما أفكر فيه

احمر وجه لبيبة ووضعت كفها على وجهها لتخفى احمراره لأنها أدركت أن حسن لا يفكر الا بزواجه بها وهو ماتفكر فيه أيضاً . ثم قالت له بعد قليل .

— بأى شيء تفكر يا حسن ؟

— ألم تدركى بعد ، انى أفكر فى زواجنا . فهل تفكرين فيه أيضاً

فقالت وهى مطئطئة الرأس

— فى كل آونة

فابتسم وقد سره سماع هـذا الاقرار من ذلك الفم الجميل ثم قال لها وقد ارتسم السرور على وجهه

— انى سعيد يا لبيبة اليوم لثلاث أمور ، أولها رؤيتك فى هـذا الثوب الجميل وثانيهـا اقرارك لى بأنك تفكرين فى زواجنا كل آونة . وثالثها أمر آخر لم يتحقق بعد

— وما هو ؟

— أنت تعرفين أنى أحب الانشاء كثيراً

— نعم

— وأود أن أصبح يوما كاتبا عظيما فى احدى الجرائد

— نعم

. . .

بينما كان عبد الرؤوف أفندى يحادث زوجته كانت ابنته لبيبة واقفة أمام الشباك وقد أسندت رأسها بذراعها واستسلمت لأحلام غرامها الى أن سمعت صوت ابن عمها يقول

— مساء الخير يا عزيزتى

احمر وجه لبيبة وقالت

— أسعدت مساء يا حسن . كيف حالك اليوم ؟

— كما يود لى كل حبيب . ما هذا الثوب الجميل ؟

— أتراه جميلا ؟

— جداً . ولكنه أقل جمالا من لابسته

— أتظن ذلك

— بلا شك يا فاتنتى ، ان ثوبك جميل ويزيده جمالا قدك الأهيف وشعرك الاسود ومعصمك الجميل وعيونك الساحرة

— لا تطل مديحك يا حسن

— أنت حورية من حور الجنان وأنا عبدك الواله المطيع . ألا تعرفين يا لبيبة فيم أفكر كثيراً ؟

— فى نوالك الشهادة

— أنا لا أنكر انى أفكر فى ذلك ولكنى أفكر فى أمر آخر تصبو اليه نفسى كثيراً ما احذرى يا لبيبة . احذرى فانه يلذ لى أن تحذرى ما يجول فى فكرى فى كل دقيقة بل فى كل ثانية

— أما من رجاء فى صفحه ؟

— لقد فعلت المستحيل فلم أنجح فكلى الأمر لله

سكتت نعيمة وقد هالها ما سمعت ومكثت مدة وهى تفكر فى أشياء كثيرة . عزَّ عليها أن تغادر هذه الدار التى تربت فيها ابنتها . عزّ عليها أن تبتعد عن المنزل الذى يسكن فيه أهل زوجها . عزَّ عليها أن تفارق القطعة التى ألفتها . وعزَّ عليها أن ترى الدمع يجول فى عينى ابنتها لفراق من وهبته روحها الطاهرة . والأم وان كانت تكره من ابنتها أن تميل لأحد الشبان فانها تكره أيضاً أن تراها تبكى وتنتحب لفراق من تميل اليه . ومازالت نعيمه هانم مسترسلة فى أفكارها ألى أن قال لها زوجها .

— وما قولك فى هذه المصيبة الجديدة ؟

— وما ذا تريد أن أقول ؟

— كنت أظن أنى سأنقل الى بلدة قريبة كالجيزة حتى لا أرغم على مفارقة هذا المنزل المحبوب ولكنى سمعت اليوم بل تأكدت إنا سنسافر الى أسيوط أو الى دمياط

— يا لله . سنحرم من لقاء أحبابنا أعواماً عديدة

— ربما كان الامر كذلك . تلك بلاد لا نعرف من أهلها أحدا وسنعيش فيها كالغرباء حيناً من الدهر . عيشة الغرباء مؤلمة لا تحتملها النفس .

— تلك مشيئة الله يا عبد الرؤوف

ملابسه فلبت نداءه وبعد ان لبس لباس المنزل جلس على مقعد من الخيزران واشعل سجارة واسترسل فى تأملاته . وجلست زوجته بجواره وهى تنظر الدخان المتصاعد من فمه الى سقف الغرفة . ثم التفت اليها بعد قليل وقال !

— سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— ماذا تقول ؟

— أقول إنّا سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— والى أين نذهب ؟

— الى حيث يسوقنا القدر

— أنغادر القاهرة ؟

— هذا ما لا ريب فيه

— وأى حادث حدث ؟

حدث ما لم يكن فى الحسبان . لقد خاصمنى رئيسى فى الديوان فسعيت مراراً لحمله على نسيان تلك الهفوة الصغيرة فأبت نفسه الصفح وقرر نقلى فى آخر الشهر . فلعنة الله على الدساسين الذين لا تهدأ نفوسهم الا اذا أوقعوا بين المرء وأخيه

— ومن هم هؤلاء الدساسين ؟

— قوم فى الديوان عادونى لنشاطى واستقامتى وعز عليهم أن أكون محبوبا من رئيسى فتقربوا اليه بحيلهم الشيطانية وانتظروا هفوة صغيرة ارتكبتها . فلما حانت لهم الفرصة أغروه على نقلى فصادع لاغرائهم

الفصل الثالث

— ماذا تفعلين يا لبيبة ،

— ألبس ردائى الجديد يا أماه

— وعلام تلبسينه وأنت لاتغادرين الدار اليوم ؟

— وهل يسوؤك ذلك ؟

— كلا يا بنتى

لم تلبس لبيبة رداءها الجديد الا ليراه حسن . ونعيمة هانم أمها لاتجهل ذلك ولكنها تتجاهله لأن الامهات يتغاضين عن هفوات بناتهن ويسعين سراً فى اصلاحها . ولذا سكتت نعيمة هانم ولم تناقش بعد ذلك فتاتها فيما فعلت

وظلت لبيبة تروح وتجئ أمام المرآة وهى تصلح من شأنها الى أن حان ميعاد حبيبها فذهبت الى الغرفة التى تطل من شباكها لتقرأه السلام وتستقبل قبلاته الحارة يحملها اليها نسيم الغروب .

∴

دخل عبد الرؤوف أفندى بيته ونادى زوجته لتساعده على خلع

التكرار فطواها ووضعها فى ظرف أتاه به الخادم وكتب على الظرف بخط واضح :

إدارة جريدة الحقائق بالقاهرة

حضرة الفاضل رئيس التحرير

مصر

وهم واقفا وهو يبتسم ثم سار فى شارع محمد على موسعا الخطا ومر على أربعة من صناديق البريد ولكنه فضل ان يلقى خطابه فى (دار البريد الكبرى) بالعتبة الخضراء ليكون آمنا عليه ولما وصل الى تلك الدار ألقى فى صندوقها الخطاب ثم أرسل زفرة طويلة تعبر عما يخالج قلبه من ألم اليأس وحلاوة الأمل .

خرج حسن مع من خرجوا من التلاميذ ومر أمام البواب كعادته فقال له البواب وقد رآه مسروراً

— أسعدت مساءاً يا حسن بك

— أسعدت مساءاً يا عم طه

وابتسم حسن للبواب وأخرج من كيسه قرشا أعطاه له فى يده فشكره البواب ودعا له وسار حسن فى شارع درب الجماميز الى أن وصل الى قهوة (النادى المصرى) وجلس فى الركن الذى اختارته نفسه منذ طرقت قدماه أرض هذا النادى المبارك وطلب من الخادم القهوة كالعادة وورقة بيضاء وقلما وحبراً . وما لبث فى مكانه هنيهة إلا وأتاه الخادم بما طلب وزاد عليه الجرائد الأربع وأتم حسن مقالته فى النادى وفيه انتهى من تبييضها أيضا . وجلس يقرأها للمرة الأخيرة واستوقفه عنوانها ثلاث دقائق وكيف لا يستوقفه هذا العنوان هذه المدة الطويلة وهو عنوان غريب وجميل (الأم الشفيقة القاتلة) وما هى تلك الأم التى تشفق على أبنائها ثم لا تلبث أن تزهق أرواحهم . هى بلا نزاع البورصة وانه حقا اسم وافق مسماه . قرأ حسن العنوان للمرة الخامسة والعشرين بعد المائة وهو يبتسم ويقول لنفسه (ليت شعرى أينشر صاحب الجريدة مقالتى هذه ؟ ولم لا ينشرها ؟ وهل أنا أقل شأناً ممن يكتبون فى جريدته . لقد شهد لى القاصى والدانى فى المدرسة بمتانة الأسلوب وعلو الأفكار . انها بلا شك ستنشر ولا نزاع فى ذلك)

وقرأ مقالته مرتين وأراد أن يقرأها للمرة الثالثة ولكنه سئم من

جالسا كأنه لم يعبأ بأستاذه ولحسن حظه لم يلتفت اليه الأستاذ. ابتدأ التلاميذ فى المطالعة وكان أول القارئين فتى من أبناء ملوى له لهجة أبناء الصعيد وهى لهجة تستهجنها آذان أبناء مصر وان كانت أقرب للعربية الفصحى من لهجتهم التى لاتنبو عن أسماعهم. قرأ التلميذ واسترسل فى قراءته وفسر الالفاظ المغلقة وكان يعارضه الأستاذ فى معانيها والاستاذ من الاساتذة الذين يتعمدون الكلام باللغة الفصحى له منظار لا يفارق عينيه الا ساعة نومه ويقال أن أول شىء تمتد اليه يده عند استيقاظه من نومه هو منظاره الكريم ولذا اعتاد أن يضعه تحت وسادته. وقيل أنه حل بالمنظار فى احدى الليالى حادث جلل وكان الاستاذ مستغرقا فى النوم فلما استيقظ فى الصباح بحث عن منظاره كعادته فوجدزجاجه مهشما فلم يفارق سريره طول يومه. كل هذا لا شأن له فى قيمة الاستاذ لانه كان وديع الاخلاق لطيف السجايا محبوبا من التلاميذ لتساهله ورقته.

انتهى التلميذ الاول وابتدأ الثانى وحسن تائه فى بيداء افكاره يكتب فى ورقته جملة ويشطب أخرى ولا يسمع الا (قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف) تقطع عليه أحلامه الخيالية. وما مرت الساعة الا ومقالة حسن كادت أن تتم الا قليلا. ودق الناقوس فهرعت التلاميذ للخروج وطوى حسن رسالته ووضعها فى جيبه وحمل محفظته تحت ابطه ووضع يديه فى جيبى (بنطلونه) ومشى يترنح يمنة ويسرة وقد أسكرته خمرة ما خطته يده.

ظنى فيك أقول لك ان الذى غمطك هو حسن أمين

— أبو الانشاء ! ! ! . . .

وضحك ابراهيم يسرى ضحكة طويلة وأردف ضحكه بقوله

— لقد قرأت له موضوعا انشائيا رفع فيه المفعول ونصب الفاعل وكاد أن يسكن المبتدأ لولا أن تداركته رحمة من ربه . اذا كان هذا الفتى استغفرالله بل (هذه الفتاة) يحسدنى على ما أنا فيه من نعمة وهناء فبشره بخذلانه وانحداره لانه لا ينهض ولن ينهض من الهاوية التى رماه فيها حياؤه النسائى .

— ان فى نفسه ميل للكتابة فى الجرائد

— يريد أن يجارينى ؟

— بل يريد أن يظهر للناس بلاغته

— انه قلق المعانى مضطرب المبانى وسيبقى كذلك الى ما شاء الله .

ودق الناقوس فأسرع الطلبة للدخول فى الفصول .

. . .

جلس حسن أمام مكتبه وأخرج من قمطره كتاب كليلة ودمنة وألقاه أمامه غير عابئ به ثم مكث هنيهة يفكر كأنه يسائل نفسه الاقدام على شيء ثم أخرج من درجه ورقة بيضاء ومن جيبه قلما من الرصاص وأسند رأسه بيده اليمنى واضعا قلمه بين يديه مستسلما لأمانيه العذبة وأحلامه اللذيذة ودخل فى هذه الساعة أستاذ المطالعة (وكان غير الصاعقة) فقامت له التلاميذ وقوفاً لتؤدى له التحية ومكث حسن

— ومن هم هؤلاء ؟

— لم أحادث إلا فرداً منهم

— ومن هو ؟

— انى لا أحب نقل الكلام من أفواه الحاسدين الى آذان المحسودين

— أنت صديقى وأخى ولم أتعود منك اخفاء الحقيقة عنى

— اعذرنى يا صديقى اذ كتمت اسمه عنك

— وهل فى ذكر اسمه من بأس ؟

— كلا ولكن علام كثرة الكلام فى مثل ذلك

— لقد عرفته فهو بلا شك أحمد عبد الله . انه نظيرى من يوم أن أمسكت أناملى القلم

— ان الله لا يحب الظالمين يا ابراهيم وحرام أن تظلم الأبرياء

— هو اذا على فؤاد . انه لا يقر لى بفضلى ويهزأ بمقالاتى

— ولا هذا أيضا . انك تحتال على لأصرح لك باسم ذلك الذى أخطأ فى غمطك لا فى حسدك .

— اذا كان هو ممن يغمطوننى وليس ممن يحسدوننى فلماذا لا تصرح باسمه .

— أخشى أن تكون قد كتمت له الضغينة

— لست خسيس النفس ولا غليظ الطبع لأفعل ذلك .

— حاشا أن تكون كذلك يا ابراهيم ولكى أبرهن لك على حسن

— انك تمزح يا عبد العزيز

— لم أتعود المزح متى كنت جاداً. انى ألومك على كسلك و إهمالك السير فى الطريق التى اختطتها لك مواهبك ولكنى أحذرك لحياءك فأنت وان كنت أفصح التلاميذ عبارة فأنت اكثرهم حياءاً وأشدهم خجلا

— هذا حق لا مرية فيه وانى أشكو لنفسى حياء نفسى

وسمع حسن تلميذا يناديه من بعيد فاعتذر لصاحبه وفارقه وهو فرحان جذلا . واتخذ بعد ذلك عبد العزيز وجهة الحديقة وفيها لاقى ابراهيم يسرى فقابله وهو متهلل الوجه وصافحه وهو يقول له :

— لله درك لقد قرأت مقالتك ومازلت ثملا بخمرة بلاغتك الى الآن

— خمرة بلاغتى ؟ إنك تغالى فى القول .

— أقسم لك بالله وبالشرف انى لا أقول الا الصدق

— وهل قرأت المقالة حتى آخرها ؟

— واستعدتها ثلاث مرات متواليات وقرأتها المرة الرابعة صباح اليوم وأنا فى الترام

— وما رأى اخوانى الطلبة فيها ؟

— كلهم يحبذون عملك ويقرون لك بالتفوق فى ضروب الانشاء ومن بينهم من يحسدك

— من يحسدنى ؟ وعلام هذا الحسد ؟

— لأنهم يودون الصعود بلا تعب الى المكانة التي وصلت اليها بجدك وعملك

وقتهم للتريض ولكنى ألوم الذين لا يفعلون ذلك . ان المدرس يا حسن ساعة وللتريض ساعة .

— بلا شك . ولكن أتعلم كيف توصل ابراهيم يسرى للكتابة فى جريدة كبيرة ؟

— ابتدأ بالكتابة فى جريدة صغيرة وشجعه صاحبها على المثابرة حتى ثبتت أقدامه فى ميدان الكتابة وهو ميدان وعر كما تعلم . ووجد فى نفسه الكفاءة لأن يحرر فى جريدة يقرأها سواد الناس فى مصر فكتب فى المؤيد

— ولكن علام تسألنى يا أبا الانشاء هذا السؤال . أفى نفسك ميل للكتابة فى الجرائد ؟

منع الحياء حسن أن يصرح عما يجول فى خاطره فأجاب صديقه قائلا :

— أنا أكتب فى الجرائد ؟ هذا أمل قل أن يتحقق

— ولم لا ؟ ان اسلوبك يا عزيزى انيق الديباجة مهذب اللفظ ولا أغالى انك فى مدرستنا منقطع القرين

وعند ما سمع حسن عبارات المدح من فم صديقه قال دفعة واحدة وقد أنساه المدح حياءه الطبيعى

— أتظن ان اسلوبى أرق من اسلوب ابراهيم يسرى ؟

وعلت وجهه بعد ذلك حمرة الخجل كأنه لم يكن ينتظر من نفسه ان يتفوه امام احد اخوانه بكلام يشم منه رائحة للغيرة

— ابراهيم كاتب تستعيد الأسماع عبارته ولكنه دونك بمراحل

— لقب مضحك

والتفت عيناً فرأى حسن أمين يقترب منه فصاح به قائلا

— ألا ترى يا أبا الانشاء فى لقب (ابن بطليموس) ما يدعو للضحك !

— لقد قرأت مقالته وأعجبنى فيها سمو خياله وجمال أسلوبه اذ وصف الأهرام وأبا الهول وصفا دل على سلامة ذوقه ونصاعة بيانه. ألا تشاطرنى رأيى هذا يا محمود ؟

— أنا لا أشاطر الناس افكارهم فى شيء لم اقف عليه. واظن اخى عبد العزيز يوافقنى على ذلك وان كان ينكر علىّ اهمال مطالعة الجرائد

فقال عبد العزيز وهو كاره

— ان اهوائى لاتوافق اهواءك يا محمود فعبثا الكلام فى ذلك.

— انى ذاهب لأرى من اميل الى مذهبه.

وترك محمود رفيقه ومشى يوسع الخطا مبتعداً عمن لا يتكلمون الا فى جودة الانشاء وطلاقة اللسان. ثم التفت عبد العزيز لحسن وقال له :

— وما رأيك انت. انك بلا شك ممن لا يغضبهم الكلام النافع

— وهل ظننت فىَّ غير ذلك ؟

— كلا وحاشا ان اظن فيك الظنون. ولكنى أرى بين نابتة اليوم قوما لا يعبأون بخدمة بلادهم ولا يعملون الا على خذلانها بانصرافهم للهو والألعاب ولذا ترانى أرثى لحال محمود مع اعترافى له بالتفوق فى لعب الكرة. أنا لا ألوم التلاميذ الذين يخصصون جزءاً من

اذا دعتها الحال لطلب المعونة ، والحياة تدعو النساء كثيراً لذلك .

وقف حسن بعد أن غادرته ابنة خاله قليلا ينظر للسماء تارة وللنافذة حبيبته تارة أخرى الى أن سمع صوت أمه تناديه قائلة

— لقد أعددت الطعام يا حسن . هيا لتتناول عشاءك

— ها أنا ذا يا أماه . . . . . .

الفصل الثاني

— ألم تقرأ مقالة ابراهيم يسرى فى مؤيد أمس ؟

— لم أطالع الجرائد أمس .

— أنا أعلم الناس بعاداتك يا محمود فأنت ممن يأنفون من مطالعة الجرائد

— بل أنا يا عبد العزيز ممن لا يضيعون أوقاتهم فى قراءتها

— بل ممن يضيعون أوقاتهم فى لعب الكرة

— الكرة ديدنى يا عزيزى وانى لا أجد فيها ضياعا للوقت كما تزعم. وهل وقّع ابراهيم مقالته باسمه ؟

— كتبها تحت اسمه المستعار كعادته

— انى لا أعرف لقبه الجديد

— لقد كتبها تحت اسم (ابن بطليموس)

— دع عنك هذا الفكر جانبا ولنفكر بأمر آخر

— لنفكر بحبنا فهو أحسن وقعاً على قلبي

أمالت لبيبه بعطفها عنـد سماعها كلمة الحب المرة الثانية ونظرت اليه نظرة المحبة الوفية الصادقة وقالت :

— وهل يبقى هذا الحب فى قلوب الرجال طويلا ؟

— ما بقيت الأرض والسماء .

— ألم تستهو فؤادك اليوم نظرات الغيد فى الطريق ؟

أسير فى الطريق وصورتك فى مخيلتى . أنت معى فى كل مكان . فى البيت وفى المدرسة وفى الشارع وفى الحدائق حتى وفى الساعة التى أجتهد فيها لفهم درس يصعب على سواد الطلبة فهمه . أنت الحياة . أنت الوجود . أنت الدنيا وما فيها من نعيم . وانى أقسم لك على الوفاء حلفة عاشق صدوق المقال يبر بقسمه حتى آخر نسمة من نسمات حياته .

واستمر المحب يغازل حبيبته و (سحاب) جالس عند أقدام صاحبه كأنه الشاهد العدل على هـذا الحب وعلى هذه الاقسام التى تترى على ألسنة النـاس ولا تلبث أن تذروها الرياح . وسمعت لبيبه أمها تناديهـا فأسرعت للقائها بعد أن حملت النسيم قبلات عديدة وكاد أن يشعر حسن بحرارتها على خديه . وما لبيبه هذه الا ابنة تبلغ السابعة عشر تربت تربية حسنة وتعلمت تعليما يحسدها عليه الـكثيرات من أترابها . وأبوها عبد الرؤوف افندى خال حسن رجل طيب السيرة والسريرة سكن أمام منزل المرحوم مصطفى افندى بعد وفاته ليكون عوناً لأخته (والدة حسن)

سلامه بقبلة أرسلها على أطراف أنامله احمر لها وجه تلك الفتاة الخرود (الكثيرة الحياء) فكسرت من طرفها ثم رفعته اليه وقد علت شفتيها ابتسامة جمعت بين آية الجمال والهيام. وابتدأ حسن فى محادثتها فكانت تسمع كلامه كأنها كانت معه فى غرفته اذ لم يكن بين بيته وبيتها غير ثلاثة أمتار لا يعرفها الا من عاش فى امثال ناحية الحمزاوى

قال لها حسن

— انى سعيد بلقائك يا ابنة خالتى ولقد فكرت فيك طول اليوم وأنا مثلوج الفؤاد وكنت كلما استرجعت فى مخيلتى صورتك المحبوبة أشعر بالفرح يهز عطفى وبالسرور يتمشى فى جوانحى. كيف حالك اليوم ؟

— كما ترومه أنت . وكيف حالك ؟

— المحب المحبوب لا يشعر بحزن ولا يتفجع لمكروه

— وهل حل بك مكروه ؟

— لقد خاصمنى أستاذ النحو اليوم وعاقبنى أمام اخوانى الطلبة حتى ندى وجهى عرقاً .

— أبعد يا عزيزى خصام الأستاذ مصيبة تفتت الكبد وتمزق الاحشاء .

— خصام كل أستاذ سهل على أفئدة الطلبة ولكن خصام (الصاعقة) . . . .

— أما زلت تسمى أستاذ النحو (بالصاعقة) ؟

— اسم وافق مسماه يا عزيزتى

. . .

دخل حسن غرفته بعد أن ترك والدته فى ردهة البيت ووقف فيها هنيهة كأنه يُقرئ السلام كل ما فى الغرفة من كتب وفراش إذ للجماد فى قلوب أهل الخيال مكانة لاتقل عن مكانة بنى الانسان . وقف حسن هنيهة ثم أرسل زفرة أطلقتها جوانحه لم يسمعها غير كلبه الأمين (سحاب) الذى أتاه يبصبص بذنبه كأنه يسأله الصفح عن تأخره . جلس حسن على كرسى ونظر لكلبه نظرة العاتب ثم ناداه بصوت حنون رقص له الكلب طرباً وقفز ليجلس على ركبتى سيده فأمسك به حسن وداعبه قليلا قائلا له (أين كنت ياسحاب ، والى متى تهمل سيدك وهو الذى أحسن اليك وآواك الى منزله ليلة كنت ترتعد برداً امام الباب وقد نبذك أصحابك كما ينبذ الطفل النواة . أهذا جزاء الاحسان ؟) وتمادى حسن فى عتابه واستمر الكلب فى اظهار ولائه وكان الوقت كما قلنا وقت الغروب وقد اختفت الشمس ولم يبق فى الأفق الا احمرار الشفق وحانت فى تلك الساعة التفاتة من حسن للنافذة فاذا به يرى فى البيت الذى يقابل لبيبه فتاة تطل من نافذتها لتمتع بصرها بجمال الطبيعة وتنظر نظرة المعجب لتورد خدود السماء . نظر حسن للفتاة نظرة لم تعرها التفاتا كأنها أتت للنافذة وفى قصدها غير لقائه اذ الحياء كما نعلم من خلق النساء . ناداها حسن بصوت يسمع السامع منه رنين الحب والخوف فالتفتت اليه جافلة كما يجفل الريم وقد سمع خطوات الصياد . ثم اطمأنت له بعد أن عرفته وأشار اليها بالسلام فردته بأحسن منه وتلى

سبيله الى أن تجسمت فى مخيلته تلك الفكرة وأصبح تحقيقها أمنيته الوحيدة. وبحث مصطفى افندى عن تلك الفتاة كثيراً الى أن وفق لعائلة ربتها شركسية توفى زوجها المصرى تاركا لها ابنة وولدا. فخطب مصطفى أفندى الابنة وكانت تبلغ الثامنة والعشرين وقبلت الأم وهى متهللة الوجه لانصراف شبان الناحيه عن ابنتها. ولم يهتم مصطفى أفندى بجمال زوجته إذ لم يكن جمالها غاية الشيخ المريض الذى لا يرجو من امرأته الا عفتها واعتناءها به. وتزوج بها وعاشت معه ثلاث سنوات، ماتت فى السنة الأولى منها أمها، ثم ولدت له ولدا سماه حسن فرح به فرحا كاد أن يقتله وما زال يرتع الولد فى أحضان أبيه وأمه الى أن توفى مصطفى أفندى بالغا الثامنة والستين تاركا ولده بالغا من العمر عشر سنين.

نشأ حسن ضعيف الارادة — وابن الشيخ المريض لا ينشأ الا على هذه الحالة، لا يقدم على عمل الا بعد أن يتردد فيه كثيراً واذا أقدم عليه ود أن يتركه، ولكنه كان يميل للتفكير والخيال وكان به شغف بالكتابة عظيم استحق به فى المدارس الابتدائية لقب «أبا الانشاء» ذلك اللقب الجميل الذى لم يفارقه يوم دخوله المدارس الثانوية.

عاشت عزيزة بالسبع دنانير التى كانت تتقاضاها من أجرة البيتين ولكنها وجدتها غير كافية لقضاء حاجياتها وحاجيات ابنها البالغ السادسة عشر ولذا وطدت العزم على العمل فاشتغلت بالخياطة والاتجار ببيع الأقمشة فى بيوت الأغنياء والعظماء فكانت تربح من وراء ذلك ما تسد به نفقاتها ونفقات تعليم ابنها.

إستبدلهما بمعاشه ، كان يسكن الطبقة العليا من أكبرهما ويتقاضى سبعة جنيهات أجرة الثلاث طبقات الباقيات .

مصطفى أفندى رجل لا يعرف عنه الا أنه مصرى الأرومة طويل القامة بدين الجسم اذا غضب استرسل فى غضبه دفعة واحدة وتناساه دفعة واحدة ، وكان أكولا له فى أنواع الأطعمة وألوانها آراء جرت بين أهل ناحيته مجرى المثل ولكنه كان محبوباً من جيرانه يعظمونه ويذكرونه بالحسنى ويقفون له اذا مرّ أمامهم كأنه سيدهم وعميدهم

لم يذق مصطفى افندى فى حياته الحب ولم يستوجف فؤاده ذلك الشيطان الرجيم ولكنه كان ممن اذا مرت أمامهم سيدة تحدثوا بجمالها الفتان وحسنها الرائع . تزوج مصطفى أفندى فى شبابه سيدة لم تضرب فى الجمال بسهم وافر ولكنها كانت عفيفة سلسة القياد تقتصد فى بيتها وتكره التغالى فى الزينة والتبهرج . عاشرته تلك السيدة دهراً طويلا أذاقته فيه حلاوة العيش ثم ماتت ولم تترك فى أحضانه ولداً ولا بنتاً .

أسف مصطفى أفندى على زوجته أسفا كبيراً وبكاها آناء ليله وأطراف نهاره حتى أصيب بمرض أورثه الضعف والهزال وكان قد بلغ الخامسة والخمسين فأشار عليه بعض أصدقائه أن يتزوج فتاة حسناء تزيل ألحاظها الساحرة عن قلبه نار آلامه المستعرة . ضحك مصطفى أفندى لهذه الفكرة وظنها كالحلم العذب اللذيذ الذى يمر ببال النائم فى ظلام الليل ولا يلبث أن يزول اذا ظهر فى الفضاء شعاع الشمس . ولكنه راود فكره كثيراً ورأى فى نفسه الحاجة لتلك الزوجة وما زال يجادل نفسه ويزيل العقبات من

ثم علت شفتيه ابتسامة تشف عما فى قلبه من فرح وقال (يا حبذا لو تحققت تلك الأحلام . أأغدو يوماً ما كاتبا ؟ من يدرى؟) ثم قرع باب منزله ثلاثا ففتح له الباب وصعد السلم فرأى والدته تنتظره فى ردهة البيت فقبل يدها وقبلته فى خديه وقالت له :

— لقد تأخرت يا حسن فأين كنت ؟

— كنت أقرأ الجرائد يا أماه

— قراءة الجرائد يا ولدى أكبر مدعاة لاهمال الدروس فخل عنك قراءتها واشتغل بما ينفعك

— انك يا أماه تجهلين ما يجرى خارج المنزل ولذا تلقين القول جزافاً

— أنا لا أنكر يا ولدى أنى جاهلة ولكن شعورى يوحى الى بما ينفعك

— لقد أنبنى أستاذى اليوم لانى تبعت ما يوحيه الى شعورى فوالله لا أدرى أأصغى لنصائح الأم أم لنصائح الأستاذ

وترك أمه ودخل الى غرفته

. . .

حسن أمين هو ابن المرحوم مصطفى افندى أمين الذى كان كاتبا بنظارة المعارف العمومية فى عهد توفيق باشا والذى أحيل على المعاش قبل وفاته بسنتين . توفى مصطفى افندى فى سنة وفاة عزيز مصر تاركا ولده حسن وزوجته عزيزه وبنتين صغيرين فى شارع الحمزاوى

خرج حسن أمين (أبو الانشاء) مع من خرجوا من التلاميذ وهو يتعثر بأثواب خجله وخيبته وما زال يفكر فيما سمعه من أستاذه أمام اخوانه الى ان وصل الى باب المدرسة الخارجى فابتدره البواب قائلا :

— ما الذى يشغل بالك يا حسن بك ؟

— لا شىء يا عم طه

وسار حسن فى شارع درب الجماميز وهو مطأطئ الرأس الى أن وصل الى ساحة باب الخلق وهناك عرج على قهوة وطنية معلقة عليها لوحة مكتوب عليها بالثلث (النادى المصرى) . وجلس فى ركن من أركانها يفكر كالشاعر الذى يمنعه خياله عن رؤية ما حوله ثم وافاه خادم القهوة حاملا تحت أبطه جريدتين وضعهما أمامه وهو يقول هاك اللواء والمؤيد يا سيدى وسآتيك بالاهرام والمقطم بعد ان أعد لك القهوة وتركه ليجيب طلب معمم من لابسى الجلاليب الزرقاء .

أمسك حسن «باللواء» فى يده وقرأ كل ما فيه مستثنياً الاعلانات وهم بقراءة المؤيد واذا به يرى الخادم يضع أمامه فنجان القهوة يحف به المقطم والاهرام فأعطاه حسن قرش صاغ وشكره الخادم وانصرف .

وقرأ حسن الجرائد الأربع ثم هم واقفاً وحمل محفظته تحت أبطه وسار الهوينا لمنزله وكان يسكن الحمزاوى . وصل حسن منزله عند الغروب بعد ان قال لنفسه فى الطريق (لقد امتلكت تلك المقالة نفسى وأسرت لبى فلله در كاتبها فهو أفضل من كتب) وتاه فى بيداء أفكاره قليلا

الطرف ثم قال له بلهجة الهازئ — (ما رأى أبي الانشاء في درس اليوم ؟) فلم يجب التلميذ ببنت شفة فأردف الأستاذ جملته بجملة أخرى أغضى لها التلميذ حياءاً وكاد يجول الدمع في عينيه اذ كان من خلقه الحياء الشديد ، حياء يقرب من الجبن .

قال له الاستاذ . (أتلوى عطفك أنفة وتصعر خديك استكباراً ؟) وألقى عليه سؤالا في درس اليوم وطلب منه الاجابة فلازم التلميذ الصمت لتشتت فكره فقال الأستاذ وهو يحرق الأرم (لقد اهملت النحو وانصرفت نفسك للانشاء ولذا تأتي بالخطأ الفادح في جملك المنمقة ولو تبعت نصحي وخصصت جزءاً من وقتك لدراسة النحو لكان لك في فن الانشاء شأن عظيم اذ لا ينكر احد جمال أسلوبك ولكني أبشرك بخمول الذكر ما دمت لا تسمع إلا ما توحيه اليك نفسك) . وتمشى الاستاذ يمنة ويسرة وهو غير ملتفت للتلميذ ثم ادار اليه وجهه وقال (اجلس) ودق الناقوس معلناً للطلبة ساعة انصرافهم فخرج الاستاذ تتبعه التلاميذ الى فناء المدرسة

وقف التلاميذ في الفناء صفاً صفاً ونادى الضابط المعاقبين وكانوا كثيرين في ذلك اليوم وانتظر التلاميذ ناظر المدرسة الى ان وافهم وادوا له التحية وهو واقف على درج لم يكن غير (سلم الفناء) فأذن لهم بالانصراف فغادروا باب المدرسة وهم ثملين بخمرة حريتهم بعد سجنهم .

الفصل الأول

كان الأستاذ الشيخ محمد عبد العليم يلقى على تلاميذ الفصل الأول من السنة الأولى بالمدرسة الخديوية فى الساعة الثالثة بعد الظهر درسا فى (المبتدأ والخبر) . وكانت التلاميذ مصغية اليه اصغاء الطفل لنصائح أبيه لا حبا فى الاستاذ ولكن خوفا من شدته اذ كان معروفا بينهم ببأسه وغلظ كبده حتى لقبه أشقياؤهم بالصاعقة فكان اذا لاح شبحه من بعيد وهم يلعبون ويمرحون فى فناء المدرسة صاح أحدهم قائلا «هلم بنا نغادر هذا المكان قبل أن تحل به الصاعقة » وتعقب هذه الصيحة ضحكات متواليات تدل على بغضهم للأستاذ ونفورهم منه . وما كان الأستاذ بالرجل ذى القلب الأسود كما يزعمون ولكنه كان ممن يتفانون فى حب النظام ومراعاة الآداب وكم من مرة رأف بتلاميذه وأشفق عليهم وساعدهم اذا خانهم الحظ فى الامتحان .

أتم الأستاذ درسه ونظر فى ساعته ثم قال (ليرفع سبابته من تعسر عليه فهم شيء من درس اليوم ؟) وأجال ببصره بين صفوف تلاميذه فلم يجد بينهم من أجاب سؤاله فابتسم ابتسامة الظافر وقال (نتيجة حسنة تبشر بمستقبل باهر إن كنتم فيما فعلتم صادقين) وحوّل بصره لوجه شاب أسمر اللون نحيف القوام أقنى الأنف أسود العينين يرى الناظر فيهما أثراً للحزن والتفكير . نظر اليه الاستاذ مليا والتلميذ حاسر

الشباب الضائع

رواية قصصية مصرية

ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بيني وبينك ، ما زلت أحس بدافع يدفعني لأن أقول لك شيئاً آخر ولكني أفضل أن لا أقوله خشية أن تنفر مني وتظن اني واهم أو اني أخبط خبط عشواء . أأقول أم لا أقول ؟ لا أعلم ؟ دعني أفكر ! وأخيراً قد استقر قراري على أن أقول هذا الشيء فان كنتَ حي الضمير صدقتني وشكرتني وربما قبلتني قبلة أخوية طاهرة . أما اذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فاني لا أخسر شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد ما أتعبت نفسي فيما قلته لك . اعلم يا صديقي انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التي طلبتها منك ستشعر بشيء غريب . بشعور جديد . براحة في ضميرك توحي اليك بأن تعتقد أن خير جزاء وأن أكبر مقام هو تلك الراحة التي تشعر بها عند ما ترى عينك الاطفال الذين أصلحت حالهم والشيوخ الذين آويتهم . والمرضى الذين شفيتهم .

عندها تنسى رتبتك القديمة ونيشانك القديم وتعرف أن الاحسان هو أعظم رتبة وأكبر نيشان وأن الرتب والأوسمة ما هي الا أوهام ؟

(سنة ١٩١٧)

يكنزون فى بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا أو ركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغنى فلان » أنت من هؤلاء أيها الصديق وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف مرة كلا . أنا أود أن يظل مالك فى حوزتك ولكنى أرجوك أن تتنازل عن بعض ايرادك لمن يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة لبعض مالك لينفق فى سبيل الخير أمامك الفقراء يودون أن يجدوا أمامهم مدارس يرسلون اليها أبناءهم بلا أجر وأمامك الشيوخ الذين أقعدهم المرض والفقر والشيخوخة عن العمل . هم فى حاجة لملجئ يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك ، اذا سرت فى الطريق على قدميك الأطفال المتشردون الذين باحسانك ينصلح حالهم فيعودوا بالخير على أمتهم . وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن تنشأ لهم مستشفيات وفى طاقتك أن تفعل ذلك ؟ هذا هو السبيل السوى الذى تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك — على شريطة أن لا تزور أحداً ممن كنت تزورهم وأن لا تحنى رأسك للذل ولا تمد رقبتك للرق — أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟ انى سأقول لك شيئاً ستندهش له وأخشى أن لا تصدقنى . ولكنى سأقوله على كل حال . انى أؤكد لك أيها الصديق ان تلك الرتبة التى كنت تسعى لها ستسعى هى اليك وان النيشان الذى كنت تفتش عنه فى كل ساعة سيفتش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس «ان الرتبة والنيشان تتشرفان بك بدل أن تتشرف بهما »

تحرم عليها الطعام وويلاه لأولادك لأنك تشبعهم ضربا وويلاه لخدمك لأنهم يظلون مدة وهم مهددون بالطرد . ثم ترجع لنفسك وتسألها لماذا فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتدى لشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فاذا نلت الرتبة أو النيشان تمشى السرور فى نواحيك وهزك الفرح هزة تخشى أن تضر بصحتك . ثم تمر الأيام وتنسى كل ذلك وتنظر الى يمينك والى يسارك فترى الصورة التى رأيتها قديما ، ترى قوما آخرين من أصحابك هم أعلا منك رتبة أو حازوا نيشانا لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخشوع والخضوع . أى أنك تظل طول حياتك معذبا مكروب النفس حزين القلب فوأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التى ارتضيتها لنفسك .

ولعلك بعد هذا الحديث الطويل توافقنى بل تشكرنى لأنى أشفق عليك وارثى لحالك . واسمح لى أيضاً أن أقول لك — وان كنت أشك فيما سأقوله — ربما يجول بخاطرك الآن هذا السؤال « اذا ماهو الطريق الذى اذا سرت فيه استراح ضميرى وهدأت ثائرة نفسى ؟ » . ما هو هذا الطريق أيها الصديق ؟ سأخبرك عنه واعلم أن من أجل هذا السؤال أكتب اليك هذا الخطاب . أنت لست من العلماء لأطرق معك باب العلم وأقول « اقرأ وألف واخترع » ، ولست من رجال الصناعة فأقول لك « اعمل فى سبيل رواج صناعة بلادك » ، ولست من رجال الأدب فأقول لك « أى كتاب كتبت ؟ » ولست من التجار ولا رجال الحكومة ولا ولا . . . . ولكنك من الأغنياء . أنت من الرجال الذين

رفعة المقام . أظنك توافقني أيضا على ذلك . وأظنك أيضا تقضى العام كله وأنت تزور من له صلة بمن في يده تدبير الأمور. تزوره كلما سنحت لك الفرصة فتجلس بين يديه وقد جلس الكبر بين عينيه وتمشّى الذل في شرايينك فأحنيت رأسك وتذللت في السؤال والكلام والسلام. ثم تعود الى بيتك وتجلس على كرسيك جلسة الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .

انى أقسم بكل عزيز عندى فوق الأرض وتحت السماء أن ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك وترتعد فرائصك خجلا . ولكنك تنظر الى يمينك فترى صديقك فلان حائزاً لرتبة باشا وانت لم تحز بعد الا رتبة بيك ثم تنظر لشمالك فترى صديقك الآخر حاز نيشانا وصدرك ما زال خالياً من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزيل احمرار وجهك ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشأه الغيظ والحسد ، وتظل ركبتاك ترتعدان ، ارتعاداً ليس منشأه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى ما أنبّك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذى يتكرمون فيه على الناس بالرتب والأوسمه اكثرت من زياراتك وقضيت لياليك وأنت لا تنام ، يدنيك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعدك اليأس. ثم ماذا ؟ تظهر النتيجة فترى نفسك قد سقطت فى الامتحان . ويلاه وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لأنك لم تنل غايتك وويلاه لزوجتك لأنك

واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقى أنك تقضى العام كله ما عدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ، تقوم مبكرا من نومك وفى رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك ويصور لك الحياة فى صورة قبيحة لا ترضاها لنفسك . أليس الأمر كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك فى أعين الناس . أنت تود أن تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية فى مصر ! ولكنك مع الأسف تجهل ماهية القيمة الانسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها ولكنك تتغافل عنها لانك لا تجد فيها الطريق السوى الذى تسوغ لك كفاءتك السير فيه . لهذا تسير فى طريق آخر آملا أن تصل به الى العرش الذى تطمح نفسك لارتقائه . وما نتج هذا الا من جهلك لانك بالانزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضا من ينبوعها الطاهر . وليس الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت فى جو لم تنل فيه من العلوم والآداب قسطاً وافراً فانت بطبيعتك جاهل ، لهذا ظل قلبك مقفلا أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذى يتغلغل فى حنايا القلوب فيضىء ظلماتها القاتمة . اذاً أنت من الحزب المصرى الذى يرى قيمة الرجل بالرتبة التى ينالها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره . ويا ليته يرى ذلك فحسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يبرر كل واسطة للوصول لغايته . فأنت اذاً من هذا الصنف . أى أنك تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تفعل شيئا يذكر تستحق عليه

الغالية وتأكل الطعام الفاخر . والتى تجد فى التبختر ، اذا سارت ، باباً جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتى اذا زارت لا تزور الا من له صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحنى ظهورها . وتمد للرق رقبتها ، أما لغيرهم فتظهر بمظهر المتعجرف الشامخ الذى اذا جلس التحف بجلباب الكبر واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل واما أن تكون الرجل الآخر ، أى من أعيان الريف الذين اذا أكلوا فى منازلهم اكتفوا بالعيش والفتة واذا زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يتلوه الخروف ، والذين ينامون فى غرفة ضيقة ويلتحفون بملابسهم ولكنهم يعدون فى قصرهم لرجل الحكومة غرفة جميلة وسريراً حريرياً ولا يستنكفون من أن يقفوا فى خدمته وقفة الخاضع الذليل ولكنهم يستنكفون أن يسمحوا لزوجاتهم وأولادهم أن يأكلوا معهم .

إما أن تكون الرجل الأول أو الثانى . وسيان عندى أن تكون أحد الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد ، فأنتما شخص واحد . دع عنك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشتما فيه . ولا يهمنى من أمركما إلا شىء واحد هو خضوعكما لمن فى يده القوة واستنكافكما من معاشرة الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه لأنك عاهدتنى قبل محادثتك بتنازلك عن كبريائك وباعتقادك أنى أصارحك القول . والآن فلنتحدث قليلا لأعلمك لماذا أخاطبك فى العام مرة

أعرف السبب وسأذكره اليك فربما وجدت فيه عزاء لنفسك المضطربة وراحة لضميرك الهائج . ولكنى لا أريد أن نتكلم سويا إلا اذا اعتقدت انى صريح فيما أقول وأنه لا يحملنى على مناقشتك إلا أمر واحد هو حبى للناس . ومن هذا الحب تولدت فى قلبى عاطفة غريبة نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما أجمل الصراحة التى يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .

أنت بلا شك لا تغضب لأنى صريح ولكنى أخشى أن يسوؤك رثائى وشفقتى . لهذا أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبريائك . . . . عفواً أيها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأت مرة ثانية وقلت انك من المتكبرين المتغطرسين . ولكن ما الذى يضرك ، وهل يسوءك أن أصفك بهذه الصفة وأنت ممن يجدون فى الكبرياء والأبهة لذة لا تقدر ؟ أظن اذا انى لم أغضبك مرة ثانية وانى لم أخطىء بالمرة . فاسمح لى اذاً أن أقول لك انى أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبريائك فى غضون تلك الساعة الزمانية التى نود أن نتحادث فيها سويا وأن لا يسوءك أنى أشفق عليك وأرثى لحالك .

اذا فلنبدأ الحديث على الشروط الماضية . وحديثى معك يبدأ هكذا :

أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فاما أن تكون من أعيان القاهرة ، تلك الجماعة التى تسكن القصور الشامخة تحوطها الحدائق الغناء ، والتى تركب السيارات ذوات المنافيخ المزعجة ، والتى اذا تكلمت تأنت فى كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتى تلبس الملابس

العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندى)[1]

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديقى العزيز .

اسمح لى أن أناديك بالصديق العزيز مرة فى كل عام وان كنت لم أسعد فى حياتى الماضية ولن أسعد فى حياتى المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر هام جداً ، بل هى شرف عظيم لكل من يجد فى قربك سعادة لنفسه وراحة لضميره المعذب . ولكنى لا أكتمك — وان كانت صراحتى تؤلمك — إنى لا أود ولن أود أن تسمح لى الظروف بمعرفتك بل برؤياك ....

لماذا إذاً أخاطبك فى العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الارض والسماء ، مسافة طويلة جداً ، ولكنها لا توجد إلا بين نفسى ونفسك ! ما جسمانا قريبان وربما التقيا فى الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على صعيد واحد ، هو مصر . اذاً لماذا أكتب اليك ؟ انى لا أسائل نفسى لأنى

---

(١) كان فى عزم الفقيد أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان ولكن لم يتم الا هذه القطعة

لم تزل بضة البشرة عليها مسحة من الجمال بالرغم من الخمسة والأربعين عاما التى قضتها وكان محجوب شابا يهيج شهوته الخادرة أى باعث صغير. فأطال النظر اليها وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد فى صدرها وهى تنظر خصلة شعره الاسود المسدلة على جبينه ثم قبلته فى فمه فقبلها فى فمها وتعانقا وتلاصق جسمها بجسمه وأحس بنهديها الذابلين تدلك بهما صدره ....

ثم غابا عن الوجود

∴

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مربيته كأم حنون والآن صار شاباً جميلا فأحبته مربيته كعشيقة ضرم الحب أنفاسها.

فيا للعجب مما تراه العيون فى ظلام هذه الحياة ؟

(سنة ١٩١٧)

تبتسم له . ولبث يحادثها ويشير لها الى أن رأى خيال مربيته فى الغرفة الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس وحيداً ينتظر الرقيب

فدخلت مربيته بعد عدة دقائق وقد استشاطت غضباً وقالت بصوت متهدج

— هذه هى المرة الأخيرة فان عدت لفعلتك أخبرت والدك بكل ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم ؟

— أى باعث يستفز غضبى ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى أى هوة أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك

— انى أكره هذا الحديث

— أتأبى استماع نصائحى ؟

— انها لا تصلح الآن بعد أن كللتنى الرجولة

— يا لك من شاب أبله

سمع محجوب هذه الكلمة فقام غاضبا وهم أن يغادر الغرفة فأمسكت به مربيته ولفَّت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج فهم بالافلات منها فامس جسمه جسمها فلم يجد بأسا فى البقاء فلف ساعده أيضا على خصرها متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل فى ذلك الوجه الذى عرفه من يوم أن كان (يحبو) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه وكانت

— إني حريص على أدائها فدعي اللوم جانباً

— يا لك من غر أحمق

— اني أكره أن يسبني أحد

— ولكنك ترتكب المعاصي على مرأى من الناس . ألا تخشى أن أخبر أباك بما تفعل

— أبي لم يخرج من غرفته بعد فهل لك أن تذهبي وتقصي عليه ذلك

— سأفعل

وخرجت وهي غاضبة وخاف محجوب أن تخبر أباه بهواه . فلما دنا وقت العشاء أبى أن يأكل مع أبيه فادعى المرض ونام وهو جوعان .

ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مربيته له فلا يهتدي إلى شيء . انه لم يلاحظ شيئاً في حركاتها ولا في سكناتها فعلام لا تتركه حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف والحذر . وعلام تغار من هذه الفتاة التي لم تبلغ الخامسة عشر وهي امرأة أربت على الخامسة والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير .

. .

خرج محجوب في يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه لعب معهم الميسر وخسر ما في جيبه فرجع البيت وهو يعض بنان الندم . وسأل عن أبيه فقيل له انه خرج وعن والدته فقيل له أنها ستتناول طعام العشاء عند خالته . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته في النافذة

رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنت تبلغ الخامسة عشر وولد يبلغ العشرين يساعده فى ادارة حانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها فى أعمالها المنزلية وتساعدها ابنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام النافذة التى تطل على غرفة محجوب تنتظر إيابه من المدرسة . فكان اذا ما دخل غرفته أشارت اليه بالسلام ويبتدآن فى المغازلة . ففى ذات يوم دخلت عليه مربيته فوجدته يشير بيمناه للفتاة فنظرت اليه نظرة ريبة وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يعر محجوب ذلك الحادث اهتماماً وانقضى اليوم على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مربيته تكثر من الدخول فى غرفته ساعة ايابه من المدرسة كأنها تود أن تمنعه عن محادثة الفتاة فساءه ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد الى حيلة ناجعة فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هواه

واهتدت مربيته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحه لها بعد ان أشار لفتاته أن تتوارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية فابتسمت ابتسامة الهازئ وقالت له

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصدين من ذلك؟

— انك يا ولدى تسيء لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل المرء عن اداء واجباته .

له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين ربته صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة وكان عمرها فى ذلك العهد خمساً وعشرين عاماً وكانت قد طلقت من زوجها وهو رجل كان معاونا فى احدى زراعات الدومين . ومحجوب يحب مربيته ولكنه لا يخشاها . يهزأ منها اذا أغضبته ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى اساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ محجوب العشرين ولكنه لا ينس أيام كانت تضربه مربيته وهو طفل اذا هفا هفوة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تسلق شجرة النبق فى الحديقة وكاد أن يسقط على الارض . لقد أمسكت به مربيته والعصا فى يمناها تقرعه بها ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم ان مكث فى الفناء يلعب ويمرح وكان الوقت ظهراً فنهاه السقا عم عبد الرزاق عن ذلك فشتمه ورفصه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مربيته على وجهه وهى تؤنبه على ما فعل . وهل ينسى يوم ان التقط من الأرض بقية سيجارة كان يدخنها أبوه وأراد أن يستنشق الدخان فرأته مربيته من النافذة ونادت به فهم بالهرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حمله الخصى وأتى به اليها لينال جزاءه ؟ انه لا ينسى كل ذلك . وان للطفولة حوادث تبقى مرسومة فى رؤوس الشبان والرجال الى الأبد

وكان القصر الذى يسكن فيه محجوب وعائلته فى حى من الأحياء الوطنيـة ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لأقوام من بيئة ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر محجوب

لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بعد أن فكر قليلا فيما رآه وفيما سمعه (ربى إنك خلقت هذا النعيم للمحبين ولعمرى ما تلك الا جنة الحب) ورتل آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد عات شفتيه ابتسامة تعبر عن هنائه وغبطته .

. .

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت فى نهايته حفلة قران الفتاة الغنية بالشاب الفقير وما كانت تلك الحفلة الا رمز انتصار الحب الطاهر على كل شىء ؟

(اكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلا فصار شابا

أحمد محجوب يبلغ من العمر عشرين عاما أقنى الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين وضاح الطلعة جميل الصورة طويل القوام اذا رأته النساء نظرت اليه بطرف خفى واذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى وأمه من عائلة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية مصرية بحتة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة وضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولوعاً أنساه كل لذة فى العالم وكانت

خلقت هذا النعيم ؟) ثم تذكر أيام كان شابا يخفق قلبه لرؤية الغيد فأغمض عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ثم فتح أجفانه وقال (ما تلك إلا جنة ال . . .) ولم يدر أى كلمة يتم بها جملته فوقف وهو حائر الطرف واذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاختفى وراء شجرة كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتابعة وقال لنفسه (من هو هذا الغريب الذى يجسر على التنزه فى حديقتى قبل منتصف الليل)

واقترب الشبحان منه فتفرس فيهما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب بعد أن تفرس فى وجهه وقال لنفسه (هذا هو الشاب الفقير الذى كان يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالحمزاوى) ووقف الشبحان وتحادثا على مسمع منه ، فقال الفتى

— أنا مرغم على تركك يا حبيبتى وانى أقسم لك أنى سأبقى على عهد حبى الطاهر الشريف الى أن يضم عظامى القبر .

فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك

وقبلها الفتى فى جبهتها وسار معها متخذاً وجهة السور ليعود أدراجه الى منزله .

خرج البك من مخبأه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر ثم نظر للسماء وللنهر والأشجار ، لهذا الجمال الطبيعى ، لهذه الجنة الدنيوية ،

هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية لآلام ابنتها . أما الفتاة فكانت تبكى آناء ليلها وأطراف نهارها وتتوجع سراً دون أن تبوح لأحد بآلامها . لقد كان لها بارق من المنى كذب برقه وعارض من الآمال أخلف ودقه فسلام على ماضى هنائها وسلام على رجائها وآمالها

وفى ذات ليلة تعشى الباك كعادته وشرب فنجانين من القهوة ثم دخن سيجارة وابتدأ فى صلاة العشاء ولم يفارق سجادته الا بعد ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً ثم قام وتمشى فى المنزل قليلا ودخل غرفة نومه لينام وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفلح فخرج الى الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى الباك فى الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابتهال وخضوع فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم نظر للأشجار فوجدها تتمايل يمنة ويسرة وقد هبَّ نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال مخاطبا ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ونظر للنهر فوجد أشعة القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قاربا يحمل قوما يغنون ويضحكون وسمع فى تلك الآونة نشيد طائر يغنى فى جوف الليل البهيم فقال مخاطبا ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم جلس على كرسى ونظر لكل شىء ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التى هى مهبط الحب وخلوة اللذة والنعيم فقال مخاطبا ربه (ربى لمن

على كتف أمها ولم تشأ الأم أن ترهق الفتاة بالأسئلة فاكتفت بما عرفت .

∴

وعاد محمد بك الى منزله وخاطبته زوجته ورجته أن يؤخر هذا الزواج المشئوم فأصر على عناده فلم تجد الأم باباً من أبواب الرجاء والاستعطاف الا وولجته ولكن الباك عز عليه أن يقهر فى هذا الميدان وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر الى زوجته وقال

— لعلها تهوى فتى تود الاقتران به

فقالت الأم وهى غاضبة

— واذا كان الأمر كذلك فأى ضرر يلحق بنا

— أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعبين بالنار أيتها المرأة . انى أحرم على هذه الفتاة ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها وسوف تعيش راهبة ما دمت حياً .

وخرج من الغرفة وهو كالمجنون ونادى فتاته فأتته ملبية طائعة فابتدرها بالشتم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته فى وجهه . وغادر الباك المنزل وهو هائم على وجهه .

∴

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيهما شىء جديد . وخيم السكون على هذا المنزل فكان الباك هادئاً ساكناً لا يلفظ بكلمة تشير الموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج فى قلبه وكانت زوجته

فاسدة . وأصر على زواج ابنته بالفتى الاول وأبلغها ذلك الحكم الصارم بشدة لم تعهدها فيه من قبل قابلتها بالصمت والبكاء

.·.

لم يرق فى عين الأم أن ترى ابنتها تبكى وتنوح وهالها أن ينبو الفراش عن جسم تلك الفتاة الخرود وأن يطيش سهمها ويخيب رجاؤها وتقف آمالها على شفا اليأس . خلت الأم بابنتها فى صبيحة يوم من الأيام بعد أن خرج والدها للقاء أحد أصحابه وحادثتها فى شأن زواجها بعد أن أقسمت لها أنها ستكون ساعدها الأقوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه فبكت الفتاة وأنت وجثت أمام أمها تسألها الرحمة والمعونة .

علام تبكى هذه الفتاة ؟ ولماذا تستعطف ؟ وأى باعث يهيج فى قلبها تلك النار الكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى والشاب الذى انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم العنصر باذخ الشرف منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ لعل فى الامر سراً آخر !

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهى تمسح دموع ابنتها ولما هدأت الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو . « إنى أعدك يا ابنتى أن لا تتزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تتزوجى الشاب الذى تصبو له نفسك . فمن يكون هذا الشاب ! »

فنكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامة باحت لأمها بسرها الدفين فقبلتها أمها وقالت (ومن هو ؟) فلازمت الفتاة الصمت وأسندت رأسها

غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها موسيقى الطيور ممزوجة بألحان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت الحب فى آذان العاشق اليائس. واذا ظهر الشفق خلف النخيل وارتدت السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر ان هذا الاحمرار هو دموع الليل يودع النهار. واذا بزغ القمر فى القبة الزرقاء فى ليلة من ليالى الصيف ود صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر. هذا هناء كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه. فهو به قرير العين مثلوج الفؤاد تلوح عليه أريحية السرور كلما ذكر الله، ويلمع فى غرته نور البشر كلما صلى على نبيه .

لم يرزق محمد بك عبد القادر إلا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث غضة العينين كأنها نرجسة جميلة فى حديقة الشعر لا يقف امامها إلا كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير ولقد بلغت تلك الفتـاة العشرين منذ عدة أيام وفكر أبوها كثيراً فى أمر زواجها وحادث زوجته فى هذا الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثير من الشبان الأغنياء المتعلمين الذين يتطلعون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب وجدا فيه ضالتهما المنشودة وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت نفوراً من ذلك الشاب فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين ابنتها فاستاء لتلك النتيجة ولكنه إختار شاباً آخر لم ترفضه الفتاة بل رفضت الزواج كلية . وعز على أبيها ذلك الرفض وقامت بنفسه قيامة عصيان البنت لأوامر أبيها فهددها ما شاء وشاء تعصبه وتفانيه فى حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو

ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟

(هذه القصة لموبسان الكاتب الفرنسي الشهير بَدّل المعرب أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شيء فيها فلم يبق من الأصل إلا روح الكاتب واتبع المعرب فى ذلك خطة تولستوى فى قصصه التى نقلها عن موبسان)

. : .

محمد بك عبد القادر رجل فى الخامسة والخمسين من عمره أقنى الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته ، إن مشى يسير الهوينا وان جلس يتربع على كرسيه بعد ان يخلع خفيه ، يرتدى الردنجوت ولا يحب سواها من الملابس الافرنجية لانها أقربها شكلا لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم فى كل أقواله وأفعاله يذب عن الدين كلما تعرض له ملحد لا يتقى الله فى دينه ولا دنياه ، ويدافع عن حجاب المرأة فى كل مجلس يتناقش فيه أصحاب مذهب السفور مع المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وان رأى شاباً جالساً فى حان يتعاطى كأساً من الخمر وقف فى مكانه كالمصعوق ثم بصق على الأرض ومشى فى سبيله وهو يرتل آيات القرآن . له فى بنك الكريدى ليونيه عشرون ألفاً من الأصفر الرنان لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك فى قصر جميل على ضفاف النيل تحوطه حديقة

الكأس المثلج بين شفتيه وكأنه امتلأت العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤن به ولا يسخرون منه وهو ينفخ فى صفارة لم يشترها بماله فألقى على بالصفارة فى وجوههم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية المنطقة حيث يكثر الباعة فسار اليتيم الهوينا الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جلس فى ظل الشجرة وقد أسند ظهره الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد المنطقة قفرة كقلبه فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول:

(أماه . أماه . أبتاه) بينما كانت الأطفال تغنى فى الشارع الكبير

. . .

ثم أفاق بعد هنيهة فوجد الكلب الذى ألقى بقطعة الحلوى اليه جالساً عند رأسه يلحس دموعه بلسانه الظامىء ؟

(أغسطس سنة ١٩١٧)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتعاض فقهقه محمود ضاحكا حتى استلفت انظار المارة وبصق الخصى على الأرض وكان هذا اكبر مجهود يقدر على فعله لاهانة محمود ثم صاح أحد الاطفال

— المصارعة المصارعة خير مما نفعل ومن يتفوق على نظيره يأخذ صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال آخر : — وليكن محمود السبع حكما بيننا

فقال محمود : — بلا شك

وقال رابع : — ولكن علياً (اليتيم) لا يملك صفارة .

فصاح الطفل الذى رمى لعلى بقطعة الحلوى

— سأصارعه فان تفوق علىَّ أعطيته صفارتى وان تفوقت عليه صفعته على وجهه امام الجميع

فصفق الاطفال استحساناً وقطب علىّ وجهه وشمر عن ساعده فكنت ترى عند التحام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة على وجه كل واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثانى يدافع عن شرفه والفرق بين الصفارة والشرف كبير وتغلب علىّ على رفيقه وألقى به على الأرض وهو ممسك بتلابيبه وفرّق بينهما الرفاق فقام علىّ وهو رافع الرأس وقال : — أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع للمغلوب : — اعطه الصفارة ثم أدار وجهه عن الاطفال وذهب للقاء صاحب له . فأخرج المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد ومد يده بها الى عدوه فأخذها علىّ ووضعها فى فمه كما يضع الظمآن حافة

يقبلون أطراف جبته . أما الشيخ فهو رئيس الطريقة النقشبندية وهي طريقة تحتم على أشياعها أن يذكر كل واحد منهم لفظ الجلالة مرة في كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم منذ خمسمائة سنة بعد أن نقشت التقوى على صدره اسم الجلالة ولهذا سميت طريقته باسم النقشبندية .

ثم مر بائع الحلوى فهرعت اليه الأطفال وجرى معهم اليتيم ولكنه كان في مؤخرتهم فمد اليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلا

— خذ

فأشار على برأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطاها لكلب جائع كان يبصبص له بذنبه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه صورة البؤس ممزوجة بصورة عزة النفس ولحق برفقائه وهو وحيد القلب وان كان كثير الرفقاء أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى فقد مشى وهو يهز كتفيه ويصعر خده أنفة واستكباراً .

ثم حانت التفاتة من الأطفال الى الشارع الكبير فوجدوا محموداً (الفتوة) قادماً عليهم فصاحوا جميعا (محمود السبع حضر . محمود السبع حضر) وصفقوا بأيديهم فابتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفتهم وسار في طريقه على مهل ساحباً أذيال الخيلاء وملوحاً بعصاته في الهواء كما يلوح الفارس بسيفه وكان ضخم الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط الأوفر والفوز الأكبر مشهوراً بين فتوات العطفات الأخرى ولذا لقب (بمحمود السبع)

يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يغنى أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمرمر صغير السن لوعنى) ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفتيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوقة . وعادت الاطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطفة وهى ملجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يجول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفافيرهم ويغنون وتلك لعمرى موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتنافر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقائه وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر إليه أكبرهم سناً وقال له بملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون .

وقال ثان : — أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث : — كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست معه صفارة

ولكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .

وفى تلك الساعة مر استاذ قصير القامة طويل اللحية يسير الهوينا فى طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبحته بيده اليمنى . فهرعت الأبناء للقائه وهمّ الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده بينما كان الآخرون

ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته اياهم سرور العيد وليس فى ذلك بأس عليهم وهو طفل مثلهم يبكى اذا ألم به ضر ويضحك إن نال ما تصبو اليه نفسه وأنى له أن ينال بغيته وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه وأين حنو زوجة العم من حنو الام . مشى الاطفال الهوينا ثم غادروا العطفة وتواعدوا على العدو فى الشارع الكبير وجروا فيه أشواطاً عديدة فسقط أحدهم على الارض فأسرع إليه رفقاؤه وهم يضحكون كما تغرد العصافير وعاونوه على النهوض من سقطته فقام وهو كالح الوجه كاسف البال وقد جال الدمع فى عينيه ولكنه لم ينس أن اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض فما لبث أن نسى سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون . أما اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التى كانت تدب فى جسمه فتطفىء نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الاطفال الشارع الكبير ومشوا فى العطفة وهم يضحكون وينشدون الاناشيد الصبيانية الى أن وصلوا للشجرة الكبيرة وهناك صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك تمر الباعة فهيا بنا نعود من حيث أتينا وتسابقوا وقد علا صياحهم فى الفضاء

∴

ومرت فى الشارع الكبير فى تلك الساعة عربة كارو وقد ركب عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب له رأس لها أربع أركان

السميك الذى يقف فى وجه المارة ليمنعهم من المسير وجدت شجرة كبيرة يتفيء ظلالها كل من تعب وتملكه الانضاء . أما اذا أسرعت فى سيرك خشيت أن تعثر فى هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن عشرة سنتيمترات أو فى القاذورات التى تلقى بها أيدى المارة بلاخوف ولا حذر. أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن يهجروا الحى الذى نشأ فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم يجلس على بابه الخصى واضعاً رجلا على رجل وممسكا بمسبحة يستعين بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم ولا ملل. وهو شيخ فى الخامسة والخمسين من عمره له شفاه تشبه قطع (البفتيك) التى تقدم لك فى مطاعم العاصمة وعينان نزداد احمرارهما كلما (أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم وأنف أفطس كأنه ضفدعة وجدت فى وجه الخصى منبتاً حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز كما يهتز الفيل

⁂

نحن فى اليوم الأول من أيام العيد والناس فى هرج ومرج والاطفال يلعبون فى الشارع وقد أمسكوا بألاعيبهم وارتدوا ملابسهم الجديدة وتسامروا وهم يضحكون ويقفزون . والآباء انشرحت صدورهم ومشوا فى الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) . وكان بين الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة لهم وعن رثائه لنفسه لحرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولا من لباسه القذر وأقدامه الحافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره

القهوة وهى جادة فى قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال الساحر والدلال القاتل . يشفع ابتسامها الجميل فى ضعف صوتها

. . .

انتهى الغناء وخرجت مع صاحبى فسمعت عند باب القهوة رجلا يقول
— هذا غناء يتخلله ضحك وابتسام
فقلت فى نفسى
— لقد أخطأت ياصاح هذا ضحك وابتسام يتخللهما غناء ؟
(أغسطس سنة ١٩١٧)

صفارة العيد

العطفة التى نتكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الارصفة تبتدئ بحائط سميك وتنتهى عند الشارع الكبير ، حيث ترى على يمينها قصراً فخما يخاله الناظر سجناً أعد للمجرمين وعلى شمالها قبراً لشيخ وهى تقف أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماء نظرة رجاء وابتهال ثم يمسحون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته عليهم . واذا سرت فيها فبلغت منتصفها وجدت (أم مليم) بائعة الطعمية والسلطة والسكرات جالسة القرفصاء أمام حانوتها المكون من قفص تعرض عليه ما تبيعه لسائق عربة الكارو ولابن السبيل والفاعل . واذا اقتربت من بدايتها أى من الحائط

اهتزاز النغمات وتقلصت شفتاه وتقطب وجهه فكأنه يبكى أيامه الماضية وثروته الضائعة

وأما حامل الكمنجة فهو شاب فى ريعان الشباب أصفر الوجه له شارب طويل يرتفع طرفه الأيمن الى أعلا وينخفض طرفه الايسر الى أسفل له وجه ليس فيه شيء من التناسب بين طوله وعرضه وجبهة خليقة بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار فما أشبهه بمحررى بعض الجرائد فى مصر

أما الأخير فهو يافع لاأدرى لماذا أتوا به، يذكرنى بيافع آخر كان يمر على قهاوى العاصمة ليبيع السجاير (الفنتزية) التى اذا أشعلتها طار منها شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهى امرأة ذات جمال اغريقى فى نحو الثانية والثلاثين من عمرها قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحة الطلعة سافرة الوجه مرتدية ملاءة سوداء تصل أطرافها الى ركبتيها فتزيدها رقة وحسناً لها فم جميل لا تفارقه الابتسامة فكأنما تتساقط منه زهور النرجس والورد ولها شفتان تتعدد أشكالهما كلما غنت فتارة تظهر عليهما صورة الاستعطاف وطوراً صورة الاعراض وآنا صورة الحنو والامتثال وآونة صورة التيه والاعجاب. تغنى ثم تضحك، وتضحك ثم تغنى، وتبتسم وتخجل ولا أدرى لماذا تخجل ولماذا تبتسم ولماذا تضحك وان كنت اعرف لماذا تغنى!

ويخيل لى انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتحادثك خارج

ودفعه ذلك الميل الغريزى لامتطاء الدكة المعدة للمغنيين فجلس عليها يساعد الجماعة على إخراج الأغانى صحيحة خالية من العيوب

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه أديم الأرض ولعله من المصابين بداء الحياء الشديد ولهذا لم يتيسر لى أن أتفرس فى ملامح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة فى (حاله) ولهذا ندعه فى حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنت الأيام ظهره فأصبح كالقوس يداعب المغنية من وقت لآخر ولا أدرى لماذا ؟ له طربوش تظهر منه شعور كتلك الشعور التى أبقتها يد التحنيط على رؤوس الجثث المحنطة فى دار الآثار المصرية مرتديا بدلة يحار فكر الناظر أمامها فمن قائل أنها بدلة عادية ومن قائل أنها ردنجوت قصيرة ومن قائل أنها من نوع جديد سوف يحذو على منواله كل حائك فى مصر فلا تلبث أن تصبح الموضه المصرية الجديدة بعد أن انقطعت عنا فى أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه منتفخ تغار فيه عيناه البراقتان تظهر عليه بعض مخايل الوجاهة ولا أدرى لماذا ؟ ولعل ذلك لأنه حامل العود والعود سلطان الآلات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه أنه كان غنيا ثم أناخ عليه الدهر بكلكله اذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسده بأجمعه مع

ولابس الجلابية الزرقاء جماعة مختلفى المشارب خارج القهوة متحدى الأميال فيها تعوزهم ريشة المصور لترسم للناس الصور المضحكة المبكية التى تبدو على وجوههم . ثم نظرت لجماعة المغنيين وضحكت حتى كدت أن ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية وجه المغنية الفاتنة التى كانت تبتسم للجميع وتحييهم أجمل تحية .

المغنى الاول شاب أسود البشرة يظهر لى أنه من أم زنجية وأب مصرى أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال العنابر فى مصر له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته اليسرى وعينان سوداوان بهما جمال عبثت به يد السهر والخمر وشارب قصير كريش فرشة تنظيف الأسنان ، وكان مرتديا بدلة بيضاء وبها بقع سوداء فما أقرب شكله لشكل الفرس الأبلق .

والثانى رجل مغلق الأجفان يجتهد فى فتحهما كلما دعته الحالة فتعييه الحيلة ، له فم اذا فغره خلته بئراً واذنان كبيرتان وذقن طويلة تهتز مع رأسه كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر فما أشبهه بحلاق من جهة سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرتزق فى قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلا مرتديا جلابية بيضاء وحزاما من المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطربوشاً من غير (خوصة) لم يحلق لحيته منذ أيام فظهرت شعورها فى وجهه كما يظهر النجيل فى الارض القحلاء وكان اذا أنشد أخذ فمه شكلا هندسيا يشبه المعين اذا نظرت اليه ظننت أنه منجد ملك عنانه حب الغناء فأتى الى القهوة ليشنف آذانه

للقائه ويتأجج الصدر عطشا لرؤيتـه وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلى آذان صاغية له ولبثنا نتحادث الى أن أخرج ساعة من جيبه ونظر فيها مليا ثم قال .

— هيا بنا . لقد دنا الميعاد

— فقلت وأى ميعاد

— أنا على موعد مع أحد الأصدقاء لسماع مغنية جديدة فهل لك في مرافقتي ؟ فأجبته لمطلوبه واستأذنا الجماعة ومشيت معه جنبا لجنب

وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شابا ينتظر ، قدمه الىّ صديق ، فابتدرنا بقوله :

— لنرجع أدراجنا الى منازلنا

— فقال صديقي وعلام

— أن السيدة (. . .) لا تغنى هذه الليلة

وحانت مني التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولكني أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب

— يا للعجب لقد تأخرتْ اذاً عن ميعادها ربع ساعة .

فقلت لنفسي وأنا أبتسم (يا للعجب أول القصيدة كفر) وابتعنا تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لسماع المغنية وأخذنا مجالسنا بين الجمهور وجلسنا وكأن على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش والمعمم

— وهل هناك طرق أخرى ؟

— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء فى الجزيرة وهناك أقص عليك
صة أخرى فخرجت معه وكلى آذان مصغية لحديثه ؟

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)

حفلة طرب

كنت شغوفا بالكنسير أيام كنت فى باريس لا تفوتنى من لياليه ليلة تجمع بين الأناشيد الشجية والألحان الفكاهيـة والوجوه الوضاحة والقدود المائسة والعيون الضعيفة القاتلة . هناك كنت أمتع عينى بالجمال الذى صاغته يد الخالق فى وجوه الحسان واملأ قلبى لذة يمازجها الطهر وأذنى ألحانا جميلة ينفسح لها الصدر .

∴

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم والآن أنا بمصر محروم من تلك الجباه المشرقة والوجوه اللامعة والغرر المتألقة والألحان الشجية الجميلة وما أحوجنى الى رؤية شىء منها ان لم يماثلها جمالا وحسناً فلا أقل من أن يكون باعثاً من بواعث الذكرى تهيج فى قلبى ناراً كاد أن يطفىء أوارها النسيان

جلست أمس فى مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس

— يالك من غر أحمق . يمن الله عليّ ؟ أتظن أنى فقير أيها المجنون

وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذى يغيث الفقراء ويحمى الضعفاء فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الاسود وحاول أن يزيل غضبه ولكن البك لم يقتنع بشيء وكاد أن يهم بضرب من اتهمه بالفقر والاحتياج لمعونة الله وعزز الرفاق سيدهم وسقط الرجل فى يده وخرج من الغرفة وهو يتعثر فى أثواب خيبته وجلس البك وهو يرغى ويزبد ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن زال وعاد الجمع للعزف والغناء والرقص ودارت الكؤوس ولعبت الخمر بالرؤوس فكنت تسمع فى الغرفة النكات تتلو النكات والشتائم تتبع الشتائم الى أن تملك التعب على القوم نفوسهم فاستسلموا اليه وسقط بعضهم على الأرض لا حراك به واستأذن من تبقى له شيء من قوته تحمله الى بيته الى أن خلا المكان إلاّ من النائمين وكان البك ملقى على مقعد وبجواره الزائر ذو المنظار الأسود يفتش فى جيوبه ولما انتهى من عمله نادى ادريس البربرى ليحمل سيده الى الحريم . . . . .

فرغ صديقى من قصته فالتفت الى وهو يقول

— ماذا تقول فى هذه القصة ؟

فتنهدت وقلت

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى فأ كرم بهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الأغنياء اقتل وقتهم وضياع ثروتهم

لها البك وتهللت أسارير وجهه ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئا ابتعدوا قليلا فقال الرجل لسيده

— قد انتهى كل شيء

— كم في المائة

— ثلاثون

— بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على الكمنجة والرفاق للرقص والتصفيق

∴

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول البك للمرابين لرهن مائة فدان هي البقية الباقية من تراث آبائه وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان أن يعتاد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة يستأجرهم لتقبيل يده والتغني بكرمه وجوده دون أن يرهن ماعنده ليفقده صفقة خاسرة

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس البك فقال وهو يبتسم

— لو من الله على بألفى جنيه لكنت أشترى بها منزلا في رمل الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام .

وتنهد البك آسف على ذلك المنزل الجميل فقال أحد الرفاق

— لا تيأس يا سعادة البك من رحمة الله سوف يمن الله عليك بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند البك فغلى الدم في عروقه وقطب وجهه استياء ثم صاح

من أسند رأسه على كتف صاحبه مستسلما للكرى ومنهم من انتهز الفرصة وتناول كاسا من الوسكى دون أن يراه أحد ومنهم من جلس يفكر فى حيلة يضحك بها البك لينال رضاءه أما البك حفظه الله فكان كالميت لا يعى شيئا وهذا حال كل رجل بدين الجسد اذا أكل ولم يحاذر فى أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق وكان فتى فى مقتبل العمر جميل الصورة أهيف القد اذا مشى تثنى كما يتثنى الغصن وقد لعب به النسيم وكان البك يميل لمحادثته على انفراد لعذوبة الفاظه ورقة حديثه فكان لا يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه البك فى غرفة من السلاملك حتى اذا احتاج لرؤيته لا يلبث أن يراه

ناداه البك قائلا

— أين عودك ياصديقى . أمسك به وشنف آذاننا جميعا فتناول الفتى العود وابتدأ فى الضرب وغنى لحنا تناول البك عند سماعه الكمنجة واشترك فى الضرب والغناء معه وقام الرفاق يرقصون حتى اذا اعياهم الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طربا كأنهم يسمعون عبده أو عثمان وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل بلغ الخامسة والاربعين يلبس منظاراً اسود يحجب عن الناس ما فى عينيه من شر وحسد وحقد وسلم على الجميع بعد أن قبل يد البك وقام البك واقفا لرؤيته وعانقه والرفاق فى دهشة وكيف لا يدهشون والقادم صعلوك ممن حكم عليهم قديما بالحبس للتزوير والاختلاس وجلس الرجل بجوار البك وأسر اليه كلمات ابتسم

— علام السكوت ؟ أين كنت ؟ وعلام تأخرت ؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت بأذن الشيطان كلباً

فقهقه الحضور وتمايلوا بأجسامهم وكانوا يضحكون ارضاء للبك وليس شىء أقبح من وجه من يتضاحك ولكن البك كان يتغافل عن كل ذلك تغفيلا لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه فقال البك

— انك تكذب . أنت تنكر النعمة التى أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه . اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب اثماً . وهل فى ذهابه لبيت ابن عم البك مرة فى الشهر اثم كبير ؟ ولكن البك كان من الاغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء فتراهم يغيرون اذا ما التجأ أحد حاشيتهم مرة فى حياته الى أحد سواهم

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكراً وهى أن يقوم هذا البائس ويقبل أيادى الرفاق أجمعين ثلاثا بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ثم قاموا جميعا وتناولوا العشاء وعادوا للراحة فى غرفة الاستقبال ولبثوا سكوتا ومنهم

— كفى مجوناً وهزراً

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أن البك يحب من يتغنى بشهرته الواسعة فى الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن شيخنا الكبير لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائز وقال وفى صوته رنة الرجاء والاستعطاف

— الناس لا تشك فى هزرى ومجونى وهم أيضاً لا يشكون فى نبوغك وعبقريتك فهل اسيدى أن يتنازل ويشنف آذان عبيده

ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ

ففطن صاحبنا لما يدور فى خلد البك فمشى على أطراف أصابعه الى أن وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها فى يده وقبلها مراراً وهو يرجو ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه ولم يكن حفظه الله حانقاً على عبده ولكنه كان ممن اذا رجاهم أحد ودوا لو كرر الرجاء مرات عديدة. وبينما كان البك يشنف آذان رفاقه دخل عليهم رفيق آخر هللوا لقدومه وصفقوا ولكن البك عبس فى وجهه وصافحه مصافحة جفاء وغضب فانقلب تهليل الجماعة الى نفور وازدراء واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق تميل طرباً الى أن انتهى فألقى بها على الخوان ونظر للقادم نظرة تجسم فيها البغض وقال :

— ماهذا الجفاء ياسعادة الباشا

فابتسم الحضور لتقريع البك وسكت الرجل فقال البك

بك بذلك ولا لأخته حصة فيما تبقى من تراث أبيه يصرف ريعها على الحفلات اليومية التى يقيمها كل ليلة فى بيته هو ورفاقه الكرام ، استغفر الله بل عبيده المخاصون . وصل محمد بك للساملك وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا فى الساعة السادسة وكان من عادته النوم بعد الغذاء ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة فى انتظاره وقد تهيئوا للقائه فجلس بينهم وهو تائه النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال أنه يتنازل لرؤية أحدهم ثم نادى الخادم وأمره أن يجىء بزجاجات الوسكى وقام الخادم بما أمر به حق قيام وتناول كل واحد قدحه وشربوا نخب البك .

وقام أحدهم واقفاً وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (ال . . .) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأود أسرته فالتجأ لمحمد بك وليس شىء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجأ اليه من يظهر التفانى فى محبته والخضوع لآرائه والحاجة العظمى لماله وطعامه وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الظريفة المستملحة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فيه فتقع فى قلب مناظره كما يقع السهم الصائب فى ثنايا الصدر ولم يكن فى تلك الحاشية التى جمعتها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلهم متنافرو المشارب مختلفو الأميال ولم يتحدوا الا على كسب أموال البك حلالا كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك !

— سيدى وولى نعمتى هل ليدك الشريفة أن تتناول الكمنجة . . .

ولم يمهله البك أن يتم قوله فنهره قائلا

من الأفندية وعشرة من الرفاق كان ينفق عليهم من حر ماله وكانوا يقضون معه الليل والنهار ليأتنس بحديثهم ويقتل الوقت معهم . وأصبح الولد الأكبر — محمد بك مجدى — بعد وفاة أبيه رئيس أسرة مجدى وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق العشرة بعد أن وجدوا فى الولد خير خلف لأبيه فلقبوه بابن العز والأمارة ورب البيت الذى لم يغلق بابه فى وجه سائل . ولم يكن تلقى محمد بك من العلم والتربيـة ما يلهمه أن يضرب بأقوالهم عرض الحائط وأوحى اليه الجو الذى نشأ فيه أن لا يحيد عن الخطة التى اختطها أبوه لنفسه من قبل فرحب بالرفاق وجلس بينهم كما كان يجلس أبوه فى صدر المكان وهم حواليـه يكاد يدفعهم الخشوع والامتثال الى الركوع والسجود

..

نزل محمد بك من الحريم الى السلاملك وهو مرتد جلابيـة بيضاء وعباءة من الحرير الأبيض وكان عارى الرأس منتفخ العينين وقد نسج السهر لكل واحدة منهما إطارا أحمراً لو رآه طفل صغير فى رابعة النهار لولى الأدبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك البعبع فيهشم عظامه أو يسيل دماءه

مشى محمد بك مشية الزهو والتيه يميـل به الاعجاب بنفسه ويرنح عطفه احتقاره للناس . ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة وهو الغنى العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ الفقراء . وكان فى ذلك اليوم مقطب الوجه عابسا ساهما وذلك لزيارة وسيط وافاه فى الصباح يطلب يد أخته الكبرى لابن أحد البيكاوات . وهل يسمح محمد

هناك أحد يتبعها ولكنها لم تتبيني فى الظلام لأن الشارع لم يكن من الشوارع المضاءة ودخلت المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال.

يا للعار لقد ارتكبت اثماهائلا ولكنى لم أتعمد ارتكابه . لقد أصبحت حليلة صاحبي خليلة لى، ولكنها كانت خليلة سواى من قبل

∴

فى الغد ذهبت للديوان وجلست بجوار أمين وتحادثنا كالعادة وذهبنا عصرا لسبلندد بار وتناولنا العشاء فى أبليسك وقضينا ليلتنا معاً فى ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث شىء بالأمس .

(١٨ يونيه سنة ١٩١٧)

بيت الكرم

أسرة مجدى مشهورة فى مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث ويقصدها كل ذى حاجة . توفى ربها المرحوم عبد الله بك مجدى عن ستين عاما قضاها — كما قالت الجرائد — فى عمل الخير والبر والاحسان تاركا ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز العاشرة وثلاث بنات أبكار لم تسعد أكبرهن بعد بالزواج .

ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تزيد عن الفى فدان أضاع معظمها حبا فى الخمر وسعياً وراء النساء فلم يترك لأولاده بعد موته الا ثلاثمائة

— يالك من أبله

وتحادثنا طويلا ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت ببشاشة وسرور ورجعنا أدراجنا الى محطة المترو. وصلنا مصر الجديدة بعد عشرين دقيقة. ودخلنا لونا بارك وصعدنا على الجبل الروسى راكبين القطار الصغير فكانت تمسك بملابسى كلما صعد بنا القطار أو هبط. وغادرنا لونا بارك فأظهرت لى عند بابه الميل للعودة للقاهرة فقلت لها وأنا أستعطفها

— علام هذا الاسراع والساعة لم تدق السابعة بعد. أينتظرك أحد فى المنزل

— كلا ان زوجى لا يتعشى فى المنزل

— فلنقض معا اذا ساعة أخرى. وقد قضينا تلك الساعة فى مكان يظهر أنها لم تكن تجهله ولم يكن يجهلها

ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور ولما وصلنا لميدان عابدين سألتنى أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها عن طيبة خاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد أن تواعدنا على اللقاء بعد يومين

ثم تركتنى وسارت فى طريقها بعد أن استحلفتنى أن لا أتبعها ولما كادت أن تغيب عن عينى قام بنفسى أن أعرف أين تسكن حتى اذا ما أخلفت موعدها معى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها. ولما اقتربت منها سألت الله أن لا تلتفت فتراني فاذا بى أراها بعد قليل تسير فى عطفة (ا . . .) فدق قلبى دقات متوالية ثم وصلت للمنزل رقم (٢٢) والتفتت لترى إن كان

غادرت الديوان وذهبت لأتناول الغذاء فى المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين فى اسبلندربار وانتظرته هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فقمت لأتمشى فى شارع بولاق فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج ومنهم من يتتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت شكوريل أو شملا لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً وتذكرت حديث أمين فى الصباح وقلت فى نفسى ما ضرنى لو تبعتها وقد اعجبنى قوامها النحيل ولحظها الفاتك ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمت عليه

سرت وراءها طويلا الى أن وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التى يعرفها كل من اعتاد التنزه فى شارع بولاق وهناك اقتربت منها وقلت لها

— لقد حق لك ولى أن نستريح فعلام الاسراع ؟

فنظرت الى ولم تجب ثم سارت فى طريقها فقلت لها وقد شجعتنى نظرتها

— الى أين ؟ خففى من سرعتك أيها الملاك الجميل فالتفتت الى مرة ثانية وابتسمت ثم سارت على مهل فسرت معها جنباً الى جنب وقرأتها السلام فقالت

— علام تقتفى أثرى

— لأحظى منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعنى وسر فى طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

منها كل ذى ذوق سليم

— أشكرك

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

— ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب يخشين الفضيحة فيتسترن بهذا الازار حتى لا يعرفهن أحد من أزواجهن

— أتظن ذلك ؟

— بل أعتقده وان شئت سردت لك حوادث وقعت لى مع أمثالهن وابتدأ فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة فقلت له :

— لا ثقة لى بامرأة بعد اليوم

— كل النساء خائنات وعبثا الثقة بهن

فسكت ولم أنطق ببنت شفة وماذا يريد القارىء أن أقول وصديقى متزوج له امرأة يغار عليها وكأنه فطن لما كنت أحدث نفسى به فقال وهو يبتسم

— ما الذى أسكتك ؟ أيدهشك أنى أرمى النساء بالخيانة وبينهن زوجتى ؟ ولكن امرأتى ياصاح فى مأمن من كل ذلك لأنها تعيش مع أمى وأمى من النساء اللواتى لا تفلح معهن شدة ولا رجاء

ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلا بعد أن سألت الخادم أن يأتينى بفنجان قهوة

شهرين على صفاء ووئام برابطة الصداقة تربطني به وتربطه بي وما لبثنا ان أصبحنا صديقين لا نفترق الا بعد منتصف الليل . كنت اشتغل معه في الوزارة وكنت أقضي معه عصر كل يوم في سبلاندبار واذا دنا وقت العشاء أكلنا سويا في مطعم أوبليسك أو مطعم أركل وكاسات الجعة تحف بخواننا . ثم نقضي الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة أبوابها للناس أجمعين ثم نرجع كل لمنزله فكنت أسير معه الى باب بيته في عطفة (ال . . .) رقم ٢٢ وأسير في طريقي لمنزلي وأنا لا ألوى على أحد.

كان هذا شأني معه وكنت مسروراً من عشرته مغتبطا بوفائه ومحبته وظننت أني سأبقى مستودع أسراره الى الأبد ولم يحدث بيننا والحمد لله في الستة الاشهر التي مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة .

ثم أفاق أمين من نومه وأعطاني سيكارة أشعلتها بعد أن أشعل أختها لنفسه ومكثنا هنيهة نفكر ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترتأي فيهن رأيا تخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدي (١)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء

— يا للعجب أتكره هذا الصنف من النساء وبينهن من يستهوين الأفئدة ويمتلكن النفوس

— اني لا أرى في ذات الازار البلدي الا امرأة قذرة مبتذلة يأنف

---

(١) الملاية اللف

— دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بمثلها الا فى السنة مرة ولولا تهافتك على الخمر وإكثارك من معاقرتها لما شاءت الله أن يجازينى بالموت على هذا الجميل الذى أسديته اليك .

— ولكنى ما زلت أشكو ألما فى الرأس وتثاقلا فى الجسد وياحبذا لو كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

كنت أتناول مسهلا وألزم سريرى طول يومى

— تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

ثم جلس أمين أمامى وأسند رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم فنظرت اليه وظهرت لى على وجهه صورة شنيعة . صورة المدمن الذى لا يفارق الحانات والمواخير وبيوت الفسق والدعارة إلا عند الفجر فقلت فى نفسى إن هذه الصورة المرتسمة على وجهه مازالت مرتسمة على وجهى أيضا ، إنه يحب الخمر وأنا لا أبغضها . هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة فى كل مكان فلا فرق بينى وبينه الا أنه متزوج وأنا أعزب ولكن الفرق ليس بالكبير لأنه لا يرى امرأته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها وهو مستلق على ظهره بجوارها يغط فى نومه فمرأته فى نظره كالوسادة فى نظرى . فنحن اذا فى مستو واحد .

وظفت فى وزارة (ال . . .) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى اليوم الأول من الشهر الأول منها وائتنست بعشرته وربطتنى به رابطة الاتفاق فى المشرب لا رابطة الود والوفاء ولكنى استشعرت بعد أن قضيت معه

— كان الولد لايرى وجه عمته والآن يجالس امرأة أخيه

ووقف القطار فى قليوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت فى طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لا أسمع دوى القطار وصفيره وهو يعدو بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح فى أذنى من صدى الحديث .

(٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفة (ال . . .) منزل رقم ٢٢

دخلت غرفة عملى بوزارة (ال . . .) وجلست أمام مكتبى وأمسكت بجريدة وادى النيل أقرأ شيئاً عن السياسة وعن الاخبار وما لبثت فى مكانى دقيقتين إلا وحانت منى التفاتة للباب فرأيت زميلى أمين على يبتدرنى السلام بقوله

— صباح الخير يا ابو على

فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه ثم تثاءب زميلى فتثاءبت وقلت

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس لقد سقتنى الى بؤرة كدت أن أموت فيها

— أينا المخطىء ؟

— الله أعلم

ثم سكت وسكت الحاضرون وأوشكت أن تهدأ العاصفة لولا أن التفت العمده للاستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين يا سيدنا فاحكم لنا فى هذه القضية . فهز الاستاذ رأسه وتنحنح وبصق على الارض وقال :

— وما هى القضية لأحكم فيها باذن الله جل وعلا

— هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب

فقال الاستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال النبى عليه الصلاة والسلام « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »

وعاد الاستاذ الى خموله وأطبق أجفانه مستسلماً للذهول . فضحك التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا أستاذ . ان بين الغنى والفقير من هو على خلق عظيم كما أن بينهم من هو فى الدرك الأسفل .

فأفاق الاستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم ومنكم من تبجح وبغى واستكبر وأنكر وجود الخالق

فصاح الشركسى والعمدة (لك الله يا أستاذ) وقال الشركسى :

— كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفعه .

وقال العمدة :

— قال « يا سعادة البك » لأنى حزت الرتبة الثانية منذ عشرين سنة

فقال التلميذ :

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يذعن لأوامركم الا بالضرب لانكم لم تعودوه غير ذلك فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لكنتم وجدتم فيه أخا يتكاتف معكم ويعاونكم ولكنكم مع الاسف أسأتم اليه فعمد الى الاضرار بكم تخلصا من اساءتكم . وانه ليدهشنى أن تكون فلاحا وتنحى باللائمة على اخوانك الفلاحين .

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هى نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه قهقه ضاحكا وصفق بيديه وقال للتلميذ — برافو يا أفندى برافو

فنظر اليه الشركسى وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس وقال :

— ومن تكون أنت ؟

— ابن الحظ والانس يا أنس .

وضحك عدة ضحكات متواليات .

فلم يبق فى قوس الشركسى منزع فصاح وهو يبصق على الارض طوراً وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة تارة

— أدبسيس . بس فلاح .

فنظر اليه الشركسى نظرة ارتياب وقال :

— حضرتكم تسكنون الارياف ؟

— أنا مولود بها يا بيه .

— ما شاء الله .

جرى هذا الحديث والاستاذ يغط فى نومه والافندى ذو الهندام الحسن ينظر لملابسه ثم ينظر لنا ويضحك أما التلميذ فكانت تظهر على وجهه سيما الاشمئزاز ولقد هم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغر سنه . ولم أطق سكوتاً على ما فاه به الشركسى فقلت له .

— إن الفلاح يا بيه انسان مثلنا وحرام أن لا يحسن الانسان معاملة أخيه الانسان .

فالتفت الىّ العمدة كأنى وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح ولى الشرف أن أكون عمدة فى بلد به ألف رجل وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك . أن الفلاح يا حضرة الافندى لا يفلح معه إلا الضرب ولقد صدق البك فيما قال .

وأشار بيده الى الشركسى .

فقال الشركسى وهو يبتسم إبتسامة الساخر .

— ولا ينبؤك مثل خبير .

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف !

— الفلاح يا حضرة العمدة

فقاطعه العمدة قائلا

مكث الشركسى قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحرق الأرم وقال .

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جناية كبرى .

فالتقطت الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جناية ؟

— إنك ما زلت شابا لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح .

— وأى علاج تقصد ؟ وهل من علاج أنجع من التعليم ؟

فقطب الشركسى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب .

— هناك علاج آخر .

— وما هو ؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئاً أما التعليم فيتطلب أموالا طائلة ولا تنسى أن الفلاح لا يذعن إلا للضرب لأنه اعتاده من المهد الى اللحد .

وأردت أن أجيب الشركسى ولكن العمدة حفظه الله كفانى مؤونة الرد فقال للشركسى وهو يبتسم ابتسامة صفراء .

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت أكثر من ذلك . إننا نعانى مع الفلاح ما نعانى لنكبح جماحه ونمنعه عن ارتكاب الجرائم .

شركسى الأصل وكان ممسكا بمظلة أكل الدهر عليها وشرب ، أما حافة طربوشه فكانت تصل الى أطراف أذنيه ، وجلس أمامى وهو يتفرس فى وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قادمون و إلى أين هم ذاهبون ثم سمعنا صفير القطارة تنبئ الناس بالمسير وتحرك القطار بعد قليل يقل من فيه الى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا ننبت ببنت شفه كأنما على رؤوسنا الطير حتى اقترب من محطة شبرا فاذا بالشركسى يحملق فى ثم قال موجهاً كلامه الىَّ :

هل من أخبار جديدة يا افندى ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدى — ليس فى أخبار اليوم ما يستلفت النظر اللهم إلا خبر اهتمام وزارة المعارف بتعميم التعليم ومحاربة الأمية .

ولم يمهلنى الرجل أن أتم كلامى لأنه اختطف الجريدة من يدى دون أن يستأذننى وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه ، ولم يدهشنى ما فعل لأنى أعلم الناس بحدة الشراكسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا وصعد منها لغرفتنا أحد عمد القليوبية وهو رجل ضخم الجثة كبير الشارب أفطس الأنف له وجه به آثار الجدرى تظهر عليه مظاهر القوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى على النبى ثم سار القطار قاصداً قليوب .

الأحمر قبل أن يتربع على المقعد ثم بصق على الارض ثلاثا ماسحا شفتيه بمنديل أحمر يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه مسبحة ذات مائة حبة وحبة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابة والاولياء والصالحين . فحولت نظرى عنه فاذا بى أرى فى الغرفة شابا لا أدرى من أين دخل علينا ولعل اشتغالى برؤية الاستاذ منعنى أن أرى الشاب ساعة دخوله .

نظرت الى الفتى وتبادر لذهنى أنه طالب ريفى انتهى من تأدية امتحانه وهو يعود الى ضيعته ليقضى أجازته بين أهله وقومه . نظر الى الشاب كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات مسامرات الشعب وهم بالقراءة بعد أن حول نظره عنى وعن الاستاذ . ونظرت للساعة راجيا أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع فاذا بأفندى وضاح الطلعة حسن الهندام دخل غرفتنا وهو يتبختر فى مشيته ويردد أنشودة طالما سمعتها من باعة الفجل والترمس . جلس الافندى وهو يبتسم واضعا رجلا على رجل بعد ان قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب

وساد السكون فى الغرفة والتلميذ يقرأ روايته والاستاذ يسبح وهو غائب عن الوجود والافندى ينظر لملابسه طوراً وللمسافرين تارة أخرى وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر خامس .

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأنا ننتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة ودخل شيخ يبلغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته على أنه

فى القطار

صباح ناصع الجبين يجلى عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ شبابه ونسيم عليل ينعش الافئدة ويسرى عن النفس همومها . وفى الحديقة تمايل الأشجار يمنة ويسرة كأنها ترقص لقدوم الصباح . والناس تسير فى الطريق وقد دبت فى نفوسهم حرارة العمل وأنا مكتئب النفس أنظر من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسى عن سر اكتئابها فلا أهتدى لشىء

تناولت ديوان موسيه وحاولت القراءة فلم أفلح ، فألقيت به على الخوان وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنى فريسة بين مخالب الدهر

مكثت حينا أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاى وغادرت منزلى وسرت وأنا لا أعلم الى أى مكان تقودنى قدماى الى أن وصلت الى محطة باب الحديد وهناك وقفت مفكراً ثم اهتديت للسفر ترويحا للنفس — وابتعت تذكرة — درجة ثانية — وركبت القطار للضيعة لأقضى فيها نهارى بأكمله .

جلست فى احدى غرف عربات القطار بجوار النافذه ولم يكن بها أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلا حتى سمعت صوت بائع الجرائد يطن فى أذنى (وادى النيل . الاهرام . المقطم) فابتعت احداها وهممت بالقراءة واذا بباب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعممين أسمر اللون طويل القامة نحيف القوام كث اللحية له عينان أقفل أجفانهما الكسل فكأنه لم يستيقظ من نومه بعد . وجلس الاستاذ غير بعيد عنى وخلع مركوبه

الكتاب الرابع

ماتراه العيون

قطع قصصية مصرية

جلية واضحة فى شكل قصيدة منثورة يبين فيها تفوق آداب الدين المسيحى عن آداب الميثولوجيان Mythologie فى عهد الوثنية فاختار عهد الاضطهادات فى القرن الرابع أى عهد النضال بين المذهبين المسيحى والوثنى وكتب كتابه الشهداء ولكنه لم ينجح فيه نجاحاً كبيراً لما أتى به من الخرافات والاكاذيب ولكنه نجح فى تحليل أخلاق بعض أشخاص الكتاب كأيدور Eudore وسيمودوسه Cymodocée وفلليد (Vellède) .

(نهضة شاتو بريان) : يعد النقاد شاتوبريان كاتباً قديراً خدم اللغة الافرنسية خدمة يدونها له التاريخ فهو أول من ابتدع الخيال والتصوير فى النثر بعد أن كان مفتقراً لهما ولكنهم يلومون عليه ما يشعر به القارئ عند قراءة كتبه بشئ من التحايل فى الاسلوب . بيد أنه رغم ذلك بحث فى آلام النفس وأوجاعها وأدخل الخيال والعواطف فى النثر وأوجد بما كتبه الاساس الاول للشعر الوجدانى ولهذا أطلق عليه النقاد لقب مؤسس المذهب الرومانتيكى .

(معربة بتصرف كبير عن كتاب دوميك)

روسو وغيرهم . وأصبح هذا الداء مذهباً من المذاهب الأدبية وقاعدة من قواعد الهيئة الاجتماعية فى ذلك العهد .

(كتابه عبقرية الدين المسيحى La Génie du christianisme)

اذا أردنا البحث عن نظريات شاتوبريان الادبية التى جعلته رئيسا لمذهب أدبى جديد تحتم علينا أن نقرأ هذا الكتاب لنعرف حقيقتها . فقد شرح فيه شاتوبريان تفوق الدين المسيحى وما أحدثه من الاصلاحات فى الاخلاق والعادات والآداب والفنون . وقسم كتابه الى أربعة أقسام خص القسم الثانى والثالث منها بجمال الدين المسيحى ونفوذه الكبير . وبرهن فيهما عما أحدثته المسيحية من رقى الشعور والعواطف التى لم يكن لها أثر عند الكتّاب أيام الوثنية . وحلل أخلاق الامهات والآباء والابناء والجنود والكهنة فى العهدين وأظهر للقارىء الفرق واضحا جليا ، فما كانت قيمة هذا الكتاب ؟

لام النقاد شاتوبريان استعماله المسيحية كآلة لخدمة الفنون والآداب ورأوا فيما كتبه نظرات سطحية عن الدين من غير استقراء فى حقيقته ولقد صدق النقاد فيما ارتأوه بيد أن قيمة الكتاب لم تكن بما كتب فيه عن الدين المسيحى بل بما احتواه من المنهج الجديد الذى حتم على الكتّاب أن ينفضوا أيديهم من غبار الماضى ويسلكوا طريقا جديدا للاداب والفنون وهذا هو سر شهرة الكتاب وإحلاله المقام اللائق به . فهو أول كتاب خط للكتّاب شرعتهم الجديدة .

(كتابه الشهداء) : أراد شاتوبريان أن يكتب كتابا تظهر فيه آراءه

ولم تنشأ أحزانه النفسانية عن فقر واحتياج لأنه قضى حياة سعيدة فى مأمن من نكبات الحياة ولكنه كان ذا نفس حساسة وطبيعة ثائرة وعظمة كبيرة وأنانية دائمة . فلم ترق فى عينه تلك الحياة السعيدة التى لم ينقصه فيها شئ واحتقر تلك المظاهر الخداعة الكاذبة ولهذا عاش ومات كئيب النفس يحمل بين جنبيه تلك الأوجاع وتلك الشجون التى ظهرت فى جميع ماخطته يده وكان لها تأثير كبير على كُتّاب ذلك القرن.

(رواياته رينيه) : لم يتوخ شاتو بريان فى روايته تحليل أخلاق شخص من أشخاص الحياة ولكنه عمد الى درس ما بنفسه من هموم وأوجاع وما كان لهذه الهموم وهذه الأوجاع سبب من الأسباب الخارجية بل كان مصدرها نفسه الهائمة المضطربة . واختار لروايته بطلا سماه رينيه نشأ فى جو لم يجد فيه ما تصبو اليه نفسه وساح كثيراً ولكنه لم يستفد من سياحاته شيئاً يذكر ولم يرق فى عينه المجتمع الانسانى فعمد الى الانتحار بيد أنه لم يقدم عليه لمصيبة كبرى قوضت دعائم قلبه وكانت سبباً فى نجاته ولكنها لم تشفه من آلامه وهمومه . وقد شرح شاتوبريان فى هذه الرواية حقيقة نفسه بل حقيقة نفوس الكتاب والشعراء فى ذلك العهد . فهى تاريخ للحياة الأدبية عام ١٨٠٠ . ولم يكن هذا الداء (داء الهموم والأوجاع من غير سبب) قاصراً على الأدباء فى فرنسا فقد وجدناه جلياً واضحاً فى رواية فرتر للشاعر الألمانى جوته وفى جميع مادونه الشاعر الانكليزى بيرون من أشعاره العبقرية وفى كتب جان جاك

هذه الشرعة الجديدة وجرى فى مضمارها شوطاً بعيداً فسارت على آثاره جميع الكتاب هو فرانسوا رينيه شاتو بريان كاتب فرنسا الاعظم فى القرن التاسع عشر .

ولد شاتوبريان فى بلدة سان مالو فى الرابع من شهر سبتمبر عام ١٧٦٨ ولما بلغ العشرين أتى الباريس دون أن يحظى بقسط وافر من العلوم والآداب حاملا بين جنبيه نفسا حزينة كئيبة لا يعلم سر أحزانها وآلامها وما كان ذلك الحزن العميق الا نتيجة لحياته المضطربة التى قضاها فى بلدته فلما أتى باريس خالط رجال الادب وود أن يقتفى أثرهم ولكنه سافر لأمريكا عام ١٧٩١ للسياحة وأفادته تلك السياحة كثيراً فى تكوين خياله وانماء عواطفه وعاد الى أوربا حينما بلغه خبر حروب لويس السادس عشر ثم سافر الى انكلترا وطبع فيها سنة ١٧٩٧ كتابه عن الثورات . ولم يكن كتابه ذا قيمة كبيرة بل ولم تظهر فيه أراؤه التى اشتهر بها بين مواطنيه وهى الايمان بالدين المسيحى والتفانى فى حب الملكية . وعاد الى فرنسا عام ١٨٠٠ وطبع فيها روايته (آتالا) عام ١٨٠٢ وروايته (رينيه) ١٨٠٥ وكتابه الشهداء عام ١٨٠٦ وكتابه (الطريق بين باريس والقدس) عام ١٨١١ ثم انتخب فى الأكاديمية الافرنسية وألقى فى قاعتها خطبته التى ندد فيها بالحكومة وجر عليه ذلك غضب نابوليون الأول بعد أن كان على وئام معه . ولما عاد آل بربون للعرش انحاز لجانبهم واشتغل بالسياسة ثم اعتزلها عام ١٨٣٠ مكرساً نفسه لكتابة كتابه العظيم (ميموار دوتر تومب) دون أن يقلب ظهر المجن لآل البربون .

شاتو بريان

ليس من السهل على الكاتب أن يبدى رأيه عن رجال الأدب فى القرن التاسع عشر لقرب ذلك العهد من وقتنا الحاضر . فكأنا نرى بعينى رأسنا رجال ذلك القرن وكأنا نعاشرهم ونحادثهم . وتاريخ الآداب يقضى بأن يكون بين الناقد ومن يتصدى لنقده زمن طويل . بيد أننا لو سبرنا غور ذلك العهد وبحثنا عن أسراره بحثاً مستفيضاً لما غاب عنا ذلك التطور الكبير الذى أنتجته الحوادث السياسية والاجتماعية فى آداب اللغة الافرنسية فى ذلك القرن . ونعنى به ما قام به كتاب ذلك العصر من الحركة الجديدة التى قضت على القوانين القديمة بعد أن سلكوا طريقاً جديداً ساروا فيه بأقدام ثابتة ونفس آمنة وراء الخيال والشعور والعواطف وما كان للخيال والشعور قبل ذلك أثر فى آداب اللغة . ونشأ عن ذلك الشعر الوجدانى والروايات وكان للعلوم الحديثة التى ظهرت فى ذلك القرن تأثير كبير على الآداب فسلك الأدباء مسلك العلماء فى تقرير النظريات وتمحيصها واثباتها فنشأ علم النقد من العدم ووجد علم التاريخ أساساً ثابتاً يرتكز عليه وتنوعت أساليب اللغة وتعددت مفرداتها وانتقل اليها عدد كبير من مفردات اللغة الانكليزية والألمانية وظهر فى ادابها تأثير هاتين اللغتين . ويجمل بنا أن نقول أن أول من اختط

الحماسة والحب الطاهر والتضحية مع المواقف الهزلية أى رواية من نوع الرومانتيك (نوع شكسبير) فأتاه روستان بروايته الجديدة ووجد فيها الجمهور أمنيته فأعلى من شأنها عن جدارة واستحقاق وتحدثت بها الناس فى العالمين الاوربى والاميركى وعدها الأدباء خير رواية ظهرت فى عالم الأدب بعد رواية (السيد) لشاعر فرنسا الكبير (بيير كورنيل) ثم ألف رواية النسر الصغير عن حياة ابن نابوليون الاول وكتب فى مقدمتها بيتين من الشعر معناهما (علم الله أنى لا أهاجم أحداً ولا أدافع عن أحد ولكنى أكتب قصة طفل بائس). وخير ما فى هذه الرواية تلك القصيدة البديعة التى يقولها ابن نابوليون وهو يحلم بواقعة (فجرام) سامعاً صراخ المنتصرين وأنين المحتضرين. وستبقى تلك القصيدة خالدة رغم أنف الليالى والأيام. ثم كتب رواية (شانتكلير) وما هى الادعابة من نوع دعابات شكسبير وذكرى تعيد لقارئها روايات رينارت وقصائد لافونتين وفيها تخرج الممثلون على المسرح فى زى الحيوانات يمثلون حسنات الناس وسيئاتهم ولكنه لم يبلغ فيهما ما بلغه فى رواياته السالفة. واشتغل روستان بعد ذلك بتأليف رواية (دون جوان) ولكنه مات قبل اتمامها أو قبل اخراجها للناس.

هذه هى حياة الشاعر الكبير وهى كما نرى حافلة بأكبر المآثر ومن العجيب أن زوجته شاعرة أيضاً. رحم الله روستان الشاعر العبقرى والعامل المجد وليس لنا حيال هذا المصاب الكبير الا أن نعزى الأمة الافرنسية بفقد رجالها القادر والعالم أجمع بموت شاعره الدرامى العظيم.

أدمون روستان

نعت الينا برقيـة هافاس الشاعر الدرامى الـكبير أدمون روستان إختطفته المنية بعد حياة بيضاء ناصعة قضاها فى سبيل فنـه جامعاً بين الشعر والتمثيل فذهب ضحية الحمى الاندلسية فى الساعة التى خفقت فيها قلوب الافرنسيين فرحا بنصرهم العظيم وشوقاً لسماع أشعاره الحماسية عن فوزهم الـكبير . مات الشاعر العبقرى صاحب الصيت الطائر والشهرة الواسعة تاركا روايتـه الخالدة حية تقرأها الناس فى كل مكان ومن ذا الذى لا يعرف روستان (وسيرانودى برجراك) خير ما أخرج للناس فى القرن العشرين بل خير كتاب أخرجه المذهب الرومانتيكى من يوم نشأته الى يومنا هذا . بدأ روستان حياته الادبية فى العشرين من عمره بديوان من الشعر أطلق عليه اسم (ليمزارديز) رأى فيه النقاد تلك الروح الحائرة التى رأوها فى أشعار موسيه الاولى . ثم تحول عن الشعر الى الشعر التمثيلى وألف رواية (لاسماريتين) وأعقبها برواية (لاپرنسس لوانتين) ثم ألف رواية (ليرومانسك)وظهرت فى رواياته الثلاثة تصوراته البديعة وخياله السامى وعواطفه الفياضة وما كانت هذه الروايات غير مجموعة من القصائد التمثيلية التى يلتقى فيها الاحساس بالخيال ثم أخرج للناس رواية (سيرانودى بروجراك) فى وقت تخذ فيه الـكتاب خطة (الرياليزم) أى الوقائع والحقائق وتعددت فيه الروايات الأجنبية وكثرت روايات الفودفيل حتى مل الجمهور هـذه الانواع وود أن يرى رواية تجمع بين

وفاة ألفرد رول

توفى فى أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩١٩ المصور الشهير الفرد رول بالغاً الثانية والسبعين من عمره بعد أن قضى حياة لم يذق فيها غير طعم العمل وافقد بكاه جميع رجال الفن فى باريس بل فى فرنسا من شرقها لغربها ومن جنوبها لشمالها . واتخذ الفرد رول لنفسه طريقة فنية لم يتبعه فيها أحد من التلاميذ اللهم الا ابنه مارسيل رول فقد شهد المصورون للولد بأنه صورة من الوالد فى جميع صوره الفنية . وكانت تتجلى شخصيته فى طريقته الفنية وانفرد بتلك الطريقة التى ضن بها على المصورين فلم يسمع عنه أنه قام بتدريسها لأحد ولهذا عاش وحيدا لا تحوم حوله التلاميذ شأن كبار المصورين وكان جميل الوجه طيب الأخلاق حسن الاحدوثة لم يحتفل بالمناصب العالية الى أن أتيح له ارتقاء منصب رآسة جماعة الفنون الأهلية وقد مات وهو رئيس لهذه الجماعة . ونبغ ألفرد رول فى جميع أنواع التصوير ومن صوره الشهيرة عن الأشخاص صورة هنرى روشفور وصورة المصور نولو وزوجته وصورة جول سيمون الكاتب الاجتماعى الشهير .

ولم يقتصر على هذا النوع من التصوير بل نبغ أيضا فى تصوير المناظر الطبيعية ومناظر الجنود والجيوش .

ثم أتى على الشاعر الطور الثالث ، الطور الذى نفض فيه يديه من باب المديح كما يخرج البلبل من قفصه ليشدو على الأغصان فيحيي الصباح ويداعب النسيم ويذكر الله إذا ألقى الليل ردائه الأسود على صفحة السكون . فى ذلك الطور طورنا الحالى لا يعرف شوقى غير شخصيته ولا ينظم إلا من أجل شخصيته . ففى هذا الطور يبلغ شوقى ذروة المجد وتسجد الشعراء أمامه معترفين بفضله وعبقريته . ومن قصائده فى ذلك العهد قصيدته القافيـة عن النيل وقصيدته التى نظمها من أجل الشبان المنتحرين والتى قال فى مطلعها .

ناشىء فى الورد من أيامه حسـبه الله أبالورد عـثر
سدد السهم الى صدر الصبا ورماه فى حواشيه الغرر
بيـد لا تعرف الشر وما صلحت الا لتلهو بالأكر

ولا ننسى أيضا سينيته الجديدة التى ارسل بها من الاندلس والتى يقول فيها .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

والآن سيعود شاعرنا الكبير الى وطنه ، سيرجع البلبل الى عشه . سوف نقرأ عن قريب قصائده الخالدة التى أوحى بها اليه وحيه بين اطلال مدنية العرب فى الاندلس . فلتهنأ مصر بشاعرها وليهنأ الشاعر بوطنه بعد غربة طويلة حن فيها الى مصر وحنت فيها مصر اليه .

لقد كان الشاعر فى ذلك الطور من حياته قليل الاكتراث بشخصيته وعبقريته ولهذا كنا نقرأ له الغث والسمين . ثم تحول عن طريقه القديم وشرع لنفسه خطة جديدة أتى فيها بالمرقص والمعجب وتجلت فيها مواهبه العبقرية وارتقى فيها الى سماء الالهة ، آلهة الشعر بيد أنه لم ينج من باب المديح فكان ضحية الظروف . والمديح باب من الشعر لا يصح أن نطلق عليه اسم شعر ولكن ما آتاه شوقى من القصائد الخالدة فى طوره الثانى غفر له زلاته وكيف لا نمجد من قال :

الرؤوس مائلة　　فى الصدور تحتجب
والنحور قائمة　　قاعد بها الوصب
والنهود هامدة　　والخدود تلتهب
والخصور واهية　　بالبنان تنجذب

أو من قال :

بعث العدو بكل شبر مهجة　　وكذا يباع الملك حين يرام
مازال يدنك فى الحصار وبينه　　شم الحصون ومثلهن عظام
حتى حواك مقابراً وحويته　　جثثاً فلا غبن ولا استذمام

أو من قال :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى　　ممسكاً بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضاً　　سابحات به وأبدين بضا
مشرفات على الزوال وكانت　　مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت　　وشباب الفنون ما زال غضا

يمشى القضاء خلف نواهيـ ـك حديد الاظفار يطلب صيدا
أنت من مَثّل السعادة لو لم يك ذاك النعيم أخذا وردا

وهو القائل أيضا فى وصف غاب بولون .

يا غاب بولون ولى ذمم عليك ولى عهود
زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود
حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامى بعيد
وهبِ الزمان أعادها هل للشبيبة من يعيد!

وهو القائل أيضا .

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لو قارنت هـذه الاشعار باشعاره التى نحى فيها نحو الشعراء الاولين مقيداً نفسه بسلاسل التقليد دون أن يطلق العنان لعبقريته ووحيه لظهر لك الفرق الـكبير والبون الشاسع . قل لى بربك أيصح أن تنسب لصاحب الابيات التى قرأتها الآن تلك الابيات الآتية .

سويجع النيل رفقاً بالسويداء فما تطيق أنين المفرد النائى
لله واد كما يهوى الهوى عجبٌ تركت كل خلى فيه ذا داء
وأنت فى الاسر تشكو ما تكابده لصخرة من بنى الاعجام صماء
فلو رأتك بعين السمع لانفجرت وباء مشرق شمس الضاد بالراء

أو قوله مثلا :

لا السهد يدنينى اليه ولا الـكرى طيف يزور بفضله مهما سرى
نخذ الدجى وسماءه ونجومه سبلا الى جفنيك لم يرضى الثرى

شوقى هو أول من وصف الطبيعة من الشعراء العصريين بل هو أول من أجاد وصفها ولو ضربنا صفحاً عن قصائده فى باب المديح ولم نقرأ منها الا الجزء الذى خصه بالغزل والوصف والحكم لرأينا فى شاعرنا الكبير عبقريا عظيما لا يجود الزمان بمثله فى كل آن .

مرت على شوقى أطوار عديدة تكونت فيها شاعريته والحال كذلك مع كل شاعر .

ابتدأ شاعرنا حياته مقلداً شعراء العرب وتفانى فى قراءة المتنبى فسلك مسالكه ولكنك كنت ترى من خلال قصائده الأولى بصيص نور جديد نور شخصيته العبقرية ووحيه الالهى .

وكيف لا يكون الامر كذلك وهو القائل :

ما تراها تناست اسمى لما	كثرت فى غرامها الاسماء
إن رأتنى تميل عنى كأن لم	تك بينى وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا	نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف رقيب	تعبت فى مراسه الاهواء
جاذبتنى ثوبى العصى وقالت	أنتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله فى قلوب العذارى	فالعذارى قلوبهن هواء

وهو القائل فى قصيدة عن حياة اسماعيل باشا خديوى مصر .

لم ير الناس مثل أيام نعما	ك زمانا ولا كبؤسك عهدا
كنت إن شئت بدّل السعد نحسا	واذا شئت بدّل النحس سعدا

أن يقرأوا كتبه ليعرفوا مذهبه الجديد فى الأدب ويقفوا على أفكاره السامية وينشدوا معه قصائده الخالدة ؟

(٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٩)

شوقى [1]

أحمد فى الانبياء وأحمد فى الشعراء

(صادق عنبر)

من منا لا يعرف الشاعر الكبير أحمد شوقى ؟

من منا لم يقرأ قصائده الخالدة وحكمه الغالية . ومن منا لم ير بعين الخيال صوره الطبيعية التى صورها لنا وحيه الالهى فى قصائده العامرة ؟

الطفل فى مدرسته يحفظ عن ظهر قلب أبياته الرشيقة والشاب فى رونق شبابه يترنم بقصائده الغزلية والشيخ الذى أرعشه الهرم يتلو حكمه اذا آوى الى خلوته لينظر للحياة نظرته الفلسفية فيقول

خلقنا للحياة والممات ومن هذين كل الحادثات

هذا هو شاعرنا الكبير أحمد شوقى شاعر مصر ولا نغالى فى القول لو قلنا شاعر الشرق .

---

(١) كتبت هذه المقالة بمناسبة قرب عودة شوقى بك الشاعر من منفاه فى الأندلس.

على لسان الشيخ

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في زرعه وطر
من آمل بنعيم الخلد مبتشر ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا ربا ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

ومن أحسن ما قاله قوله على لسان الفتى :

ليس في الغابات سكر
من خيال أو مدام
فالسواقي ليس فيها
غير إكسير الغمام
إنما التخدير ثدي
وحليب للانـــــام
فاذا شاخوا وماتوا
بلغوا سن الفطام

أعطني الناي وغن فالغنا خير الشراب
وأنين الناي يبقى بعد أن تفنى الرضاب

وليس لنا في الخاتمة إلا أن نقول أن جبران افندي جبران عبقري في نثره وعبقري في شعره وعبقري في صوره ونحن ننصح لجميع القراء

حد ووحيه المتمرد الذى يغور فى خفايا القلوب ليضىء ظلماتها ويفرج عنا الهموم والكروب .

أمثلة من شعره :

على لسان الشيخ :

الخير فى الناس مصنوع اذا جبروا   والشر فى الناس لا يفنى وان قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها   أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم   ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها   صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

على لسان الفتى .

ليس فى الغابات حزن
لا ولا فيها الهموم
فاذا هب نسيم
لم تجىء معه السموم
ليس حزن النفس إلا
ظل وهم لا يدوم
وغيوم النفس تبدوا
من ثناياها النجوم

أعطنى الناى وغن   فالغنا يمحو المحن
وأنين الناى يبقى   بعد أن يفنى الزمن

على أنه لا يقصد فى كتابه أن يدعو الناس الى عيشة الغاب وهجر المدن ولكنه يريد أن يتبسط الناس فى حياتهم وأن يتركوا الروابط الكاذبة التى تربطهم فى مجتمعنا البشرى وما الغاب الذى كتب عنه جبران إلا رمز البساطة لا ينتج عنها إلا الهناء والسعادة .

قيمة الكتاب : لانبالغ فى القول لو قلنا أن الكتاب هو من خيرة ما أخرج للناس فى عهدنا الحاضر ففيه تجلى عبقرية جبران وفيه نسمع صراخ وحيه القادر ذلك الوحى الالهى المتمرد الذى ظهر لنا فى هذا الكتاب ساخطا على قوانين البشر على لسان الفتى ابن الغاب بعد أن يشرحها ويحللها على لسان الشيخ ، شيخ المدينة .

فجبران كتب لنا هذا الكتاب منتهجاً خطة جديدة فى أسلوبه الشعرى وشارحا لنا أفكاراً فلسفية جديدة أيضاً ولقد نجح نجاحا كبيرا يغبطه عليه كل أديب .

نقد الكتاب: حاول جبران افندى أن يأتى فى نثره بأسلوب جديد فنجح نجاحا كبيراً ثم حاول أن يأتى لنا بأسلوب جديد فى شعره فنجح ولكنه لم ينجح النجاح الذى يريده له كل محب لشعره شغوف بما تخطه يده . فتراكيبه فى النظم غير متناسقة كما هى فى النثر ولكن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب ونحن على يقين تام أن ضعف أسلوبه فى النظم سيزول على ممر الايام وسوف يكتب لنا الكاتب فيما بعد كتبا منظومة خالية من كل وهن ويكفينا منه الآن شاعريته الكبيرة وعبقريته التى ليس لهما

تأخذه بهم الشفقة والحنو . أما فى الغاب حيث تتجلى الطبيعة وتجلس البساطة على عرش الرحمة والتآخى فالحياة فيها كما قال .

ليس فى الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
خُلِقَ الناس عبيداً للذى يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع
أعطنى الناى وغن فالغنا يرعى العقول
وأنين الناى أبقى من مجيد وذليل

واختار جبران لتصوير فكرته شخصين الأول شيخ عاش فى المدينة طول عمره وخبر ما فيها من العادات والقوانين والشرائع والأوهام والأكاذيب ثم خرج إلى الغاب بعد تجربته وخبرته ليستريح من وعثاء سفرته الطويلة التى قضاها جائلا فى أنحاء المدينة . فيلتقى فى الغاب بشاب لم تر عيناه غير أشجار الغاب ولم يتنفس غير هوائه الطلق ولم يسمع غير ألحان طيوره . فالأول شيخ ضامر التجاليد محدودب الظهر مرتجف الأنامل والثانى فتى جميل الصورة قوى البنية حاملا نايه فى يده ليحيى الطبيعة بأناشيده الخالدة . يلتقى الرجلان فى الغاب ويبدى كل منهما آراءه فى الحياة . الأول لم يجد فى حياة المجتمع الانسانى غير التشاؤم والشقاء والثانى لم يجد فى حياة الغاب غير السعادة والهناء . هذا هو ملخص ما أراد جبران إثباته فى كتابه ومن هذه المحاورة الشيقة التى خطتها يده تظهر لك آراؤه الفلسفية فى الحياة وفى الشرائع والاديان .

وهناك أمر آخر يسترعى نظرك عند رؤية الكتاب ألا وهو الصور الجديدة التى نقشتها يد الكاتب مصوراً ما كتبه فى كتابه . لا ننكر أننا رأينا كتبا عصرية مملوءة بصور فوتوغرافية ولكننا لم نجد كتابا حلاه مؤلفه بصور مبتكرة من مخيلته نقشتها يده تصويرا ما أملاه عليه ضميره. ونظرة منا لهذه الصور تكفى لان تثبت لنا قدرة الكاتب وعبقريته فى فن التصوير ولقد قرأنا عنه أنه سافر خصيصا لباريس لدرس هذا الفن وشهد له كبار المصورين فى فرنسا بالنبوغ .

غرض المؤلف من تأليف الكتاب :

أراد جبران بتأليف هذا الكتاب نقد المجتمع البشرى وما حواه من عادات وشرائع وقوانين . لم يجد جبران فى المجتمع الانسانى إلا أكاذيب تضل الناس عن الطريق السوى وما الطريق السوى إلا العودة إلى الطبيعة وبساطتها : تلك البساطة التى لا تكلف الناس شيئا بل تقربهم بعضهم من بعض وتمحو من نفوسهم ما ألصقته بها حياة المجتمع وقوانينه من الأدران والأوهام وما أجمل قوله

ليت شعرى أى نفع فى اجتماع وزحام
وجدال وضجيج .. واحتجاج وخصام :

يرى جبران فى المجتمع الانسانى قوانين وعادات يسود بها البعض ويذل بها الآخرون . فأين إذاً سعادة النفس وهناء القلب والناس كالذئاب لا تسعى إلا فى ضرر غيرها فالسعيد فى الحياة هو من بنى له قصراً على قبور اخوانه المساكين الذين داسهم بأقدامه الضخمة دون أن يرحمهم أو

الأمل ونسمع من رعده القاصف صوت الرحمة ونشعر عندما تهب عواصفه بحلاوة الحب ، حب الحياة الهادئة الساكنة التي تتجلى فيها الطبيعة وينصب فيها ميزان العدل .

هذا هو الأمر الرابع الذي نراه فيما كتبه جبران .

كتاب المواكب

ثم عالج جبران باب الشعر الموزون المقفى فكتب كتابه «المواكب» وهو الكتاب الذي من أجله نكتب هذا المقال .

الأشياء التي تسترعى النظر عند رؤية الكتاب : اذا أمسكت بكتاب المواكب في يدك وقلبت صفحاته بدا لك لأول وهلة أمر غريب لم تره عيناك من قبل بين صفحات الكتب العربية المؤلفة في عصرنا الجديد ألا وهو أنك ترى لأول مرة كتابا عربياً جديداً في قالب خيالي منظوماً من أوله لآخره . وقد كنا نعيب على شعرائنا الشرقيين إيثارهم القديم على الجديد لأننا لم نجد لهم غير قصائد ساروا فيها على طريقة الشعراء السالفين دون أن يبتكروا لهم طريقة جديدة . أما اليوم فقد أتى جبران بما كنا في حاجة له . ولم يقتصر جبران على اختيار موضوع فلسفي نظمه في قصيدة طويلة ولكنه فعل أكثر من ذلك باختياره القوافي المتعددة والأوزان المختلفة نخالف بذلك الشرعة القديمة وابتكر طريقة جديدة نأمل أن يتبعه فيها الشعراء الشرقيون .

يكون شاعراً خياليا ينظم القصائد المنثورة ويودعها ما بقلبه من ثورة وألم وما في مآقيه من دموع وما في نفسه الطاهرة من سخط على العالم الانساني وما فيه من أوهام وأكاذيب بل عمد الى أسلوب جديد ملأه بالاستعارات والرموز لم يقتف فيه آثار أى كاتب قديم ولا نغالى في القول لو قلنا أنه نسيج وحده وقريع دهره فى هذا الباب . فاذا أتيت لأى قارئ بجملة من جمل جبران غير مذيلة باسمه لقال لك على الفور هذه جملة من جمل جبران.

هذا هو الأمر الثانى الذى نراه فيما كتبه جبران .ولم يكتف جبران بأن يكون شاعراً خياليا ذا أسلوب جديد ولكنه سار فى كل مايكتب وراء شخصيته . وقليل من كتاب العربية من هو على هذه الصورة .

تراه لايكتب الا مايعتقد ولا يخط على القرطاس إلا ما يوحيه اليه وحيه وإن خالف فى ذلك مايعتقده القراء والكتاب . لهذا ترى شخصيته واضحة جلية فى جميع كتبه ، فهو فى هذا الباب كبيير لوتى من كتاب الغرب .

هذا هو الامر الثالث الذى نراه فيما كتبه جبران .

وابتدأ جبران حياته الأدبية بدموع وابتسامات . ظل يذرف الدمع على آلام الانسانية ويبتسم لجمال الطبيعة الى أن مرت عشرة سنين من حياته القلمية تكونت فيها نفسه واضطرمت فيها ثورة قلبه فوجدناه فيما بعد ، متمرداً ، ساخطاً صارخاً ، يصيح بين ضجيج العميان ويحدق فى الشمس بعينيه المفتوحتين ويقف بين القبور الصامتة وعلى قمم الجبال الشاهقة لينشد قصائده الخالدة . ولكننا نرى بين غيومه السوداء برق

للبيت ولما فرغت من تلاوته قمت للقلم لأكتب هذا المقال الصغير عن ذلك الكتاب النفيس شارحاً للكُتَّاب ما أحدثه جبران افندى فى الأدب العربى من التغيير والتبديل وجبران افندى من كتّاب العربية وشعرائها الذين انتهجوا لأنفسهم منهجاً جديداً تجلت فيه شخصيتهم كالشمس فى رابعة النهار .

جبران افندى خليل جبران شاب سورى غادر مسقط رأسه الى أميركا كما فعل كثير من السوريين وعاش فى وطنه الجديد الى يومنا هذا محترفا حرفة القلم فكتب فى جرائد أميركا السورية وما لبث أن عرفه قراء العربية فى كل بقعة من بقاع الأرض . عرفوه كاتباً بعد ان قرأوا كتبه «الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ودمعة وابتسامة ويوحنا المجنون» ثم عرفوه شاعراً بعد ان قرأوا كتابه الجديد « المواكب » ولكننا لانرى فيما كتبه جبران افندى من نثر وشعر غير قصائد خيالية أوحاها اليه خياله الراقى وروحه الثائرة المتمردة فهو فى نظرنا شاعر وما نثره المتداول بين أيدينا الا قصائد منثورة لم يجاره فيها شاعر آخر . وإلى القارئ شيئاً من نثره بل من شعره المنثور (خيم الليل بجنحه فوق المدينة وألبسها الثلج ثوبا وهزم البرد ابن آدم من الاسواق فاختبأ فى أوكاره وقامت الرياح تتأوه بين المساكن كمؤبن وقف بين القبور الرخامية يرثى فريسة الموت) ألا يرى القارئ فى هذه الجمل المتناسقة التى يطلق عليها القراء كلمة نثر شعراً خياليا يهز أوتار القلب ويوقظ النفس النائمة ؟

هذا هو الأمر الاول الذى نراه فيما كتبه جبران ولم يكتف بأن

قالب رمزى . واشتهر بقدرته فى تصوير ما تراه عينه فى عصرنا الحاضر وما قرأنا فى بطون الكتب عن العصور السالفة .

ولم يقتصر على القسم الروائى الأدبى بل عالج باب التمثيل فكتب روايته التمثيلية الأولى (الخريف) مع المسيو جبرائيل مورى وله من العمر احدى وثلاثين سنة وصف فيها صورة حية لعمال مضربين إنتهى إضرابهم بسفك لدماء ثم كتب روايته التمثيلية الثانية (النحاس) مع المسيو أندريه بيكار وهى صورة جلية واضحة للحالة المالية فى أوروبا ثم قدم للكوميدى فرانسيز روايته (ليموت) ولكنها لم تنجح إذ لم تمثل إلا تسعة وعشرين مرة . ومات وهو يؤلف مع المسيو جبرائيل مورى رواية اسمها (تانيت) .

ونحن نقدم للأمة الفرنسية تعازى الأمة المصرية ونأسف معها لفقد هذا الكاتب العظيم .

المواكب

لجبران خليل جبران

ذهبت منذ أيام لزيارة صديقى الفاضل أميل افندى زيدان صاحب « الهلال » فوجدت بين يديه كتاب « المواكب » وكنت فى شوق كبير للاطلاع عليه فسألته أن يعيرنى إياه فأجاب سؤلى وحملت الكتاب

كبيراً وذلك لشدة ميله للسياحة ولقد صرح ذووه بعد وفاته بأن فقيدهم كان يأمل أن يصبح يوما ما مكتشفا يجوب البلاد البعيدة والاقطار النائية. بيد أن الجو الذى نشأ فيه والتعاليم التى ربيت عليها نفسه حدت به الى احتراف القلم فكتب رواياته العديدة ولكنه كان ينتهز الفرص ليغادر بلده الى بلاد أخرى يدرس حياتها الاجتماعية وحالة أهلها الخلقية واشتهر برواياته الادبية شهرة كبيرة فأجله النقاد ورأوا فيه رجلا يكاد يساوى بلزاك شهرة ومجداً.

بدأ بول آدم حياته الادبية بالسير على أثار الروائى الكبير أميل زولا صاحب المذهب الذى يطلقون عليه اسم (ناتوراليست) وهو المذهب الذى يتعمد فيه الكاتب وصف حياة الانسان بما فيها من عيوب وقاذورات وصفاً يشمئز منه القارئ ولا نغالى لو قلنا يخجل منه الشيخ الهرم. كتب بول آدم روايته الاولى (الجسر الناعم) سالكا طريق (الناتوراليست) فعده الكتاب عميد المذهب بعد زولا. ولكنه لم يلبث طويلا فى هذا السبيل وكتب روايته (عام كلاريس) مبتعداً فيها عن مذهب زولا ومتقربا من المذهب الرمزى Symboliste. فجاءت روايته وفيها مزيج من المذهبين. ثم خلع عنه رداء المذهب الاول وارتدى لباس المذهب الثانى وكتب رواياته (معركة هود. القوة ابن استرلينة. تحت شمس يوليه. الحيلة. الثعبان الاسود) ولكنه لم يسلك فى المذهب الرمزى طريق الخيال فحسب بل سار خلف الحقيقة أيضا فى كثير مما كتبه وما رواياته غير مجموعة من الافكار الواقعية فى

بول آدم

قليل من بنى مصر من يعرف الروائى الشهير بول آدم ويرجع ذلك لقلة من يعرف اللغات الاجنبية من أبناء هذا البلد الامين . أما الفئة التى درست تلك اللغات فقليل أيضاً من اختص منها بالآداب الغربية فلم نجد من بينها من أقدم على تعريب إحدى روايات هـذا الـكاتب الفاضل الذى يعده النقاد فى فرنسا من أئمة الروائيين . وواجب الصحافة الادبية أن تكتب لقرائها عن أئمة الـكتاب فى كل بلد وعلى الاخص اذا اختطف الموت أحدهم فى الساعة التى نرى فيها أبناء جلدته فى أشد الحاجة لقراءة كتبه الجديدة .

من أجل هذا كتبنا هذا المقال .

توفى بول آدم فى صبيحة اليوم الثانى من شهر يناير وذهب ضحية الحمى الاسبانولية التى لم تشفق منذ عام بأدمون روستان شاعر القرن العشرين . فلحق الروائى بالشاعر ولبست فرنسا عليهما الحداد . توفى بول آدم غير بالغ من العمر السابعة والخمسين فبكاه رجال الادب فى العالم أجمع وعدوا موته خسارة كبيرة على الآداب الفرنسية وقد قال عنه المسيو دومينيك برجا فى مجلة أوربا الجديدة (اليوم فقدنا أكفأ روائى فى القرن العشرين) .

لم يكن يدور بخلد بول آدم أيام كان فتى أنه سيصبح يوما ما روائيا

الصغيرة فى معهد آخر بل أى ضرر يعود على الأمة لو فكر ولاة الامور فى إنشاء معهد دينى ثالث ثم رابع ثم خامس . . . بل أى ضرر على الامة لو أنشأت الحكومة فى كل عاصمة من عواصم المديريات مدارس للطب والهندسة والزراعة والحقوق . ياحبذا لو تحقق ذلك ورأينا العلم تزدهر رياضه فى كل بلد من بلاد مصر بل فى كل قرية من قراها . نحن نعلم أن البناء صعب وأن الهدم سهل ، ومن الهين هدم مدرسة القضاء ولكنه من الصعب بناء مدرسة أخرى . فأذا أغلقوا المدرسة اليوم ورأوا فيما بعد الحاجة ماسة لها لاقوا الصعوبات فى بنائها من جديد فنكون قد خسرنا خسارة كبرى نحن فى غنى عنها . أما ما يقولونه من أن الوزارة لا تريد أن تكلف نفسها مصاريف لا فائدة منها فنحن نجل الوزارة عن ذلك وهى التى زادت مرتبات الموظفين وتنازلت عن جزء من أرباحها فى شركة الترام . فعلت الوزارة ذلك إرضاء للجمهور وجدير بها أيضا أن تفعل أكثر من ذلك إرضاء للعلماء والادباء والطلبة وهم زهرة الجمهور المصرى . أما إشاعة أن الوزارة تريد إغلاق المدرسة انتقاما من ناظرها فنحن نجل الوزارة عن ذلك مهما كانت وزارة ادارية أو سياسية أو ادارية وسياسية معا .

وأمامنا الزمن وهو كفيل بتحقيق آمالنا ؟

(٦ نوفمبر سنة ١٩١٩)

هذا هو ملخص ما حدث ونحن نكتب اليوم حيال هذا الموضوع كلمتنا .

أراد المرحوم الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر الشريف وحاول تحقيق أمنيته ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد . وليس لنا الآن أن نبحث في سبب فشله خشية الخروج عن الغاية التي نرمي اليها في مقالنا . ولما رأى المرحوم المفتي أن لا سبيل الى اصلاح الأزهر فكر في إنشاء مدرسة القضاء الشرعي وسعى لذلك ولكن المنية وافته قبل تحقيق غايته . بيد أن المشروع لم يمت بموته بل ظل حياً في قلوب تلاميذه فلما تولى أمر وزارة المعارف صاحب المعالي سعد زغلول باشا كانت أول حسنة من حسناته الكثيرة هي إنشاء مدرسة القضاء . فانتقى لها خيرة الاساتذة ووضع لها برنامجا يشمل العلوم الدينية والكونية وظلت المدرسة في عهده وبعد مغادرته المعارف كعبة لطلاب العلم وأخرجت للأمة مجموعة من خيرة أبنائها علما وأدبا ارتقت مناصب القضاء الشرعي وبرهنت عن كفاءة كبيرة هي وأختها مجموعة الازهر الشريف . فأي ضرر يعود على الامة أو على القضاء من بقاء هذا المعهد الديني ورجال الازهر الشريف لا يرون فيه اعتداء على حقوقهم أو سلبا لها ! يقولون أن الازهر الشريف به عشرة آلاف طالب وأن مدرسة القضاء لا تزيد عدد طلابها عن أربعمائة وأنها تعد جزءاً من الازهر الشريف فاذا أصلح الازهر كانت الأمة في غنى عن مدرسة القضاء وهذا هو سر تفكير الوزارة في مشروع اغلاق المدرسة ونحن لا نرى فيما يقولونه الصواب . هب أن الامر كما يقولون فأي ضرر يعود على الامة إذا زاد عدد طلاب الازهر بهذه النسبة

يبارك الحركة المصرية ويمدها بروح من عنده ليظهر الحق واضحا جليا وينقضى عهد الاكاذيب والألاعيب السياسية وتنال مصر استقلالها التـام .

(نوفمبر سنة ١٩١٩)

مدرسة القضاء الشرعى

فوجئ العلماء والادباء والـكتاب والطلاب بين معمم ومطربش بخبر كان المقطم أول من أذاعه ثم تناقلته الجرائد ألا وهو خبر مشروع اغلاق مدرسة القضاء الشرعى . رددت الافواه ذلك الخبر فاربدت له الوجوه وخفقت الافئدة وأصبح أمر اغلاق ذلك المعهد العلمى حديث الناس فى بيوتهم وأنديتهم وعلى القهاوى ولا نغالى لو قلنا فى الطرق أيضا وفى مركبات الترام .

وكتبت الجرائد كثيراً عنه ناشرة احتجاجات الطلبة ويسرنا أن نرى فى طليعة من كتب واحتج طلبة الازهر الشريف وسافر لمقابلة دولة الرئيس ومعالى وزير الحقانية وفد من أساتذة المدرسة .

وعادوا دون أن يقفوا على بيان صريح يروى غلتهم ويطفئ أوارهم

---

(١) كتب المؤلف هذه المقالة على أثر اشاعة تداولتها الصحف بشأن اغلاق مدرسة القضاء الشرعى .

بها ويكتبون ما يجول فى خواطرهم ألا ترى لهم لونا خصيصا ببشرتهم ألا تسمع لكلامهم نغمة مصرية تفرقهم عن السورى والغربى بل عن جميع سكان الارض .

هذه حقيقة لا نزاع فيها .

وتراهم أيضا متفقى المشارب متحدى الاميال يسمعون لهدير النيل ألحانا لا يعجب بها غيرهم من الناس ويرون فى زرقة سمائهم جمالا غاب عن أهل الأرض جميعاً فاللغة واللون والنغمة والمشارب والاميال وألحان النيل وزرقة السماء كل هذه الاشياء هى الوطن أيضاً .

تراهم لا ينسون مصائبهم وآلامهم وإذا حلت بواديهم نعمة من نعم الله قاموا جميعا مع اختلاف دياناتهم يشكرون الله على ما أولاهم به من نعم . وما النعم والمصائب التى تحل بهم إلا رابطة قوية تربطهم ببعض وهى أيضا وطنهم العزيز .

فوطنك أيها المصرى ليس هو بقعة الارض التى تعيش عليها بل هو كل ما يهجس بخاطرك ويمر بمخيلتك من هواجس السعادة والآلام .

من أجل ذلك قمت أيها المصرى فى الثالث عشر من شهر نوفمبر تحتفل بعيد استقلالك خمسنا فعلت .

ومن أجل ذلك ما زلت تعمل لنيل استقلالك ومن أجل ذلك تحى وتموت .

والسفور وهو جريدة مصرية قبل أن تكون خصيصة بالفنون والآداب والاجتماع تحيي أمتها العزيزة وتقف فى صفها وتسأل الله أن

عليه وينقشوه على صدورهم إذ النيل كان وما زال وان يزال الى الأبد كوثرهم الذى به يحبون و بغيره لا يكون لهم أثر فى الوجود ؟

(١ يناير سنة ١٩٢٠)

الوطن [١]

وطنك أيها المصرى هو تلك الارض التى تعيش عليها والتى تمتد من الاسكندرية الى اسوان . هذا هو الوطن إذا أردت أن ترى فيه غير بقعة من الارض تأكل ثمراتها وتتنفس هواءها وتضم رجامها عظامك إذا فاضت روحك الى بارئها .

فى جوف هذه الارض ينام مينا ورمسيس ومحمد على وفوق هذه الارض ترى الأهرام وأبا الهول وتلك الآثار القديمة التى تفتخر بها مصر فليس الوطن إذاً هو بقعة الارض فحسب بل هو تاريخك أيضاً ذلك التاريخ الذى يضم شتاتك والذى ترى لأجدادك فى بطونه صفحات طاهرات .

وإذا نظرت أيها المصرى لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون

---

(١) كتبت هذه المقالة فى وقت احتفال المصريين بعيد الاستقلال الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

والبحيرة أثر فى الوجود بل كانت تلك القطعة من الأرض بحراً عجاجاً تلتطم أمواجه وتضل فيه السفن . أما مصب النيل فكان فى شمال الارض التى بنى فيها أجدادنا فيما بعد مدينة منف وكان البحر الابيض المتوسط يلتطم مع الصحراء التى أقام فيها خوفو وكفرم ومنقرع الاهرامات . ثم حمل النيل مع مرور السنين والاعوام الى هذا المثلث المائى طميه فى كل عام فتكونت جزر قليلة تحولت الى أرض تكثر فيها المستنقعات ثم نشأت الدلتا من العدم وانقسم النيل فيها الى ثلاثة فروع تبتدئ من بلدة إسمها كيريكسور Kerkusore الأول اسمه بيلوسياك Pèlusiaque متخذاً طريق الشمال الشرقى الى صحراء الشام والثانى كانوبيك Canopique متخذاً طريق الشمال الغربى الى صحراء ليبيا والثالث اسمه سيبنيتيك Sebènnytique وكان يشق الدلتا الى قسمين متساويين ويصب فى البحر الأبيض ونشأ عن هذه الفروع فروع أخرى طبيعية وصناعية يتراوح عددها بين السبعة والاربعة عشر .

أما مساحة الدلتا فهى كما نعلم ٢٣٠٠ كيلومتر مربع وتزيد تلك المساحة فى كل عام . واستنتج المؤرخون أن تكوينها تم فى مدة سبع مائة وأربعين قرنا قياسا على أن الدلتا تزيد مساحتها متراً فى كل عام وأن هذا التكوين تم قبل ارتقاء منا أول ملوك مصر عرش بلاده بقرون عديدة ويزعم البعض أن هذا التكوين تم قبل أن يفد الى مصر الجنس المصرى .

هذا هو تاريخ صغير لنهر النيل أيام الفراعنه أكتبه لمواطنى ليفقهوا

السوداء أو الخوشيت Khoushite وما رأوا فيه إلا نهراً عظيما يشق صعيد بلادهم فيحيي أمواتها وكنزاً عظيما لا يفرغ ذهبه فعبدوه وأطلقوا عليه اسم المعبود حابى Hapi وحق لهم أن يعبدوا أباهم البر الرحيم . أما الكهنة فلم تضق حيلتهم عن معرفة نبع نهرهم أستغفر الله بل بحرهم لان أجدادنا كانوا يطلقون على النيل اسم البحر بدل النهر تبجيلا لشأنه وتعظيما لقدره . تصور الكهنة — وقد أخطأوا فى تصورهم — منبع النيل فى السماء ورأوا فيه مرآة تنعكس فيها مياه اللا نهاية . تلك المياه التى تجرى عليها سفن الآلهة . وظنوا أن النيل يبتدئ فى الارض بين جزيرتى الايلفنتين Elephantine وفيليه (أنس الوجود) Philae من بين صخور الشلال الاول ، ولم يعجبوا لفيضانه فى كل حول وكيف يعجبون له وقد اعتقدوا أن مياه هذا الفيضان ما هى إلا دموع المعبود ايزيس Isis أما الناس فقد خبطوا فى أمر منبع النيل خبط عشواء ودارت على ألسنتهم قصة لا نعلم مصدرها قالوا فيها أن البحارة المصريين وصلوا وهم مسافرون الى مناجم الفراعنة الى منبع النيل فى بلاد پوانيت Pouanite أما تجار العرب فى القرون الوسطى فقد توهموا أن النيل يتصل بالمحيط الهندى هذا هو اعتقاد الكهنة والناس وتجار العرب أيام الفراعنة ونحن لا نرى فيما اعتقدوه إلا أوهاماً لا حقيقة لها بعد أن عرفنا اليوم من أى نبع ينبع النيل .

أما الوجه البحرى وهو ما نطلق عليه اسم الدلتا فقد كانت تغمره مياه البحر الابيض . وما كان لمديرية الشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية

ونأكل الخبز الاسود ، وننام فى العراء ، إذا وجدنا كلمتنا قد اتفقت ، وقاوبنا قد تآخت ؛ وآمالنا قد تحققت .

حقق الله الآمال .

(٨ يناير سنة ١٩٢٠)

نظرات فى تاريخ مصر

(النيل فى عهد الفراعنة)

تجلس فى بيتك بين أبيك وأمك وأخوتك وأهلك بعد أن تتناول معهم غذاءك ، تجلس جلسة طالب الراحة وتستسلم للتفكير وأنت منشرح القلب مثلوج الصدر . لا ترى حولك من يعكر صفوك بعد أن ملأت معدتك الجائعة من طعام أنبتته أرض مصر — والطعام هو الغاية التى من أجلها يعمل الانسان ويكد — وما مصر التى تنبت هذا الطعام إلا هدية النيل . فالنيل مصدر نعمتك ومنبع حياتك ولولاه لما رأت عيناك نور السماء . فما أجمل أن نتحدث قليلا عن تاريخ ذلك النهر الذى تفيض مياهه ذهبا عليك وعلى من تضيف من الاجانب .

عبثا حاول أجدادك الاقدمون الذين تجد تماثيلهم فى دار الآثار وترى آثارهم مبعثرة فى صعيد مصر أن يعرفوا منبع النيل . وعبثا حاولت جيوشهم الظافرة أن تصل الى هذا المنبع وهى تقتفى آثار القبائل

هذه هى صفحة ماضينا ، ذلك الماضى الاسود الذى كنا ننام فيه على فراش من حرير خبأوا لنا فى ثناياه الشوك ، والذى كنا نشرب فيه كأساً من العسل خلطوا لنا فيه السم . عشنا حقبة من الدهر ونحن على هذا الحال لا يخرج أملنا عن دائرة حاجياتنا الشخصية ، لهذا لم نعرف غير الفشل فى جميع مشاريعنا ولهذا سرنا بأنفسنا الى حافة الهاويه تلك الهاوية العميقة التى تموت فيها الشخصية بعد إن كانت يانعة زاهرة ، وكاد أن يسدل الدهر ستاره الكثيف علينا وعلى تاريخنا الزاهر ، ذلك التاريخ القديم المجيد ، الذى تجلى فيه شخصيتنا من عهد مينا أول ملوك مصر الى عهد اسماعيل خديوها الأسبق . ذلك التاريخ تنطق صفحاته بما لاقيناه فى حياتنا من سعادة تنشرح لها الصدور وتقر لها العيون ، ومن الآم تتأفف لها القلوب لازالتها ومحوها ، وما السعادة والألم إلا الرباط الحيوى الذى تقوم به الامم الى ذروة المجد .

أما الآن فقد اعتمدنا على أنفسنا وتآخينا بعد أن تصافت قلوبنا ، وعرفنا أن الألم الذى يصيب المصرى فى أى بلد من بلاد الله يهتز له فؤاد المصرى فى أى بلد آخر . اليوم عرفنا الأمل الكبير ذلك الامل الذى يرتكز على الاعتماد على النفس وعلى الثبات لهذا تجدنا سائرين فى طريق هذا الامل ونحن واثقون من الفوز والنجاح وكيف لا ننجح ولا نفوز وقد قادتنا شخصيتنا فى هذا الطريق .

اليوم عرفنا بل أردنا أن نضحى وآمالنا الشخصية فى سبيل ذلك الامل الكبير ، أمل الامة بأسرها . وما أجمل أن نشرب الماء الآسن

اليوم يبتسم لنا ثغر الامل من بعيد فعسى أن يكون عامنا الجديد تحقق فيه أمنيتنا فيبسم لنا ثغر الامل من قريب .

ولقد عشنا نحن المصريين حيناً من الدهر بغير أمل ، لأننا كنا لا نعتمد على أنفسنا ونخاف الثبات فى كل أعمالنا . ولرب قائل يقول وهل يعيش الانسان من غير أمل ؟ الطفل فى حجر أمه يأمل أن ترضعه ثديها ، والصبي فى مكتبه يأمل أن يخرج الى الهواء الطلق ليلهو مع رفقته . والشاب يأمل أن يقترن بمن يحب . والرجل يأمل أن يكتسب ما يقوم بأود أسرته ، والشيخ يأمل أن يرى أولاده قد سلكوا فى حياتهم طريقاً شريفاً يرفع أسماءهم الى أوج المجد فيعلو شأنه أيضاً ويموت قرير العين باسم الثغر . فالامل غريزة فى النفس والمصرى أيضاً ذا أمل فى الحياة .

ونحن لا ننكر ذلك ، وهل ننكر الحقيقة التى تراها العين وتكاد تلمسها اليد ؟ ولكننا لا نتكلم فى هذا المقال عن الامل الشخصى الذى لا يعود على صاحبه إلا بالفوز الشخصى أيضاً . ولكننا نتكلم عن أمل المجموع ، عن أمل الامة بأسرها ، ذلك الامل الفتى الناهض الذى يهز القلوب دفعة واحدة . فان تحقق ، وجدتَ الوجوه من الاسكندرية الى اسوان باسمة مشرقة تقرأ فيها آيات السرور والغبطة .

هذا هو الامل الكبير الذى كنا نجهله حيناً من الدهر ، وما جهلناه إلا لأننا كنا لا نعتمد على أنفسنا ولا يركن المصرى منا الى أخيه المصرى . ومثل هذا الامل لا يتحقق إلا بالثبات . وأين هو الثبات اذا كانت القلوب متنافرة لا تقر على رأى .

يكونون كذلك وقد تنفسوا هواء مصر وأكلوا طعام مصر وشربوا مياه مصر . فوقفوا حياتهم على خدمة مصر بعد أن ضموا صدورهم لصدور الشعب والشعب يفدى صدورهم بأرواحه .

هذه هى سلالة محمد على الذى جاء الى مصر ليتخذها موطناً يعمل ويكد لانقاذه من الدمار ، هذه هى سلالة محمد على الذى نبغ منها ابراهيم القائد الحربى الذى هزم الأتراك فى ربوع الشام وخلد لمصر مجداً لا يساويه مجد والتى نبغ منها اسماعيل الذى أدخل التمدن الحديث الى مصر ولذا قال (اليوم أعد بلدى جزءاً من أوروبا) .

ونحن لا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نهنئ أمتنا المصرية بفوزها الجديد ونهنئ أمراءنا الكرام بما نالوه من الثقة فى نفوس الأمة

ولتحي مصر وليحي الامراء وليحي الاستقلال التام ؟

(١٥ يناير سنة ١٩٢٠)

العام الجديد

نستقبل العام الجديد بقلوب قوية وأوجه باسمة مستبشرة يعلوها الفرح والسرور . وكيف لا يكون أمرنا كذلك وقد اتفقت كلمتنا واتحدت قلوبنا وظهرت شخصيتنا المصرية أمام الامم واضحة جلية تحمل فى يدها علم مصرى ، علم الاخاء والثبات والحرية والاستقلال .

ينشر البرقيات من جميع أنحاء القطر ثم قرأنا برقية عميد الوطنية سعد باشا زغلول يهنئ فيها الامة بهذا الفوز الجديد الذى أثبت للعالم أجمع أننا كتلة واحدة لا تؤثر فيها المؤثرات ولا تتغلب عليها الصعوبات والعقبات .

نحن لا نندهش لفرح الامة وإغتباطها بذلك المنشور الكريم ولا نندهش لما قامت به سلالة البطل الكبير محمد على منقذ مصر من الدمار والخراب .

أجل نحن لا نندهش لكل ذلك ولكننا نندهش لامر آخر وهو أننا نرى الأمراء فى كل بقعة من بقاع الارض بمعزل عن بنى جلدتهم ، يعيشون عيشة لا تتفق مع روح الديمقراطية التى أصبحت دين للناس فى العالم المتمدن ، ويصاحبون جماعة من جو لا يلائم الجو الذى تعيش فيه بقية الناس ، ويضنون على وطنهم بالخدمات التى ربما يعجز غيرهم عن أدائها . فهم فى واد والناس فى واد .

هذا هو المعروف عن الأمراء أما أمراؤنا فقد جاء منشورهم طبق مرام الامة بل رأينا فيه روح الديمقراطيـة تجلى للعيون كالشمس فى رابعة النهار .

اليوم نفتخر بأننا ديمقراطيون جميعاً نتحد سويا ونتكاتف فى سبيل تحرير مصر تلك البلد التى لم يرتكب أهلها جريمة غير حبهم لها وتفانيهم فى خدمتها .

أما أمراؤنا فقد أثبتوا للعالم أنهم مصريون قبل كل شئ وكيف لا

منهم فقد ابتدأت فى فهم ذلك بل فى خلع ذلك الرداء الرث وارتداء تلك الحلة الجديدة الجميلة التى يحق لهم أن يتزينوا بها فى كل عمل يهمون بادائه لأنفسهم أو لوطنهم وأداء العمل الشخصى بما يقضى به الواجب هو فى الحقيقة أداء جزء من العمل الذى يتطلبه الوطن .

ربما كان في فهم الشبيبة المصرية للشخصية المصرية بعض من التقليد والتصنع ولكنه إن لم يتحول عاجلا الى طبيعة محمودة وغريزة فى النفس فسوف يتحول آجلا فى نفوس أبناء هذه الشبيبة ويصبح غريزة تصحب النفوس من ساعة أن ترى العيون نور السماء .

هذا ما أريد كتابته للشبيبة بل هذا ما ألفت أنظار الكتاب له حتى تبلغ بهم مصر غايتها المنشودة ؟

(١٠ أغسطس سنة ١٩١٨)

أمراؤنا (١)

كان لمنشور الأمراء فى الاسبوع الماضى وقع جميل فى صدور الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، رفيعهم ووضيعهم . وجدنا أمتنا المصرية قد انتعشت منها القلوب ساعة تلاوة المنشور ووجدنا الجرائد

---

(١) كتب هذا المقال بمناسبة انضمام أمراء البيت السلطانى لصف الأمة فى الحركة المصرية عام ١٩١٩

تاركا مشروعه فى يد الأعمال ثم الموت . هذا ما يقال عن المصرى فى كل بلد وهـذا ما أثبتتـه التجارب ، وإنها لحقيقة مرة تؤلم النفوس الحية ولـكننا لا يسعنا إلا الاقرار بها لأن الأقرار بالضعف قوة ربما انتجت نتيجة حسنة تعود بالخير والمنفعة . تقول الناس عن المصرى ذلك ومنهم من يجد السبب فى الجهل الضارب أطنابه على سواد المصريين ومنهم من يجده فى تأثير الطقس على نفوس المصريين ومنهم من يجده فى غير ذلك . وقل من يجده فى جهل المصرى لشخصيته وجهل الشخصية هو الباعث الأقوى على عدم الاعتماد على النفس وعلى الاتـكال على الغير والاتكال على الغير يسوق المرء الى هوة الموت الأدبى التى ترقد فيها النفوس رقدة طويلة لا تستيقظ بعدها لأى عمل نافع

ليس الجهل هو السبب فى فشل المصرى فكم من أمة جاهلة ارتقت تدريجيا الى مصاف غيرها من الأمم المتعلمة وليس الطقس هو السبب فى خمول المصرى وكسله وكيف يكون الطقس سبب ذلك والأجنبى يعيش معنا تحت السماء التى تظللنا ولكنه يعمل ونحن ننام

نحن قوم لنا تاريخ يجمعنا نعيش به فى بقعة من الأرض حدودها معلومة للأجنبى وللوطنى . ولنا لغة واحدة نتفاهم بها . بل ولأجسامنا لون واحد يكاد يكون عاماً ، فنحن إذاً أمة حية تعرف ما عليها وما لها ويحق لكل فرد من أفرادها أن تعرف أنه مصرى يعيش لمصر ويحيى من أجلها ، حتى إذا عرف ذلك كل المعرفة أمكنه أن يعتمد على نفسه فى أى عمل يقوم به . هذا مع الأسف ما يجهله عامة المصريين أما الشبيبة

فواجب المجمع العلمى حيال ذلك أن ينتقى اللفظ الذى يرضاه الجمهور وإلاّ أعرض الناس عن ألفاظه وكان عمله بلا فائدة ولا نفع وكم من كلمة افرنسية كانت من لغة (الآرجو) أدخلها المجمع العلمى الافرنسى فى القاموس وأصبحت افرنسية يستعملها الكاتب والشاعر .

ويا حبذا لو أرسل الله لمصر كاتباً محبوباً تقرأ رواياته الناس أجمعون يستعمل الالفاظ التى صقلها اللسان والالفاظ السهلة القديمة حتى يتعود عليها القارئ ويألفها بعد نفوره .

هذا ما يتحدث به الناس فى المنتديات وفى بيوتهم ويا حبذا لو ضم المجمع بين أعضائه المشرع والطبيب والمهندس والزراعى والتجارى حتى يتعاون الاعضاء على وضع الألفاظ الجديدة العامية ويكون وضعها صحيحاً لا تشوبه شائبة .

هذا ما أردت كتابته على صفحات السفور وإنى آمل أن نجد فى المجمع المصرى أمنية كل محب لبلاده غيور على لغته وليس هذا ببعيد على أعضاء النادى الكرام .

١٨ يونيو سنة ١٩١٧

شخصيتنا

يقولون عن المصرى أنه عاجز عن القيام بعمل هام تحفه المخاطر ، وإن أقدم عليه لا يلبث أن يرجع القهقرى بعد ان يسير فى طريقه قليلا

فلو صادفتنا مثلا كلمة (خاوى) وقفنا ونحن لا نعرف أننطقها بضم الخاء أو بكسرها فلا بأس اذن من وضع الكسرة تحت الخاء حتى ننطقها صحيحاً .

كل هذه الأفكار صائبة سيفكر فيها المجمع الجديد وينتخب منها الأسهل والأصح بل وسيفكر أيضا فى آراء جديدة ربما كانت أسهل مثالا وأقرب للصواب والصحة .

أما مسألة الالفاظ الجديدة العلمية التى تخلو منها اللغة العربية فأمامنا باب الاشتقاق وباب التعريب وعندنا من الكلمات القديمة المهجورة ما يصح أن نطلقه على كل لفظ جديد لا نجد له مرادفا عربيا على أنى لا أريد أن نأبى استعمال اللفظ الافرنجى اذا صقله اللسان وفى القرآن دليل ساطع على صحة قولى اذ فيه من الالفاظ الفارسية ما يسوغ استعمال اللفظ الافرنجى وليس بعار على اللغة العربية وان كانت أغنى اللغات وأوسعها أن تدخل فيها الالفاظ الجديدة الافرنجية ؛ وما من لغة حية قائمة بنفسها دون احتياجها لمعونة اللغات الأخرى . وعلام نقف أمام اللفظ الافرنجى نعاديه ونأبى استعماله بعد أن صقله اللسان . اللغة هى ما يتكلم به اللسان فلماذا نستعمل اللفظ المهجور ونأبى استعمال اللفظ السهل ان كان إفرنجياً .

أنا لا أقول بهجر الالفاظ القديمة ويا حبذا لو بحثنا عنها وعرضناها على الكتاب والجمهور فان صادفت استحسانا أستعملت وان نبذها الذوق أهملت .

قوة ، فيعمد لوضع كل كلمة جديدة بين قوسين إذا جاءت ضمن كتاباته.

تلك هى الصعوبات التى تعتور طريق كل كاتب مصرى والتى من أجلها ألف المجمع اللغوى جامعاً تحت لوائه المعمم والمطربش والتى نأمل أن يزيلها فى القريب العاجل .

فكر المفكرون قبل ذلك وتضاربت فى ذلك الافكار والآراء فمنهم من ذهب بفكره بعيداً وارد تغيير الحروف العربية الى حروف افرنكية تسمح بكتابة الحرف المتحرك Voyelle حتى لا يجد القارئ صعوبة فى القراءة فيقرأ صحيحاً ثم يتكلم صحيحاً .

لا مشاحة فى أن الفكرة صائبة ولا مشاحة أيضا فى أنهـا ضربة قاضية على الشخصية المصرية التى يسعى اليها كل وطنى صادق الوطنية ولهـذا قوبلت تلك الفكرة المضرة المفيدة بالاعراض وحق لنـا أن نعرض عنها ونضرب بها عرض الحائط .

ومن المفكرين من فكر فى كتابة الحرف المتحرك المصرى وأعنى به الـ « أ ، و ، ى » فنكتب كلمة (كتب) مثلا هكذا (كاتابا) واذا صادفنا كلمة كانت تكتب فيها هذه الاحرف الثلاثة من قبل وضعنا المدة كما يضع الافرنج الـ (Accent) فنكتب مثلا كلمة (كتاب) هكذا (كيتاب) ونكتب كلمة (محفوظ) هكذا (ماحفوظ) وبهذا يتسنى لنا أن نكتب كما نتكلم وأن نقرأ صحيحاً ثم نتكلم صحيحاً .

ومن المفكرين من فكر فى وضع الشكل فى كل ما نكتب ومنهم من فكر فى وضع الشكل على الأحرف التى يلتبس على القارئ نطقها

وتسحب له ذيلك ولكنك فى حل من أن تتصفحه وتستوضحه وتقلب فيه خواطرك حتى تغرق فى البحث فتقف على مكان الضعف والقوة فيه وتكون حينئذ حراً فى قبوله أو رفضه .

وأى خطر يداهم الأمة إن هى فوجئت بآراء جديدة ؟

لا مشاحة فى أن كل رأى صائب يبقى رغم أنف كل مستهجن له وأن كل رأى فاسد يضمحل ويموت ويندثر مهما كان معززاً ومهما تمادى صاحبه فى ضلاله وغلا فى جهالته . لا تخف إن عاش الرأى الواهن حقبة من الدهر لأنه يعيش وهو مهدد الى أن يتغلب عليه الرأى الصائب وما الدنيا إلا ميدان عراك يتصارع فيها أصحاب الحقيقة ومحبذو الجهالة والله نصير الحق فلا يلبث كل ذى صواب أن يفوز ولا يلبث كل ذى خطأ أن يلوى عنانه ويقصر عن باطله فتظهر الحقيقة ناصعة للناظرين .

١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

المجمع اللغوى

يقرأ الاجنبى ليتعلم ويتعلم المصرى ليقرأ وفى ذلك ما يدعو المصرى لاعمال الفكرة حتى يرتقى بلغته الى مصاف اللغات الاجنبية . ونجد الاجنبى لكل مخترع جديد كلمة يستعملها فى كلامه وكتاباته بعد أن يصقلها لسانه ، ويقف المصرى حيال ذلك وقفة العاجز لا حول له ولا

علينا نحن أبناءهم أن ننقض رأيا اتفقوا عليه وأن نجادلهم فى قضية أثبتوا صحتها فى كتبهم فليلق كل منا سلاحه أمام أدلتهم وبراهينهم مهما كان وثيق الحجة شديد اللداد .

وفلان يحترم آراء السالفين ويجل أعمالهم وسعيهم فى تحقيق كل ما وقع تحت عيونهم ولكنه يود أن يكون له بعض ما كان لهم من الحرية فى البحث والتنقيب حتى يجيء الرأى الصائب ويموت الرأى الواهن مهما تسايرت أهواء الناس على صحته . كل له الحرية فى البحث وليس من العار أن يأتى الانسان بفكرة شحذ لها غرار رأيه واثبت له غيره أنها غير صحيحة وانما العار كل العار أن يستقصى الانسان فى البحث عن رأى جديد ثم يضن به على قومه أو يضرب عنه صفحاً لأنه جديد لم يتفق على صحته أحد من السالفين .

لم يزل العلم فى جو الطفولة بالرغم مما أتى به علماء الماضى والحاضر والحقيقة التى اتفقنا عليها ما زالت تحيط بها الشكوك والظنون فأن تمسكنا بالقديم كنا كمن يريد أن يوقف تيار العلم أو كمن يتنحى عن العمل لسواه فيسبقه الى التحقيق والبحث قوم آخرون ويرجع هو وقومه القهقرى أمام أقدام الآخرين وانه لعار علينا فى القرن العشرين أن لا نفيق من رقدتنا الطويلة بعد أن رأينا ما ضحاه الغربيون فى سبيل احياء العلوم وتحقيق كل غامض فيها .

لا نزاع فى أن الفكرة الجديدة جميلة وإن كانت غير صائبة . أنت بلا شك تستقبح الجديد لأنك تفاجأ به على غرة قبل أن تأخذ له عدتك

حبهم والله يعلم أنى أدافع عن الحقيقة وأبسطها أمام أعيننا كى نشعر يوماً بما نحن فيه من التأخر والتقهقر لنهب من نومنا العميق مرة واحدة ونعمل لمجاراة الاجنبى ثم للفوز عليه. فمتى تتحقق هذه الآمال ومتى يرمى المصرى وراء ظهره الكسل ومتى يقدم على الحياة غير هياب لاخطارها ومتى يقال عنه أنه لا يخاف الحياة ؟؟

(ليون ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣)

الافكار القديمة والحديثة

فلان يعشق الكتب القديمة ولا يتصفح سواها يتغنى فى المجالس بما تحويه بطونها ويستشهد فى كتاباته بجليل حكمها فهو فى نظر الناس عالم فاضل مطبوع على البيان متفنن فى ضروب الخطاب. إن تكلم كان بسيط اللسان رحيب المجال وإن كتب كان مليح الفصول رائق الفِقَر. ان أتيته برأى يخالف رأيه أوغرت صدره واقتدحت غضبه فرماك بالجهل والتعدى على العلماء السالفين الذين لا تحق آثارهم ولا يشق غبارهم. وإن جئته برأى جديد لم يسمع به أحد من قبل قال عنه أنه غامض مبهم تخامره فيه الشكوك وتتجاذبه الظنون. هذا هو شأن كثير من علمائنا الاجلاء الذين نشأوا فى جو القديم فعز عليهم أن يطرق آذانهم الجديد. يظنون أن آباءنا وأجدادنا عاشوا فى عصر كان العلم فيه زاهراً خرام

بلادنا الزراعية والتجارية والمالية وهذا ماقاله رئيس جمهورية الصين يوان شي كاى عن أهل بلده فى حديث له مع أحد مراسلى جريدة الطان وكأنه تكلم عن لسان المصريين لان هذا الداء الذى تفشى بيننا قد تفشى من قبل بينهم . قال : « أنا لا أفكر فى ترك الآداب كلية ولكن أجد الآن أن ثمانين فى المائة من شبابنا يدرسون القوانين والعلوم السياسية وبها يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة منه . فالواجب على الجمهورية أن ترمى بأنظارها الى الاشياء العملية كالعلوم الصناعية مثلا وذلك لزيادة ثروة البلاد خصوصاً فى أراض كأراضى الصين تكثر فيها الكنوز »

أجل إن البلد الذى تبطل فيه الحركة الأدبية يكون كالجسم الذى يعيش بلا قلب يحس ويشعر . ولهذا وجب على كل أمة أن تكون لها هذه الحركة ولكنه لا يجب أن يتسبب عنها التقاليد والخوف من الخوض فى مضمار الحياة ثم الشكوى بعد ذلك من أن الاجنبى اغتصب البلاد وأدارها ونهب ثروتها وخيراتها واستخرج كنوزها

لِمَ نجد كل الشركات فى مصر أجنبية ؟ لانا نخاف أن ننشئ لأنفسنا شركات . ولماذا نجد أموالنا فى أيدى الافرنج ؟ لأنه ليست لنا مصارف وطنية

نحن ندافع عن أنفسنا كما يدافع العاجز عن نفسه فيكثر كلامنا ويقل عملنا . والأجنبى لا يتكلم ولكنه يعمل وعمله خير سلاح يدفع به غاراتنا

ربما ظن البعض انى أدافع عن الافرنج أو انى عاشق لهم متفان فى

فى أوروبا مدارس لم يدخلها مصرى بعد أو دخلها القليلون . لا نجد أحداً منا يدرس الكيمياء العملية أو الكهرباء أو علوم الهندسة والزراعة أو العلوم الفلسفية وكأننا لا نريد أن نتعلم هذه العلوم النفيسة لأنا نخشى أن لا نعيش بها فى مصر وذلك لأنه ليست لنا ثقة بنفوسنا ولأننا لا نقدم على عمل لا تدفعنا اليه الحكومة

حرام على نفس المصرى أن تكون محرومة من الاقدام بلا مساعدة من كبير . حرام على المصرى أن يخاف الحياة ولا خوف من الحياة . أصبحنا نلتصق بالتوظف حتى أن من درس منا التجارة يبحث له عن خدمة فى بنك مع أن أخاه السورى يسافر الى أمريكا ويشتغل ولا يخاف الحياة . ومن درس منا الزراعة يسأل كل يوم عن اليوم الذى ستنشأ فيه نظارة الزراعة بدل أن يقضى وقته فى أرض له أو فى أخرى يستأجرها ليعمل فيها تجاريبه التى تثمر له يوما ما ثمرة تعود عليه وعلى وطنه بالنفع العميم .

تجد الأب منا يود أن لا يفارقه ابنه وتجد الابن لا يبحث عن كسب رزقه خارج بلده . يظن المصرى أن حب وطنه هو المكوث فيه ويعد الاباء أبناءهم الذين يتركونهم للعمل فى بلد غير بلدهم خائنين الوطنية والدين كارهين عوائد بلادهم عاشقين قوما لا ينتسبون اليهم .

ثمانون فى المائة منا فى أوروبا يدرسون الحقوق والاقتصاد والسياسة وبلادنا أشد احتياجا للعلوم العملية منها لهذه العلوم . أنا لا أريد أن نترك العلوم الادبية ولكنى أريد أن نعتنى بالعلوم العملية أيضا حتى تتقدم حالة

هذا هو المرض الجديد الذى حل بنفوسنا وأصبح عقبة كؤوداً فى سبيل تقدمنا ونجاحنا

ماتت فى نفوسنا عزيمة المخاطرة فى الحياة . ولهذا أردنا أن نتعلم علماً بعيداً عن كل المجهودات الشخصية ولقد استاصل فى نفوسنا حب التوظف فى الحكومة لاننا أصبحنا نخاف جهاد الحياة

قصرنا همتنا على تعلم القضاء والطب والهندسة لاعتقادنا بأن الحكومة تفتح أبوابها إذا أتيناها حاملين شهادات هذه العلوم ونسينا أن بلادنا التى تتألم من تعاستها والتى ترزح تحت أحمال الشقاء تستغيث صارخة ولكننا نضع أصابعنا فى آذاننا كى لا نسمع أنينها وذلك لاننا أصبحنا نخاف الحياة .

الرجل خلق فى هذه الحياة ليعمل فان نجح استحق الثناء والفخر وان خسر كان جزاؤه اللوم وهو فى الحالتين سعيد لان التعس هو من قضى حياته دون أن يمدحه أو يلومه أحد . ولقد قال عن هذه الفئة دانتى الشاعر التليانى الشهير « هؤلاء قوم قد طردتهم الجنة لانهم يفسدون جمالها ولم يقبلهم الجحيم لان مجرميها يفتخرون بهم » ولقد كتب عنهم هنرى برود الكاتب الروائى الفرنسى الشهير « الحياة دار عراك وموارد الرزق فيها كثيرة ولكننا لم نعرف بعد كل هذه الموارد أو نحن نتغافل عنها لاننا نخشى أن نسلك الطرق التى توصلنا اليها لانها محفوفة بالاخطار والمخاوف ولهذا تركناها لقوم غيرنا سلكها منهم الاكثرون فوصلوا الى أمنيتهم وفازوا بمطلوبهم »

الخوف من الحياة

مصر بلد شرقي دخله الاوربيون ودخله معهم تمدنهم الغربي . ولقد أحس أهله بذلك التيار الجارف فأرادوا مقاومته جهدهم فضعفت همتهم وكانت عزيمتهم ولم ينفعهم ما ورثوه عن آبائهم من التجارب ، ففهموا أن ما بين أيديهم من العلوم وبالأخص العلوم العملية لا ينفعهم لمجاراة هؤلاء القوم ولهذا أرادوا أن يقفوا على كنوز الافرنج فبادروا بارسال أولادهم الى أوروبا ليقطفوا ثمار العلم ويعودوا بها الى بلادهم

ولقد انتشر المصريون في انكلترة واسكتلندة وفرنسا انتشاراً هائلا حتى انه أصبحت لا تخلو كلية واحدة منهم . ولهذا أملنا لبلادنا خيراً عاجلا وسألنا الله تحقيق هذه الآمال

ولكن نجم ذلك الامل الكبير بدأ بالافول لان الباحثين عن الحقيقة وجدوا أن الحركة الجديدة المباركة لم تمش الا في ثلاث طرق كثر عدد من سلكها من المصريين

أصبحنا لا نذهب لاوروبا لنتعلم ما فقدته بلادنا من العلوم النفيسة بل نحن نحمل متاعب السفر وشدائد الغربة لنكون أطباء أو مهندسين أو قضائيين فقط ورغبتنا الكبرى في ذلك أن نجد لنا مركزاً في الحكومة يضمن لنا مستقبلا لا تحفه متاعب الحياة

الكتاب الثالث

الأدب والاجتماع

مجموعة مقالات أدبية واجتماعية

مهشم الجبهة مغمض العينين يلتحف السكون والجلال .
هو تمثال الحقيقة حلوة كانت أو مرة .
منه عرفنا مجد مصر القديم ومن بابه نسمع أناتها المتتابعة .
عارى الجسد أسمر اللون يحمل فى صدره آلام الأيام .
لم يضق صدره بالمصائب ولم تذرف محاجره دموع اللأواء .
ثابت الجأش لم يتحول عن مكانه القديم ولم تسل بعد دماؤه الحمراء .

* * *

فى سفحه تشعر النفس بالهيبة والحزن .
هناك تذهب الأم الثاكل لتندب أولادها .
وهناك يذهب العاشق ليبكى عشيقته .
وهناك يجلس الشاعر على صخر أصم يذكر مجد بلاده الضائع .

* * *

عليه مسحة من الجمال لا يعرفها إلا كل فنىّ .
منه تستمد أنفس المجاهدين قوة هائلة .
ومنه ينبثق على مصر فى جنح الليل شعاع الأمل .
هو كتاب الوطنية .
على صفحته الاولى كتبت الحقيقة من ذهب : مصر للمصريين ؟

(١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩)

— ٨ —

أنا لا أسكن الآن لفائف القطن ولكنى أسكن صدر الفتاة. انها لا تفارق سريرها الآن. لقد دب فى جسدها النحول وغارت عيناها الجميلتان وخفت صوتها الساحر وأصبحت كالجثة الهامدة لا تتحرك إلا اذا مدت يديها الىّ لتستنشق من غلائلى الذابلة بقية أريج ذلك الحب القديم.

— ٩ —

اليوم ناحت النائحات ودوى فى المنزل الصغير صراخ تلك الخالة المسكينة. اليوم حملوا جثة الفتاة وساروا بنعشها بين الحقول الى أن وصلوا الى المقبرة وهناك وضعوا الفتاة فى حفرة مظلمة ووضعونى على صدرها ثم أهالوا التراب علينا.

ونثروا على القبر زهوراً قليلة ولكنهم بللوه بدموع كثيرة.

(١٦ يناير سنة ١٩١٩)

الهرم الاكبر

يطل على القاهرة من شاهق كأنه رسول مجدها القديم.

على صخوره العابسة، وعلى رماله الصفراء كتب الدهر بمخالبه السوداء تاريخ مصر.

آمال أبيه) ثم جلست القرفصاء وقالت (أين أنت يا أمى أين أنت يا أبى)
وأعادتنى الى لفائف القطن وخرجت من الغرفة
مسكينة تلك الفتاة أنها حقاً يتيمة لا أب لها ولا أم

— ٦ —

لبثنا ثلاثة اشهر والخطابات لا تنقطع . تارة تسمعنى الفتاة خطابات حبيبها وطوراً تتلو على خطاباتها قبل ان تضعها فى صندوق البريد ، ثم دخلت غرفتها فى صبيحة يوم من الايام وقالت لى بعد أن انتزعتنى من لفائف القطن (يا زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء ، بدأ الحبيب أن يمل الكتابة . لقد تأخر خطابه وقديما يتولى النسيان نكث العهود)
ثم بكت وارسلت زفراتها وسمعتُ شهيقها يتردد فى صدرها الخافق.
مسكينة تلك الفتاة لقد بدأت أن تستيقظ من حلمها اللذيذ .

— ٧ —

ومضت ثلاثة أشهر أخرى فدخلت الفتاة فى غرفتها وقالت لى (يا زهرة الـ . . . ونبع الذكرى والوفاء . معذرة ايتها الزهرة الذابلة اذا إذا لم أدعك بزهرة الحب فقد جف عوده وتهدمت اركانه . لقد نسى الحبيب غرامه ونكث عهده وما قلب الرجل إلا كالطائر يتنقل من غصن الى غصن) .
ولم تبك الفتاة ولكنى رأيت وجهها أصفر اللون وصدرها يعلو ويهبط وقرأت فى عينيها سطراً خطته يد الألم الصامت والهم الدفين .
مسكينة تلك الفتاة لقد انقضى حلمها اللذيذ .

من أحب لفراق أخاله أبديا ، هو غنى وأنا فقيرة هو سعيد وأنا تعسة وحرام أن أهدم سعادته وأحطم آمال أبيه . ولكنى صادقة الوعد كريمة العهد وسوف أفى له بعهدى . تلك يمين بررت بها . وأمضيتها على الصدق) .

ثم وقف القطار فى محطات كثيرة الى أن وصل الى محطة صغيرة نزلت فيها الفتاة وهى تحمانى على صدرها

وسارت فى طريقها الى أن وصلت الى دار حقيرة صعدت سلمها فقابلتها امرأة عجوز وتعانقا عناقا طويلا ثم قالت الفتاة (لقد أتيت يا خالتى اليك وفى دارك ألقى عصا ترحالى . لم أنجح فى المدينة فآثرت أن أعمل هنا فى البلدة الصغيرة) ومكثتا يتحدثان الى أن أقبل الليل وآوى كل الى مضجعه . مسكينة تلك الفتاة لعلها يتيمة لا أب لها ولا أم

— ٥ —

مر يومان على هذا الحادث فدخلت الفتاة فى غرفتها وهى ضاحكة السن وفى يدها مكتوب

ثم انتزعتنى من لفائف القطن التى وضعتنى فيها خوفا على أن أذبل وأموت وقرأت أمامى الخطاب ثم قالت (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء ، هاك كتاب من أحب . انه يقيم على وعده وحاشا لله أن يغدر بى) ثم تنهدت ومسحت أجفانها بالدموع وقالت (أملى لا يطول . هو غنى وأنا فقيرة ، هو سعيد وأنا تعسة وحرام أن أهدم سعادته وأحطم

الشاب على افريز المحطة وهو يحمانى على صدره وكان ينظر تارة الى الارض وطوراً الى السماء ويخرج ساعته من جيبه وينظر فيها ثم نشط من عقاله وهم يستقبل شخصاً لم تر عينى أجمل منه .

وحدقت نظرى فى الشخص القادم فوجدته فتاة رقيقة ناعمة هيفاء القوام سمراء الوجه تلوح عليها ديباجة الحسن وينبعث من عينيها بريق العفاف والطهر .

ثم تعانقا فشعرت بلهيب تلك النار التى كانت تتأجج فى صدريهما وافترقا خشية أن تحرقنى تلك النار . وركبت الفتاة فى عربة من عربات القطار فنزعنى الشاب من صدره وأعطانى للفتاة وهو يقول (اليك هديتى ، اليك زهرة الحب ، اليك نبع الذكرى والوفاء) فأمسكت بى ووضعتنى فى صدرها .

ثم دق الحارس الناقوس وسمعنا صفير القاطرة تتأهب للرحيل فسالت دموع الفتى والفتاة وتعانقا مرة أخرى ثم سار القطار بين المروج الخضراء .

كنت فى حديقة القصر زهرة الحسن والجمال فأصبحت على صدر الفتاة زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء .

— ٤ —

جلست الفتاة فى غرفة من غرف العربة وهى تلثمنى وتضمنى وتبللنى بدموعها ولم يكن فى الغرفة سوانا فحادثتنى الفتاة قائلة . (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء . لقد حكم الدهر بينى وبين

النـدى وهى تتساقط على غلائلى البيضاء . أنا فى هذه الحديقة زهرة الحسن والجمال

— ٢ —

استيقظت فى فجر اليوم فوجدت أمامى شابا وضىء الطلعة رقيق القشرة يترقرق فى وجهه ماء الجمال يئن ويبكى ويمشى فى الحديقة مشية الحائر اليائس ثم يعود الى ويقف أمامى وهو ساهى الطرف قلق الخاطر .

مسكين أيها الشاب الجميل . ما الذى استوقد صدرك ومزق أحشاءك وعلام أنت متلهف القلب ناكس البصر ؟ . . . ومن أنت ؟ . . . . لا تجيب أيها الشاب لقد عرفتك . أنت ابن رب الدار . أنت غنى ابن غنى وسرى ابن سرى ، تسكن القصر المنيف وتلبس الحرير وتنام على الدمقس فعلام تبكى وتنتحب ؟ . . . . ما الذى تفعله أيها الشاب . . . قف لا تتقدم . . . لا تمد يدك الىَّ . حرام أن تقطفنى وأنا فى ربيع العمر صبراً أيها الشاب انتظر .

ولكنه لم يأبه لقولى ، لقد مد يده الى وقطع ساقى الجميل وصعد بى على السلم ثم دخل غرفته وهناك بللنى بدموعه الحارة فامتزجت دموعه بقطرات الندى .

— ٣ —

ثم أشرقت الشمس فوضعنى على صدره وغادرنا الدار معاً وأنا لا أعلم الى أين يسوقنا القدر . ثم وصلنا لبناء كبير اجتزنا بابه ودخلنا فناءه وهناك سمعت صفيراً ورأيت دخاناً فعلمت أننا فى محطة كبيرة ومشى

تنبض القلوب . حب البقاء ! آه . لاجله نتألم ولاجله نشقى ولاجله لا نترك الحياة إلا مرغمين

(٦ ابريل سنة ١٩١٧)

حديث زهرة

— ١ —

ما أجمل الربيع الذى وُلدتُ فيه ، وما أجمل الشمس التى تبزغ فى الصباح فتملأ جسمى حرارة ، وما أجمل سلم القصر الكبير الذى نشأت فى حديقته أرى الناس تصعد اليه وهم ينظرون الى نظرة إعجاب وتارة يبتسمون ابتسامة حلوة لذيذة أرقص لها طربا وأميل تيهاً ودلالا. واذا مشى رب الدار فى الحديقة يقف امامى ويمد يده الىَّ ثم تأخذه الشفقة على جمالى الفاتن فيسير فى طريقه وهو يبتسم . وما رب الدار الا رجل من سراة القوم وأغنيائهم منيع الحوزة عزيز الجانب قطع من الحياة مرحلة كبيرة ولكنه ما زال غض الاهاب صبيح الوجه .

أنا بيضاء اللون جميلة الشكل تبللنى قطرات الندى فى الفجر وتنعشنى أشعة الشمس فى الصباح وتؤلمنى حرارتها فى منتصف النهار . وإذا مر بى النسيم وقد مالت الشمس للغروب أشعر بلذة غريبة ويدب النعاس فى أجفانى فأذا أقبل الليل أنام نوماً هادئاً لطيفا الى أن توقظنى قطرات

الأمل ولا تخيفني خاطرات اليأس وما قلبي الا قبر مظلم رقدت فيه عرائس الأماني تمر برؤوسها الخاوية أحلام الماضي .

* * *

تسير النـاس امامي كأنها ألاعيب تتحرك ، وارحمتاه للنـاس . ثم ضحايا تتزاحم أمام مقصلة الطمع : فهم والانعام سواء ، وأنا ما زلت واقفاً أمام البحر كالتمثال غير أني أهتز من آونة الى أخرى كلما لاح فوق الامواج الغاضبة فجر الشباب .

* * *

اليوم يوم عصيب قامت فيه الرياح وقعدت ،وهددت وصرخت . فلزمت الظباء الخدور تنظر من وراء السجف لثورة العناصر وتسمع من خلف الجدران دوى الرياح وقصف الرعود . ولكني أرى أمامي خيال من أهوى شاحب اللون مسدل الشعور ماداً يديه الناحلتين يدعوني الى قرار البحر وهو يبتسم ويرقص مع الامواج .

* * *

علام أنا محجم عن لقائه ولا يبعدني عنه غير شاطئ البحر ؟ علام لا يدفعني اليه الشوق القديم والنـار المتأججة بعد أن أسمعتني الامواج ألحان الموتى فطربت لها كما يطرب الغريب في منفاه لالحان وطنه ترتلها العصافير على الاغصان عند الغروب .

حب البقاء ! آه . ما زلت ممسكاً بتلابيبه وان سكن اليـأس قلبي وتملك على نفسي . حب البقاء ! آه . هو علة الوجود ، هو اللذة التي لأجلها

وأمسك به فى يدك تخضع لك سفينة الرياح فتركبها لتعدو خلفك الاغاثة وتهرب أمامك القسوة .

الشاعر — أنت أيها الليل إله الرحمة وانا لسانك الناطق . انت أنشودة الحب وأنا منشدها . انت سيف الحق وأنا شاهره الذى لا ينام . تعال معى نجول جولتنا لتنهزم أمامنا جيوش الدماء التى أثار حربها نور الحياة .

(٢٦ يناير سنة ١٩١٧)

حب البقـاء

انظر للامواج الهائجة تعلو وتهبط ، وانظر للسماء وقد لبست ردائها الأسود ، وأسمع زمجرة البحر ترن فى الفضاء كما يسمع المسافر فى الصحراء زئير الليث وعواء الذئاب .

***

ونفسى الثائرة تنظر للكون من وراء ضباب الألم . وعيناى الغائرتان يلمع فيهما نور مخيف كما يلمع برق اليأس فى ليل الهموم ، وتعلو شفتاى ابتسامة السخرية .

***

لا أبتسم لابتسام الربيع ولا أبكي لدموع الشتاء ولا تهزنى نشوة

أنفاسك الهائلة . فأين كأسك أجرع منها جرعتي الأولى والأخيرة . خذني الى أحضانك الشاسعة وضمني الى قلبك الصامت . أنتزع من جسمي البالي تلك النفس الخالدة وأمزج عصيرها الطاهر بخمرك المسكر .

الليل — أنا تلك الصحراء ذات الرمال الليّنة . التي وسعت الأفكار الهائجة . والتي غاصت فيها الشياطين المتمردة . والتي خيم عليها ضباب كثيف متلاطم حطم سراج الشمس الوهاج فانطفأت أمامه جذوتها المشتعلة .

الشاعر — وأنا بعضك أيها الليل أضحك من سلطان الطمع وأدوس بأقدامي شيطان الأثرة والأنانية . اليك قيثارتي التي أخذت عودها من أشجارك واليك روحي التي نجاها من أنوار الحياة سوادك المنتشر .

الليل — أنا تلك السماء الخالية من الكواكب التي نبع فيها سيل الخيال مغرقاً عقول الذين اصطفتهم الأبدية ليحملوا على اكتافهم العريضة عرشها الثابت .

الشاعر — وأنا ذلك المولود الصغير الذي ألقت به أمه عند ذلك النبع المبارك فحمله التيار الشديد وما زال يقذف به الى حيث تقف المطامع الانسانية وينبثق فجر الحقيقة .

الليل — تعال أيها الشاعر وضع فمك الصغير على شفاهي الملتهبة لأنفث فيه أنفاسي النارية فتلتقطها أحشاؤك الظامئة . خذ صولجاني

أن يفسح لك فى أنحائه طريقاً لا تنبت فيه غير الأشواك القاطعة لتدوسه بأقدامك الناعمة . أنى أخشى أن تعود من حيث أتيت وحرام على الحقيقة التى سكنت سويداء قلبى أن تراك خائباً حائراً تستجدى النور أشعته الزاهرة .

الشاعر — ايه أيها الليل ! أين جوادك الأدهم أمتطيه ذاهباً به سماء اللانهاية حيث أسمع أناشيد الآلهة ترددها ملائكة الرحمة فوق تلك الأفنان التى يرقص خيالها فى ضوء القمر .

الليل — ايه أيها الشاعر الحائر ! ان قناعى الأسود لم تنسج خيوطه غير يد الآلام ، وان نفسى الحائرة لا تهدأ بعد أن هاجها التطام الدماء بالدماء . وان عينى الساهرة لا تنام لأنها لا تقع إلا على ظل القبور الشاهقة حيث دفن البشر جثث الحب والامانة والوفاء .

الشاعر — ايه أيها الليل العميق ! دعنى أرتشف أفاويقك التى انصرفت عنها نفوس الناس . دعنى أنشد فى جوفك الصامت انشودتى تتناقلها الرياح من واد الى واد وتستحيل من أجلها رمال الصحراء ضبابا كثيفا يكلل جبين السماء .

الليل — أنا ذلك الغار الذى لم يصل بعد لنهايته انسان . إذا مشيتَ فيه قادتك اشباح الموتى واحاطت بك الاحلام المزعجة . على بابه كتب اليأس كلمته التى يرن صداها فى الفضاء وفى قاعه انبثقت شجرته التى ينفث نسيمها الملتهب سمومه القاتلة .

الشاعر — وأنا ابنك أيها الليل . ان أنفاسى المستعرة سكرى بأريج

معى على قبر هذا القلب الطاهر دموعه الحارة ونتشاكى سويا نكبات الدهر .

(٥ يناير سنة ١٩١٧)

الشاعر والليل

الشاعر — أيه أيها الليـل الأقتم ! أين مفتاح بابك الجهنمى ؟ أود أن أنام فى فنائك المخيف متوسداً عتبتك الزرقاء التى بنتها يد البؤس من دموع الايتام . هناك أسكب دموعى فتطير فى الفضاء شظايا تضىء الأفق الحالك .

الليل — قف أيها الشاعر فما أنت إلا طفل ساذج . أنك مازلت تبسم لنور الفجر وتضحك لبزوغ الشمس ، وترقص مع الجيوش المنتصرة . وتهزأ من ألحان البؤس التى ترددها الشفاه الظامئة ، وتأنف من أن تغسل جسمك الملتهب فى نهر الدموع .

الشاعر — ايه أيها الليل ! أين عباءتك السوداء تلتحف بها أفكارى المشتعلة وتسير تحت لوائها الى قرار الهاوية . هناك أصرخ صرختى الهائلة أمام الأشلاء المبعثرة فتجفل النجوم فى القبة الزرقاء . وترتعد الشمس فى عرشها العلوى .

الليل — أيها الشاعر . حاشا لمن هو مثلى عميق القلب بعيد الغور

القلب ثم لا يلبث أن يقطع تلك البيئة الطاهرة ويدخل فى ظلمات الحياة ينهش فيها الطمع قلبه النقى ويمزق الفساد لحمه الناعم ناسياً ذلك النور الساطع الذى أضاء قلبه الأسود حيناً من الدهر .

تلك حال سواد الناس لا يعبأون بماضيهم حلواً كان أو مراً ينسون ما لاقوه فيه من ألم أصلى ضلوعهم وأرمض جوانحهم . تمر أمامهم الحوادث وكلها عبر فكأنها ما مرت وكأن الحياة أمامهم دار لهو وطرب لا يذوقون فيها الا الملذات أما الآلام فحرام أن تدخل قلوبهم والآلام هى من نعم الله على الناس لأنها الباعث الأكبر على المحبة والشفقة ومن عاش دون أن يتألم فوجوده عدم . وما أحلى هذه السويعات التى يقضيها الانسان فى مكان منعزل لا يؤانسه فيه الا سكون الطبيعة يقطعه من آونة لأخرى خرير المياه وزقزقة العصافير . هناك يتذكر الانسان ماضيه فتمر أمامه صور مختلفة منقوشة بريشة الذكرى على صحيفة روحه .

والماضى وإن عده الناس أحلاما فى أحلام فهو جزء من الحقيقة فكما أنك لا تعيش بدون طعام تأكله وماء تشربه وهواء تتنفسه فأنت أيضاً فى حاجة لتلك الساعات الساكنة التى تستسلم فيها للذكرى اذ الحياة كما قال شكسبير مصنوعة من أقمشة الأحلام

أكتب للناس هذه الحادثة الغرامية ولا أريد بذلك أن يقف كبيرهم وصغيرهم على أسرار قلب حزين لم ينبض غير عشرين ربيعاً ثم أسكتته يد التعاسة فسكت ، ولكنى أود أن أعثر على تعس مثلى يسكب

الماضى (١)

« ما الماضى الاقاب ثان يخفق بين الجوانح »

« هنرى باتاى »

الانسان سائح أعمى يمشى على غير هدى تقوده الأنانية فى الحياة . فان استأنس من نفسه القوة والبأس داس فى مشيته بحذائه الضخم آلافا من الضعفاء . وإن خارت عزيمته دون إدراك غايته وأستشعر بالضعف يتمشى فى أنحائه اتخذ لنفسه الحيطة وتنحى عن حذاء القوى ليكيد له خفية ويمكر به علانية حتى إذا سنحت له الفرصة دفع به من قمة العز والغنى الى هاوية الذل والفقر وأصبح بعده قويا ذا مرة يدوس بحذائه الجديد من شاطره البؤس والشقاء أيام تعاسته

والحب جزء من الطهارة منتشر فى الهواء يسكن بيئة من الوجود خصيصة به فاذا مر بها الانسان ولا مندوحة له عن ذلك واستنشق فيها عبير الحب وتفتحت عيناه بأصابع الحب النارية ورأى نور الفضيلة ساطعاً يبهر بصره خلع عنه رداء الرذيلة وعاش دهراً شريف النفس طاهر

(١) هذه المقالة فاتحة مقالات عنوانها حديث غرام كان المؤلف يرغب أن يتمها فلم يفعل . ولم تظهر غير هذه القطعة وعنوانها الماضى

بين أشعة الشمس الزاهرة فأحس بحرارة الوجد تتمشى فى أحنائى ، وبشظايا الهجر تلتهب فى أحشائى

هى معى فى كل مكان . أشم أرجها مع نسيم السحر ، وأسمع صوتها مع أناشيد الطيور الصادحة على أفنان الشجر ، وأرى وجهها فى صفحة الجدول العذب الذى ينقع الظمآن منه غلته ، وفى مرآة السماء الصافية التى ينبعث منها للشاعر وحى الشعر تكلل رأسه زهور الابدية

هى معى فى كل مكان . متى أنزع عن وجهى قناع حبها الكثيف ؟ متى لا ترى عيناى شبح غدرها المخيف ؟ متى تسكن فى زوايا قلبى عاصفة الحب والهيام ؟ متى لا أسمع من نفسى أنين الوجد والسقام ؟ متى ألمح فى سماء حياتى برق الأمل الصادق ؟ متى أزيل من طريقى الموانع والعوائق ؟ متى تنبثق من حدائق نفسى زهور الحقائق ؟

هى معى فى كل مكان . ان طرتُ فى الجو رأيتها بين طيات ضبابه الاسود ، وان غصت فى جوف الماء لاقيتها فى قاعه العميق ، وإن تبخرت فى الهواء إستنشقتنى لأسمع دقات قلبها الخؤون . وإن سكنت القبور أتت لتضع أشواك اليأس على قمم القبور . هى معى فى النعيم والشقاء فى اليقظة والنوم ، فى الوحدة والسكون ، فى الحياة والموت . هى معى فى كل مكان .

(نشوه ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٦)

رفقة من المصطافين مثلى كنت فى غنى عن لقائهم فى تلك الساعة . نادونى وأعادوا النداء ولكنى ابتعدت عنهم وأنا أسير على غير هدى حتى وصلت الى بقعة لا أرى فيها الا رمالا صفراء وسماء زرقاء .

هناك جلستُ على الرمل وأسندتْ رأسى بيدى وبكيت . وما زالت تسح جفونى بدموعها الهاطلة وأنا أئن أنين الثكلى الى أن انتصف الليل .

(رأس البر ١١ أغسطس سنة ١٩١٦)

متى أنساها

هى معى فى كل مكان . فى كل جزء من أجزاء فكرى الملتهب ، فى كل ذرة من ذرات قلبى الممزق . فى كل نهر من أنهار دمعى المرسل . ما زلت أراها تعدو خلفى وقد ساقها القدر المحتوم ، ما زلت أشعر بذراعيها تطوق عنقى ، وبقبلها تحرق جلدى ، وبأنفاسها الحارة توقظ فى القلب شيطان الحب الرجيم .

هى معى فى كل مكان . أراها فى الليل وقد ران الكرى على جفونى فأقوم من الفراش مذعوراً ، وأراها فى الفجر وقد تفتحت عيون الكائنات لقدوم الضياء فأرجع لبيتى مقهوراً . وأراها فى الصباح تتبختر

وما لبثت برهة حتى رأيت الموجة كالطود الشامخ يهزها الريح فتضطرب وترغى وتزبد

عرفت الموجة من بين اخواتهـا فهلعت نفسى لمرآها ووقفت كالمصعوق لا أبدى حراكا

رأيتها تدنو فدنوت اليها ومددت يدى كالسائل المحروم فأذا بى أقرأ على صحيفة وجهها سطراً كتبته يد النسيان الناعمة وسجلته مخالب اليأس فرجعت خطوتين الى الوراء وهويت بجسمى على الرمل وصرخت صرخة تراجعت أمامها الامواج

ومكثت برهة وأنا لا أعى شيئاً . .

لقـد انطفأ ذلك السراج الوهاج سراج غرامى . لقد بادت تلك الاحلام التى رافقتها أحلامى . لقد أسدل النسيان ستارة على ماضى هيامى . . وهى . . هى الآن تعيش سعيدة مع سواى تشاطره هناء الحياة وتذوق معه أفاويق الحب والسعادة

ليهنأ ذلك القلب الوديع بطيبات هـذه الحياة وليجد مع من أحله فى سويدائه برد السرور ولذة الغبطة والهناء

أما أنا فسأبقى لهيف القلب كاسف الوجه أفترش الهم وأتوسد القلق واثن تجرعت غصص الكرب وعالجت برحاء الاسى فسأبقى على عهد الوفاء لا تنمحى من مخيلتى صحيفة الذكرى حتى الموت

مكثت أمام الموجة مدة طويلة وأنا حائر الطرف مدله العقل مستطار الفؤاد وما لبثت أن عرفت أصواتاً أعرفهـا تناديني . هؤلاء هم

عودة الموجة

فى مثل هذا اليوم من العام الماضى وقفت أمام هـذه الأمواج المضطربة أشيعها بانفاسى الحارة ودموعى المنهملة

وقفت أمامها وقفة العاشق الذى استوجد الوجد ضلوعه وبرى الشوق عظمه وأودعتها رسالتى التى كتبتها أقلام الصبر بمداد الدموع .

أودعتها الرسالة وأنا أترنح كالشارب الثمل يقعد بى اليأس ويدفعنى الرجاء والأمل . وما ألذ قطرات الأمل الباردة على نيران النفس الهائجة !

تركت الشاطىء بعد أن غادرته تلك الموجـة الشامخة وكلى حنين لتلك الديار النائيـة وذلك العش الساكن الذى كنت آوى اليه مع عصفورتى الهادئة الجميلة

هناك كانت تكلأنا عين الحب وتحرسنا يد العفة والطهارة وهناك شربت مع من أحب كأساً لا أنسى لذتها الى الأبد . مكثت سنة وأنا توّاق للاحبـة أنتظر رد الرسالة وقد ظمأت نفسى للقائهم واهتاجنى الشوق اليهم ، ولكنى وطنت نفسى على الصبر وتجلدت على مضض الحزن الى أن مضى العام ودنا يوم اللقا فذهبت بالامس للشاطىء عند غروب الشمس فى المكان المعين وانتظرت الموجة وأنا كالريشة فى مهب الريح ورأسى كالضباب الأسود يلمع فيه برق الأمل ثم ينطفىء

الكتاب الثاني

الوجدان

مقالات من الشعر المنثور

عليك من هجرانه مسحة   يعرفها المنكوب فى حبه
لا حاقك المكروه فى قربه   ولا رماك الدهر من صعبه
يامن غدا الصمت له عادة   قلبى يزيد الصمت فى كربه
فكن كريما اننى صابر   فالجود كل الجود من ربه

دمع الشفق

فوق خدود الظلمة   تبدو دموع الشفق
قد حملوها لوعتى   وباعثات الارق

أرنو اليها شاكيا   فعل النوى بالجسد
مسترحما مستجديا   بقيه للجلد

كأنها فوق الربى   طيف الاسى والسقم
يخط فى سفر الصبا   ما فى الحشا من ألم

والشعر فى أحزانه   يسكب كأس الأمل
يحمل فى اكفانه   غوامض المستقبل

ابثه فى وحدتى   انات قلب مغرم
يشكو له هجر التى   يوم اللقا لم ترحم

« آخر الديوان »

والزهر في عينه قتاد والشمس في عينه غيوم

∴

وبلبل الروض ان تغنى والناس في دورهم رقود
يخاله اليوم صارخات وخلقها السهد والدموع
والسعد عن نفسه بعيد والدمع في خده نجيع
والنار في قلبه تلظى وقلبه ان خبت وقود

∴

في ذمة الله نفس حر عاشت على الضيم لا تهان
ما راقها في الحياة عيش ولا رعى عهدها صديق
رأت خيار الورى ذئابا يقودها الغدر والعقوق
أودى بها الهجر والزمان لعلها في الثرى تصان

ياقصر الهاجر

تضم في الاحشاء شخص الذى ذرفت دمع العين في حبه
بالله قل لى ياقمر الهوى هل يسأل المحبوب عن صبه
ياقصر خبرنى وكن صادقا عن سرما يخطر في لبه
أثار حربا هولها ظاهر والقلب لا يسلم من حربه
ياقصر لا أعلم ماذا جرى حتى أطلت اليوم في حجبه
ما زال قلبى هائما مدنفا مسترحما يبحث عن ذنبه
يبكى هواه ناسيا أهله وقومه والحر من صحبه
ياقصر كن خير رسول لمن أصبح عز القلب في قربه

يعض الصباح ولست أعـ　　　ـلم منه اسرار الغروب
بئس الحياة إذا جهلـ　　　ـنا كنه ذا الكون العجيب
إن المصائب ريشـة　　　تلهو باوتار القـلوب
أفنى الغرام تجـلدى　　　وفقدت فى أهلى طبيبى
هـذا جنـاه ابى علـ　　　ـى وما جنيت على حبيب

نفثة مصدور

قلبى ترامت به الشجون　　　والدمع فاضت به العيون
هوى بى اليأس من غرامى　　　وعدة اليائس الزفير
والليل لا ينجلى بصبح　　　والنوم عن مقلتى نفور
ياحبذا الموت من صديق　　　فى حبه صادق امين

∴

لا يخفق القلب فى حماه　　　ولا ترى العين من هويت
وينقضى الهجر والعذاب　　　واليأس والشوق والهيام
وترقد النفس فى ظلام　　　يجىء من بعده ظلام
هذا هو السعد يارفاقى　　　ياليتنى فى غد أموت

∴

أموت فى زهرة الشباب　　　كالغصن أودت به السموم
وهل يعيش الفتى اذا ما　　　لم يبق فى حبه رجاء
والمرء ان خانه هواه　　　فعيشه والردى سواء

أنا وأنتِ

بالقلب من جفنيكِ سهم   وبه من الهجران سقم
هذه ابتسامات الحيا   ة لها على خديك وسم
أنا للهوى ذو همة   ولغـــيره أعمى أصم
وسهرت ليلى والجنا   ن بغير ذكرك لا يلم
وكتمت أمرى فى الهوى   والدمع عن حالى ينم
والشاعر المطبوع من   مطبوعه سقم وهم
تم الوصال لغـــيره   وله وصالك لا يتم

— اماه —

الشاعر يخاطب امه

اماه قومى واسمعى   اماه مالك لا تجيبى
أرأيت دمع محاجرى   وسمعت يا أمى نحيبى
هل راع قلبك ما لقيـ   ـت من النوائب والكروب
ان الوجود صحيفة   ملأى باسرار القلوب
خلفتنى للهم فيـ   ـه وللشدائد والخطوب

.:.

اماه انى قد طرقـ   ـت حماك فى اليوم العصيب
أبكى على سعدى كما   يبكى الغريب على الغريب

الظبي النافر

مال عني ومضى   غاضبا ظبي الفضا
لم اطق حبس دموعي   يوم ولى معرضا
تارة يرضى وطو   را التقيه مبغضا
كان لا يألف غ   يري ماله قد اعرضا
لائمي واللوم حـ   ـق انما الحب قضا
لم اجد غير حبيـ   ـبي عن حبيبي عوضا
فاحتمل ياقلب انْـ   ـني لست اشكو مضضا
ليته لو كنت أذ   نبتُ تناسى ما مضى
وأتاني باسمـ   ـا شيقا منتفضا
وارتمى بين ذرا   عيّ مجيبا بالرضى

أخاف

أخاف الشمس توقظ في فؤادي   عرامة ذلك الرجل العنيد
اخاف البدر في الظلمات ينفي   لذيذ النوم عن عين العميد
اخاف الحب ان الحب داء   يفل القلب صيغ من الحديد
اخاف الود والاصحاب اني   اعاف الري من خمر العبيد
اخاف النفس أن ترضى ببخل   اذا ناديتها يا نفس جودي
اخاف السعد والبؤساء حولي   يسامون العذاب من السعيد
اخاف من الوجود وما حواه   ومما سوف أفعل في الوجود

ارجوحة اللاعب

أشكوا الهوى للأمل الخائب ياويحه للنفس من صاحب
كأننى بين الهوى والمنى يوم النوى ارجوحة اللاعب

هديتى

أهدى الى الدمع الهتون والى التنهد والانين
والى الزفير وناره والى التلهف والحنين
والى الشهيق وصرخة الـ مفجوع والقلب الحزين
ماكنت اكتم فى الهوى وأذوق فى ظل السكون

الريح

لعلك ، والآمال حيرى كايمة ، لسان الاسى فى الليل يهتك اسرارى
لعلك صوت الغيب أوصيحة الهوى تردده الاقدار ، أو وحى أشعارى

احن الى الاوجاع

خليلى ما الهجران شيمة معشر بنيت على آمالهم صرح آمالى
وأودعتهم سرى الذى كان قبلهم دفينا كأنى كنت ذاك الفتى الخالى
وشاطرتهم فى العيش لذته التى تقضت كحلم مر فى صفحة البال
هنا أشرب الكاس التى خالط الاسى سلافتها بالدمع ثم عن الحال
أحن الى الاوجاع طوعا وانما يحن الى الاوجاع فى الحب امثالى

حاربتنى منك الخيانة والغدر لعمرى انى صريع نزالك
غير أنى عقدت الوية النصر فكأن الهجران يوم قتالك
شيمتى العفو للذى خان عهدى وكثير من حالهم مثل حالك

ليلى طويل

ليلى طويل ما له آخر يعم قلبى بحره الزاخر
ومقلتى ترعى نجوم السما ينهل منها دمعى الحائر
أأكتم الوجد الذى هاجه منها ابتسام حسنه جائر
إن أنشدت يصغى اليها الهوى كأنها فى روضه طائر
فم هو النبع الذى يستقى منه الهوى والشعر والخاطر
تصدنى عنها فلا أنثنى وقد رمانى لحظها الفاتر
فان نسيت من عاش فى حبها عمداً فانى للهوى ذاكر
نصيبى الهجران فى حبها ياشد ما يلقى الفتى الشاعر

حياتى

حياتى هى الحب والحب دينى وللحب قضيت عمرى شقيا
أمانى فى الحب شىء كثير وما نلت ياقوم فى الحب شيا
عذابى كبير ولولا عذابى لما كنت صبا عفيفاً تقيا
ولى فى الهوى عفة لا تجارى ونفس ترى الموت حلوا هنيا
ففيم الملامة يامن يلوم ولولا الغرام لما كنت حيا

وهل أرى نور الهـدى بعد ما أطفأتِ نور الحق فى ناظرى
عصيت فى حبك بيض المنى طوعا لحب غادر جائر
يابؤرة الآمال ماذا الذى أرجو غـداً من حظى العاثر
وأنت قـبر والمنى جثـة غسلتها من دمعى الحائر
وأنت ياقلب اما ترعوى ولست قلب الفاجـــر الداعر
قد غرك الحسن وفيـه الردى اذ ليس خافى الحسن كالظاهر
والحسن ان أودى به أهـله يغـدو قذى فى مقـلة الناظر
قد كنت مهجوراً فكن هاجرا فالنصر والاسعاد للهاجر
لا تبتئس واخلع لبـاس الهوى والبس رداء الأمـل الناضر

أنت ! !

أنت . أنت التى سرت فى عروقى منك يوم اللقاء خمر جمـالك
نظرة منك قد أسرت بها القلـ ـب فهانت له صعاب وصالك
نظرة منك القت الرعب فيه رعب حب يقوده للمهالك
وابتسام من فيك يشرق بالسعـ ـد لقلب صبا وعذب مقالك
ليس هـذا الا طلاء تولى مسحه للعيون طول مـلالك
عرفتك القلوب بالجود لـكن لم أنل منك غير نار مطالك
ما صفا قلبك الخلى ولـكن قلبى الواله السقيم صغا لك
انت أظهرت لى الوفاء وانى لم أجـد فيك ما يعزز ذلك
فانزعى عنك ذا القناع ليبدو لبنى الحب ما خفى من فَعالك

ولـكنني آليت أن لا أزورها — وان كان فيها السعد يعقبها السعد
اما وعـين الحر والله شاهـد — لقد لذ لى الشوق المبرح والصد
فلا تحسبى أنى أميـل مع الهوى — وأرخى عنانى للدموع التى تبدو
تولى زمان كنت فيـه أخا هوى — أناجى نجوم الليل والليـل مسود
أكفكف من دمعى سوابقه التى — تروح أسى فى صفحة الخد أوتغدو
أُحمّلُ أشواقى الرياح تلهفاً — اليك فتذريهـا الرياح التى تعدو
كأنى غريق والظـلام كأنه — خضم وأنفاسى هى الجزر والمـد
وكنت اذا لاقيتها بعـد فرقة — تجرعت فيهـا اليأس ليس له حد
ألف على خصر الحبيبة ساعـدى — وألثمهـا والخد يلمسه الخد
مضى ذلك العهد القديم وما انقضت — مطالب حب ليس يحصرها عد
ويا قلب لا تجزع فالدهـر صولة — وما أنت ياقلبى جبان ولا وغـد
ويا ابنى قومى وقد جد جدكم — اليكم فتى ان خانه الدهـر يشتد
تألى على فعـل المـكارم بعـد ما — تقاعس عنها يوم قامت به هنـد
ذروه الى العلياء يرقى سمائها — فقد ردت الأقدار من غيب الوجد

حية الخاطر

ياحية تنساب فى خاطرى — هدمت صـبر الأسـد الصابر
رميت بى فى هوة لم تـكن — من قبـل داراً للفتى الشاعر
جعلت مجـدى طعمة للهوى — دعى سبيل المجـــد للعابر
عاديتُ من أجلك كل الورى — فمن ترى بين الورى ناصرى

وما السهد يدنى من تنائى خيالها ... ولا الدمع فى شرع الغرام بشافع
ولا أنا أرضى الوصل وهو بليتى ... ولا الهجر والهجران فيه فواجعى
لعلى طفل اليأس والبؤس والشقا ... ومولود هاتيك الهموم القواطع

أنا وهى

معارضة قصيدة البارودى (هو البين حتى لا سلام ولا رد)

سلام عليها لا لقاء ولا ود ... ولا دمعة فى العين يدفعها الوجد
يعز على نفسى الأبية أنها ... ترق لمن أضحت وليس لها عهد
أظل أسير الحب أرعى عهوده ... كأن الهوى سيف وقلبى له غمد
الى أن أرى طيف الخيانة جاثما ... وراء الهوى يرنو الىّ فأرتد
وأرجع مكلوم الحشى يستفزنى ... الى الهجر مجد لا يعادله مجد
أكتم آلاماً اذا ما تدفقت ... على الناس تغدو والقضاء لها وفد
ويسمع منى الليل صوتاً اذا دوى ... تفزعت الموتى وجاوبها الرعد
وأغدو ولى نفس اذا رامها الهوى ... تثور ، ولى قلب هو الحجر الصلد
وليس الهوى الا المحامد والعلى ... فأوله جد وآخره جد
فان عبثت بالحب هيفاء كاعب ... فليس لنا عن كتم نيرانه بد
نعيش فلا يهتاجنا الشوق والجوى ... سواء لدينا القرب فى الحب والبعد
تعيرنى انى نكثت عهودها ... وما النكث الا شيمة الغيد يا هند
تريدين أن أقضى بدارك ساعة ... تحاربنى فيها لحاظك والقد

حطمت صبرك غارات النوى ودعاك الهجر المذكر الأليم
كلما أرسلت أنات الهوى سكنت فى هجعة الليل البهيم
تسهر الليل وترجو غفوة أينام الليل مولود الهموم

ليلة

وليلة حائرة النجم قد هدّ فيها اليأس من عزمى
قضيتها والدمع لى مدد فكأنه ثوب على جسمى
وكأن قلبى كلما همعت عينى ، خضم موجه همى
قد نحتُ فيها لا أرى عضدا نوح اليتيم يصيح يا أمى

مولود الهموم

أكان الهوى الا الدموع سوابق على الخد والنيران بين الأضالع
ويأس وآلام ووجد ولوعة وشوق الى وجه الحبيب المخادع
لقد كان لى فيمن أحب مطامع فأخمد مجدى نار تلك المطامع
ولكننى ما زلت أعبد حسنها واذكره إن مر سرب السواجع
تلفعت ثوب الليل والليل صامت فما راعنى هوج الرياح الزعازع
ولا هالنى دمع السحاب وقد سقى وأحيى موات الزرع سيل مدامعى
أرى أننى فى الحب أرضى ملامتى واسمع ما لا ترتضيه مسامعى
وأجزع من صرف الزمان وغدره وما كنت تلقاء الخطوب بجازع
وأرقب فى جوف الليالى نجومها وأعجب من تلك العيون الهواجع

يظل الليل مرتجفا ... وما في قلبه ذعر
كمزؤود تروعه ... ليال ما لها فجر
وأيام مضت عنا ... وليس لطيها نشر
مضت عنا برونقها ... وولى خلفها العمر
وهيفاء اذا خطرت ... مشى في أثرها الكبر
هضيم الكشح فاتنة ... كان حديثها سحر
وألثمها وتلثمني ... وفوق رؤسنا الطهر
نأت عني فلا عجب ... اذا ما هاجني الذكر
وعاج خيالها سحراً ... وآنس وحدتي الشعر
رمت أيدي النوى ظلما ... فؤاداً غصنه نضر
الا في ذمة الرحمن ... نفس حرة بكر

كما تشائين

كان ذاك الغرام سهلا وصعبا ... وجفاء من غير ذنب وقربا
كلما رمت هجرها واصلتني ... واذا رمت وصلها تتأبى
أنتِ فتانة ولكن قلبي ... لم أجد مثله على الصعب قلبا
فاذا شئت كان حبي سلما ... واذا شئت كان حبي حربا

عبثا تبكي

أنت كالطائر تشدو كلما ... هتف التذكار بالقلب الكتوم
عبثا تبكي على العهد القديم ... لا يعيد الدمع أيام النعيم

أمشى الهوينا ضاحكا لاعبا	وأعبد الرحمن فى عزلتى
والبحر يرغى مزبدا هائجاً	كضيغم همّ الى وثبة
والقلب فى أمن وفى راحـة	يا خير من يصفح عن هفوتى

الجرح الاول

حيـاة حلوها مر	وقلب خانه الصبر
ونفس فى يد الاوجا	ع لان لبؤسها الصخر
حلبتُ الدهر أشطره	وفيه الخير والشر
فلم أر فى الورى خلصا	يشد بمثله الأزر
وكيف يلذ لى عيش	ولى خصم هو الدهر
يفل حديد بادرتى	وليس لفعـــــله عذر
وهل تصفو مشارعه	ويصحب غيبه اليسر
وتحت ردائه احتجبت	يد فى كفها الغـــــدر
فبين النفس من قدم	وبين طلابه وتر
أرى الايام مظلمة	يتيه بليلها الحر
فلا هم[1] ولا عـــــزم	ولا نهى ولا أمر
عواصف همة سكنت	حواهـا البر والبحر
أيأمل قلب مبتئس	وأيام الهوى غِـير
ويمشى فى جوانحـــــه	زفير رهوه جمـــــر

(١) همة الانسان .

كم ليـلة قضيتُها ساهراً   فوق فراش الحزن والحسرة
اخالنى والهم لا ينثنى   عنى ، غريب الاهل والجيرة
أو جثة القى بها نحسها   فى لجة الآلام والوحـدة
أبث لليل هوى باطنا   وأدمعى تنهـل من مقلتى
وطيفك المحبوب لى صاحب   يحجب طيف الهجر والقسوة
يثير فى النفس بقايا القوى   ويرجـع المفقود من عـزتى
وكنتَ مثلى ذا هوى خالد   عشتَ أسـير القد والنظرة
تحمل من نار الهوى جمرة   يا ويحها للنفس من جمـــــرة
وكم تشا كينا الهوى فى الدجى   وليس غير اليأس من منصت
نسير والألام فى أثرنا   ونتبع العـــبرة بالعبرة
حتى اذا ولّت جيوش الدجى   والفجر مثل الشيب فى اللمة
نعود للدار على بعدهـا   بعد اللتيا ياأخى واللتى
نغالب الدهر على أمره   فى حبنا والدهر ذو مرة
ياصاحبى انى أخوك الذى   ما زال ذا عهد وذا ذمة
لم أنس أياما لنا حلوة   لهفى على أيامنا الحلوة
كأنها والسعد من حولها   أنغام بيض الحور فى الجنة
أو نعمة الرحمن حفت بهـا   ملائك الرضوان والرحمـة
وهل أغض الطرف عن صاحبى   وأنت من قومى ومن أسرتى

* * *

هنـا اذا ما كنتُ فى نزهة   أخالنى أمرح فى ضيعتى

رماه الهوى من قبل أن يعرف الهوى ... فمـــزقه والحب كثر نوائبه
فأرخص دمعاً كان بالامس غاليا ... وقام به صوت الإباء يعاتبه
ويا أيها البيت الذى فيه ظلاله ... ربيت وكم حنت الىّ ملاعبه
لقد كنت مأنوس الديار فما الذى ... رماك به دهر تدب عقاربه
عداك الاولى صانوك من نكبة البلى ... فمن فيك القماه ومن ذا أخاطبه
سقاك ملث الودق فى كل ساعة ... وحياك وحى الشعر بيض كواعبه
أرى كوكب الآمال يبعد نوره ... وليل الاسى والهم تدنو غياهبه
وأصبحتُ مقطوع الرجاء فتارة ... يغالبنى دهرى وطوراً أغالبه
وما سهمتى فى العيش الا مصابه ... ولا أنا أرجو اليوم ما أنا طالبه
تقربت أهل الارض فى كل بلدة ... فلم أر بين الناس خاصا أصاحبه
أبث له ما حز الحب فى الحشا ... ورنق من صفو تداعت جوانبه
فيا قلب صبراً فالحقائق مرة ... ويا نفس ليس الحب قربا أحاربه
ويامن يرى فى العيش أمنا وراحة ... هنيئا لك الكاس الذى أنت شاربه

اعتذار

أرسل الشاعر هذه القصيدة من الاسكندريه الى صديق له فى مصر يعتذر عن تأخير الخطابات

ياحافظا للـــود فى غيبتى ... هل لك أن تصفح عن هفوتى
أنت الذى علمت قلبى الوفا ... وكنت لى عونا على كربتى
ذللت لى الصعب فلم أبتئس ... يوما ، وكنت النور فى الظلمة

يارجال الشعر قوموا وانظروا   صورة للبائس المنهزم
تلك أم أودعت مكرهة   طفلها المحبوب جوف الرجم
وجثت تبكى على جثته   ودموع الموت لم تنسجم
خففوا الوطأ لئلا تزعجوا   شبح اليأس وطيف الالم
تحت هذا الترب نامت أنفس   فى خبوت من عظام ودم
فانظروا مقبرة فى طيها   يرقد المبصر فى جنب العمى
واسمعوا من بابها موعظة   واعبدوا فيها جلال القدم

زفرات الشباب

يراجع قلبي بثه كلما دنا   خيالك فى ليل تغيب كواكبه
وما ارهق الطيف الزيارة بعد ما   أعل فؤادا كاد يندك جانبه
دنا غير هياب وراح محملا   من العين دمعاً لا تجف سواكبه
وطالعنى منه الرجاء هنيهة   فلما مضى مات الرجاء وصاحبه
ولا أنا أسلو فى الهوى من أحبه   ولا يرحم القلب المدنف سالبه
فطوراً ترى وجهى بشوشاً وتارة   يطوف على وجهى من الهم راسبه
وما زلتُ استنشى الرياح لعلنى   أشم شذا من هاجر لا أقاربه
نأى عن ديارى بعد أن خلّف الاسى   لقلبى وهل يحنو على القلب غاصبه
فهل رحمة فى القلب يطفئ بردها   أوار فؤاد حطمته مصائبه
فؤاد اذا التاث الصديق رأيته   يسابق وفد الريح شتى مصائبه
يقيم على عهد الوفاء حياته   ويزور عن دار الغواية جانبه

حبيبتى والأسى فى القلب مكتمن ... يغشيه دمع على الخدين ينهمر
انى وربك لا أسلو الهوى أبداً ... وكيف أسلو ومالى عنك مصطبر
ان تنكرى سهد عينى فى الغرام اذا ... جن الظلام فعند الأنجم الخبر
ان كنت أنظم فيك الشعر مرتجلا ... فذاك وحى فؤادى جاء يعتذر
اليك أرسل آياتى التى نطقت ... عما تكتمه الآمال والفكر
لا تأخذينى بأقوال الوشاة ولى ... قلب يحبك ما فى صفوه كدر
قلب ترامت به الأشجان تسلبه ... صفاءه وبه الآمال تحتضر
لو كنت أركب أهوال الحياة لكم ... ففى غرام الغوانى يركب الخطر
قد كان لى أمل فى العيش مكتمل ... أودى به الهجر والتبريح والذكر
جودى بعفو يعيد الروح فى جسدى ... بعد الممات فمنك العفو ينتظر

صورة من صور الليل

الأم الثاكل

وقفت تبكى وما من سامع ... غير آذان الظلام الأقتم
لا ترى فى ظلمة الليل اذا ... نظرت ، غير قبور جثم
تصدع الظلماء منها صرخة ... خرجت من قلبها المنهدم
تقرع الصدر وفى القلب أسى ... شق ذاك القلب شق الجلم
تلطم الوجه بكف أسود ... وتناجى جثـــة المخترم
واذا ما صرخت جاوبها ... من فم الأقدار صوت العدم
هى والأقدار تجرى حولها ... جثة فى موجها الملتطم

قم على الغصن وغن واهتك السر الدفين
ردد الاحزان عنى يا صدى القلب الحزين

عرش الحداد

انى بنيت لمن أحب وللهوى عرش الحداد
عرشا قوائمه الهمو م وتاجه شوك القتاد
والدمع فيض نواله يجرى على جثث العباد
واليأس كوكبه المضى ء لتائه حران صادى
من أمه مسترحما أصمت حشاشته العوادى
كالليل مسود الجوا نح لا يحن لذى سهاد

***

هذا هو العرش الذى حطمته هذا فؤادى

استعطاف

حبيبتى نحن قوم لا يغيرهم صرف الزمان فان عاداهم صبروا
عاشوا على الضيم أحراراً غطارفة سيان ان ملكوا الدنيا أو افتقروا
لا يأبهون لذى بطش يناوئهم يغشى ديارهم والليل معتكر
يحمون عرضهم فى كل ملحمة ما خانهم فى النزال القلب والبصر
المجد رائدهم والصدق شيمتهم والحب عندهم يحلو به العمر
فكيف ننقض عهداً فى محبتكم وكيف نعرض عمن حبها قدر
والحب ان هاجه بعد وموجدة فانه النار لا تبقى ولا تذر

الطائر السجين

طائر فوق الغصون خاشع الطرف العليل
هو فى سجن الشجون لا يرى عنه بديل

كلما هز الغـــرام منه شوقا للحبيب
جاءه طيف السقام يقرع القلب الكئيب

قام فى الليل البهيم يملأ الليـــل نواح
هو والحب الظلوم ريشة بين الرياح

ان شـدا بين الحقول هب فى الروض النسيم
ومضى فوق التلول يحمل الذكر الأليم

صوته ، والدمع يجرى حائراً فوق الخدود
فاضحا لليل سرى ، بعض أنات الوجود

عله ، لمـــا استبدا أمل القلب وطارا ،
شبح الهجر تبـدا ساعة ثم توارى

خاله رمز غرامى لابسا ثوب الظلام
نابشاً قبر سقامى صائحاً أين المنـــام

طائر العشاق ، صبراً إن نأى عنك المرام
قد بلوت الناس طراً فعلى الحب السلام

قد ضللت السبيل طوعا وما كنـ ت قديمـا تضل ذاك السّبيلا
قد أطلت المقـام فى دار ذل كيف ترضى المقام فيها طويلا
غرك الحب وهو برق كذوب فتصبر انى وددت الرحيلا
كيف تنسى وقد خلقت أبيـاً أن للمجد صولة لن تزولا
نحن نأبى يا قلب تلك الدنايا فـكفانا فى الحب قالا وقيلا
نحن قوم على العلاء فطرنا لا تكن للعلاء ذاك المزيلا
أنت أولى بالانتصار اذا ما جرد الحب سيفه المسلولا
ليس عاراً اذا قضيت شريفاً انما العـار أن تعيش ذليـلا

الشفق

أنت دمع النهار فى صفحة الكو ن يحى فى الليل سراً خفيًّا
أنت دار الأسى وقد ما وجدنا فيك للشعر مهبطاً أبديا
أنت كنز للحب أودع فيـه حلك الشعر حبه العذريا
صامت أنت تسمع الطير فى الرو ض يغنى للنيل لحناً شجيا
يسمع الليل حين تبدو أنيننا لنهار قضى حزيناً شقيا
أنا أبكى وأنت تبكى وقد ما قد بكينا هذا الغرام سويا
لست تبكى الوجود والناس لـكن أنت تبكى خلف النخيل عليا

والحب قيد ثقيل   وقد عهدناك حرا
والحب ذل وقد ما   أبيت للذات أمرا
والناس أخدان غدر   وأنت بالناس أدرى
رضيت حب فتاة   تبدل اليسر عسرا
لها فؤاد جديب   العار فيه استقرا
تسقيك باللحظ خمرا   حتى تمايل سكرا
والدمع فى مقلتيها   ستر يحجب سرا
والابتسام تراه   فتحسب الورد شعرا
يخفى عن العين كيداً   منه المطامع تترى
فكيف تهوى اليها   وأنت أرفع قدرا
تصبو لها من قديم   وما صبوت لاخرى
يدب فيك هواها   فيملأ القلب سحرا
فكيف تبعد عنها   وقد جهلت المقرا
وأنت صب عليل   من حبها لست تبرا
قت فؤادى انى   وجدت عيشى مرا
نشدتك الله نفساً   عاشت على الضيم بكرا

ويك قلبى

ويك قلبى متى أراك صؤولا   بعد ان كنت مستكينا عليلا
عاندتك الاقدار بعد التصافى   ورماك الهوى فصبرا جميلا

لا يعرف اللأواء إلا فتى　　تذيقه الايام ما يؤلم
سيان فى عين الفتى المدعى　　ماء جرى فوق الثرى أو دم

يلومنى قومى

يلومنى قومى على حبها　　واللوم لا يجدى ولا ينفع
يرموننى بالضعف لكنهم　　لم يجرعوا الكاس التى أجرع
وما دروا أن الهوى قاهر　　قضاؤه فى الناس لا يدفع
ولا رأوا أسطر هجرانها　　تخطها فى خدى الادمع
ولا رأونى فى ظلام الدجى　　وقد نبا عن جسمى المضجع
أبث لليل هوى خالداً　　والليل لا يحنو ولا يسمع
أردد الاشعار فى جوفه　　كطائر فى سجنه يسجع
أعلل النفس بنيل المنا　　والصب بالآمال لا يقنع
انى فتى لم يدر طعم الكرى　　ان يهجع الموتور لا يهجع
وان شدا البلبل فى دوحه　　يذوب وجداً قلبه الموجع

صبرا فؤادى

صبراً فؤادى صبراً　　فأنت بالصبر أحرى
كانت أمانيك بيضاً　　فأضحت اليوم غبرا
وكنت كالماء عذبا　　واليوم أصبحت جمرا
أضافك الهم حتى　　ألفت همك دهرا

ياغرفة الحب القديم تحيـــة مالى أراك حزينة للمجتلى
ياغرفة الحب القديم تحيـــة قد طال فيك ظلام ليل أليل
يا طالما شاهدت خير مواقف للحب بين معانق ومقبل
هلا ترين تفجعى وتلهفى أوتسمعين شكايتى وتذللى
مالى أسائلك السعادة والهنا وظلام هذى الدار لم يتحول
مالى أرتل عند بابك خاشعاً آى الغرام كراهب متبتل
أبكى كما يبكى اليتيم وقد بدا منى نذير الشر للمستقبل
وأحن للزمن القديم مردداً سرى وأعبس للزمان المقبل
وأرى ونار الذكر تأكل مهجتى فعل النوى بجبينك المتهلل
انى وقفت عليك سيل مدامعى فاذا وهبت لك الحشا فتقبلى

الضحايا

أسمع فى الليل نواح الألى رماهم المقـدور فاستسلموا
يبكون والرحمة فى سجنها مشلولة الاعضاء تسـترحم
تئن والاغلال فى جيدها وساجن الرحمـة لا يرحم
يمشون واليأس امام لهم يقودهم والحب يبكيهـم
والبؤس يمشى خلفهم ، والأسى يهزهم والنـاس لا تعلم
تلمح فى أعينهم جذوة من نار يأس فى الحشا تضرم
سميرهم شعرى وقد جاءكم لينقل الشكوى لـكم عنهم
وسوف لا يسمع شكواهم من يحبس المال ولا يندم

ان أضام قد جفوت
فوجودى قد غدا كالعدم

الدار الحزينة

مر الشاعر على دار كانت مهد هواه فخاطبها :

دار الهـوى وعـلالة المتعلـل ... هل أنت باعثة الغرام الأول ؟
قد ذقت فيك من الصفاء كؤوسه ... دهرا وعشت عن الوجود بمعزل
ألهو وأهزأ بالزمان وصرفـه ... والغدر فى طى الزمان المقبل
صـفرت بك الريح الجموح لعلها ... ترثى غراما فيك لم يتبـــدل
ضرب الفراق عليك سود خيامه ... وسقاك من يمناه كأس الحنظل
نعق الغراب بساحـة لك طالمـا ... فى الليل أطربها نشيد البلبل
وأنا ببابك واقف متأمل ... فيما دهاك وهل يفيـــد تأملى
الزهر حولك قد علته كآبة ... يشكو النوى ظمآن لم يتبلل
يرنو الىَّ وقد أفاق هنيهـة ... يحنو على ذاك الخيال المقبل
ويئن فيـــك الحب أنة عاشق ... قد كنت فى عينيه أطيب منزل
وعليك من هجر الأحبة مسحة ... تبدو لعين الشاعر المتأمل
تترنح الاشجار فيـك كأنما ... يهوى بها داء الفراق المعضل
ذبلت زهور مانسيت جمالها ... والحب طى أضالعى لم يذبل
والماء جف وكان يجرى ضاحكا ... متدفقاً كعزيمة المستبســـل
أرويك بالدمع الغزير لو انه ... يحيا النبات بفيض دمعى المرسل

وأناجى كل نجم
وظلام الليل مسدول الخمار
لا يداجى نضو هم
فهو أم لضحايا السقم

***

أنت ياليل صديق الشاعر
قد شهدنا كل حسن
صاغه فيك ابتسام الصابر
فابتسمنا تحت غصن
وعرفنا الصبر بعد السأم

***

يابنات البحر قد عز المنال
فألام لا نلاقى
من تهادت فوق أمواج الخيال
وعلام فى المآقى
سفكت دمع الهوى المنصرم

***

إيه يامن لاترى صورتها
فى المنام أين أنت
أنت يامن ، إن دنت ، شيمتها

قلت لليـل وقد وافى الظلام — وانبرى للناس سلطان المنام
وارتدى البدر جلابيب الغيام — مثل وجـه باسم خاف لثام
(انى ياليـل صب لا ينام — وحرام أننى فيك أضام)
فأجاب الليـل والناس نيام — (لا يلام الحسن والصب يلام
ليس هجر الناس فى الحب حرام — فاحتمل بلواك ان عز المرام)

***

قلت للموت وقد ضاع الامل — وانقضى صبرى وما وافى الاجل
وعرفت الهجر قدماً والعزل — وحرمت الشهد من تلك القبـل
(أنت ياموت دواء للعـلل — وأنا ياموت ظـــــل منتقل)
فأجاب الموت والقلب امتثل — (حكم الحب فقل لى ما العمل
ليس لابن اليأس عنه مرتحل — قد غدا اليأس لذى اليأس أمل)

خواطر الوحدة

سكن الليـل وقلـبى ثائر
وعيـونى لا تنـام
وانقضى صبرى وحظى عاثر
وشجونى والظـلام
نسـجت للقلب ثوب الألم

***

أسمع الألحان من موج البحار

حرمت من القبر الذى كنت ربه	وما كان ذا الحرمان قصد المشيد
وما هو الا ثأر شعبك ناله	جزاء وفاقاً فاحتمل وتجلد

* * *

أناجيك يافرعون لو كنت سامعاً	(ويأتيك بالاخبار من لم تزود)
وما الشعر الا وحى نفس كريمة	لها فى مجال الشعر أعظم مقصد
فان كنت يافرعون فى القبر ظامئاً	لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد
بأنى قلت الحق لم أخش لائماً	وما خفت ذا بأس ولم أتودد

حكم الحب

قلت الفجر ونور الروض فاح	وتولى الليـل من وجه الصباح
(اننى يافجـــــر مهضوم الجناح	ليس لى يافجـــــر للعيش طماح
قد حسبت الهم كأساً فيه راح	بعد أن القيت فى الحب السلاح)
فأجاب الفجر بالحق الصراح	(لا تطل شكواك من تلك الجراح
كن اليف الشجو تستجد النواح	فشقاء الناس فى الحب مباح)

* * *

قلت للصبح ولى الصبح ابتسم	وفؤادى عضـه ناب الألم
وعيونى فى هواها لم تنم	وجرى دمعى كما تجرى الديم
(اننى ياصبح صب ما اجترم	حافظ فى الحب ما تقضى الذمم)
فأجاب الصبح والحب حكم	(كن أسيراً للذى فيك احتكم
ليس لابن الحب عندى معتصم	اذ هناء الناس فى الحب حلم)

* * *

أقمت على الصحراء قبرك خالداً ... بناه لك الشعب الذى لم يخلد
بنى لك اهراماً كأن صخورها ... صحائف فيها الظلم أكبر مشهد
بناها بلا أجر سوى الجهد والطوى ... ورويتها من دمعه المتجدد
كأن العذارى حول اهرامك التى ... بنيت ، قرابين تساق لمعبد
وما النيل الا دمعهن جرت به ... مطامع ذى بطش به الظلم يقتدى
وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضباً ... فذابت مياه الخوف من كل جامد
وقومك يا فرعون حولك خشع ... تماثيل لم تثأر ولم تتوعد
ولم تدر ما يخفى الزمان لاهله ... ودهرك يافرعون أكبر معتد
سقى نفسك الكأس الاخيرة بعدما ... رماك بسهم فى الفؤاد مسدد
قضيت ولم ينفعك ما كنت جامعاً ... فنمت على الغبراء غير موسد
سللت سيوف البغى جذلان ضاحكا ... فقال لك الموت الزؤام ألا أغمد
فأغضيت طرفاً تحرق الصخر نارُه ... ونكست رأساً هابه كل أمجد

***

وأغمدت سيف الظلم فى الغمد رغما ... وما كان من قبل الممات بمغمد
وساويت ترب الارض لم تمنع الردى ... وكان الردى من قبل طوع المهند
تناجيك أرواح الضحايا وقد بدا ... لها منك عجز الحاكم المتشدد
وما عهدت من قبل دمعك جارياً ... ولا عرفت منك الخضوع لاصيد
وشعبك أضحى يوم موتك صاخباً ... كبحر من الاقوام مرغ ومزبد
يهلل جذلاناً ويهتز ضاحكاً ... ولولا جلال الموت هزك باليد
وألقاك فى الصحراء طعمة جائع ... من الوحش والعقبان فى كل فدفد

خوفو فرعون مصر

وأسأل وأنا غير شاعر بمرور الساعات صدى
ما آويهم القديم عما تبقى له من رنين أصواتهم
(هوجو)

نظرت الى الا كوان نظرة معتد ودانت لك الارواح فى قبضة اليد
هزئت بأسرار القضاء وحكمه كأنك تدرى ما سينفذ فى الغد
تطيعك قواد الجيوش جميعها ويخشاك يا فرعون كل مسود
كأنك والارواح حولك سجداً وما كانت الارواح قبل بسجد
رسول المنايا ترسل الروع فى الورى وتخلع قلب الصابر المتجلد
اذا شئت صار الصبح أسود حالكا يضل فؤاد الناسك المتعبد
وان شئت صار الليل أبيض ناصعا يسير على أنواره كل مهتد
وان شئت يغدو سيد القوم عبدهم وان شئت يغدو العبد أكبر سيد
وقلبك حار العقل فى كنه سره ورأسك رأس الاسود المتوقد
وما الرعد الا صوت فرعون هاجه من الناس ذو جرم على الناس يعتدى
وما البرق الا نظرة منه أومضت بليل من الاهوال أقتم أسود
وما الريح الا زفرة من زفيره تروح على الصحراء طوراً وتغتدى
فيا لك من ملك اذا هم أبرقت نواجذ عزرائيل يوم التوعد
ينقب عن ذكر العواقب جهده وما ذاق يوم الفتك طعم التردد

كان أنطنيوس صباً مغرما فانقضى الحب ومات المغرم
مات والآلام تستهدفه والأسى يلهو به والتهم
مات مكلوم الحشا منتحراً ناقما طورا وطورا يندم
هو والخنجر فى أحشائه شبح لليأس يعلوه الدم
جاءه نعى التى فارقها حية يسعى اليها الكرم
لم تكن ماتت ولكن هالها موتها والصب حى ينعم
أين من ضحى لها أوطانه لم يعض القلب منه الندم
صائخا للحب لا يرعى سوى عهده ذاك الاثيم المجرم
خان روما مستبداً ناسيا إن ركن الحق لا ينهدم

***

كيف تحيا ربة الحسن وقد مات من كانت به تعتصم
عقها الاعوان فى نكبتها مثلا للغدر ياويحهم .
ليس فى الناس وفىٌّ صادق فهم ان ماتت الدنيا هم
ايه كليو بطره اليوم انقضت عنك آمال وزالت أمم
أنت فى القصر خيال زائل وهو فى العين مخيف مظلم
أنت والارقم يرنو جائعاً حية يرنو اليها أرقم
لاتظنى ان فى حسنك ما يسجد الليث له يسترحم
إن أوكتاف جرىء قادر وله النيل ومصر مغنم
وجمال العهر ماض ذاهب وجمال الطهر لاينعدم
وابتداء الحى منا عدم . وختام الحى منا عدم

فهو كالليث يبكى يائساً وحرام أن يضام الضيغم
انما الدمع لسان ناطق يتولى قلب من لا يرحم
غير ان الدهر سيف حده قاطع فيه القضاء المبرم

***

وقفت فى ساحة القصر وقد وقفت فيه قديماً تظلم
ترسل الدمع على الخد دماً والأسى فى رأسها يرتطم
لاترى فى يومها السعد وقد حجب السعد غمام مرزم
فاذا الصبح أتاها ضاحكا هالها منه سواد اقتم
واذا الزهر رنا مبتسما وجدت فى الزهر ناراً تضرم
تسمع الجيش يلبى ربه ليس فى الجيش أصم أبكم
كل مغوار يرى الروح فدى لبلاد فى حماها يكرم
وترى الاعداء هبوا للوغى وعلى النصر جميعاً أقسموا
زمر ماجت كبحر مزبد قادها من للردى يقتحم
أسد لايرهب الموت وهل يرهب الموت الجرىء المقدم
فكأن الارض ميدان بهِ كل حى ثائر منتقم
خافت العقبى وما الخوف سوى صارم يقطر منه الالم
هى بين النصر والاسر غدت شبحاً قد غاب عنه الكلم
أسلمت للشك قلباً هالماً فهو من أظفاره لايسلم
نادت الموت وما هابته اذ كل عيش بالردى يختتم

***

وما هو إلا مثل عزمى تجسمت ‏ نواصيه حتى بات يستلفت الرائى
كلانا مدى الايام فى مصر خالد ‏ له إن دنا ليل منارة أضوائى
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائياً ‏ فها أنا فى مصر ولست الفتى النائى
فيابلداً يجرى به النيل ضاحكا ‏ ويهتز جذلاناً يحاول ارضائى
لئن ناصب المقدور نفسى حروبه ‏ وهشم من عزمى بواتر امضائى
فما أنا ممن يرغم الدهر أنفه ‏ ولا أنا ممن يستكين للأواء
سيخضل منك الزرع بعد مماته ‏ ويخصب ظهر الأرض فى كل صحراء
وعدتك مجداً لم تر العين مثله ‏ وسوف ترى عيناك يامصر ايفائى

النهاية

وقفت كليوبترا تنتظر لانطونيوس يحارب اوكتافيوس وخافت الهزيمة فعزمت على الانتحار وهالها ان تموت وحيدة فأرسلت لانطونيوس تخبره بموتها فبكى وطعن نفسه بخنجره ومات شهيد غرامه فلما وافاها خبر انتحاره أسلمت نفسها للثعبان وماتت قبل أن يأسرها اوكتاف .

يا ظلام النفس رفقاً بالألى ‏ ظلم الدهر وقدما ظلموا
رقدوا فى ساحة الهم وقد ‏ كانت الدنيا لهم تبتسم
قد طوى الدهر سماء لمعت ‏ لهم من قبل فيها أنجم
جفت الخمر ففى الكأس دم ‏ وكذا الدنيا خمور فدم
تكسوا الطرف وقد لاحت لهم ‏ صور عن سعدهم تزدحم
ندموا عما جنت أيديهم ‏ حيث لا ينفع يوماً ندم

الفجر الاول

لمحمد علي بمصر

غريب بهذى الدار لكننى اذا … رأيتك خلت الدار مهبط ابائى
تلوح لعينى والظلام ترددت … جحافله ما شئت فى أعين الرائى
فيشتد منى العزم والناس نوّم … عن المجد تلهى نفسهم خمرة الداء
إرادة نفسى من عصيرك انها … لنورك ظمآى فارو غلة أحشائى
اذا خاننى صبرى أخالك واقفا … تعيد رجائى من سناك بايماء
فأرجع للجلى وبى منك شعلة … تنير طريقى فى منابت آرائى
يتيم ولكنى همام فليس لى … من الاهل الا البأس بدد أعدائى
شغوف بمن تعلى المخاطر قدره … فسيان صبحى إن هممت وامسائى
لئن كنت أميا فلست بمحجم … عن العلم إن العلم مصدر نعمائى
أصيخ لصوت المجد فى كل ساعة … وما أذنى يوم النداء بصماء
وقفت كأنى للعيون سحابة … اذا هزها ريح تفيض بأنواء
فدهرى أمام العزم منى كأنه … غريق وذاك العزم أمواج دأماء
ستكتب فى سفر الحياة وقائعى … ويقرأ أهل الارض معجز أنبائى
ألا أيها النثل الذى فاض خيره … على أمة مهضومة الحق معطاء
أرى فيك يامرآة نفسى صورة … من المجد تهدينى لمنبع سرائى
وياهرماً ترنو الىّ ملبياً … ندائى وفى أحشائه سر عليائى

هدموا بنيان ودى وانمحت منه الرسوم
ومليك الليل بر هو لى أم رؤوم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

* * *

أنا من أدران صحبي طاهر القلب سليم
أجد اللذات تترى إن دنا الليل البهيم
فأرى وحي طروبا بين هالات النجوم
منشداً شعرى وانى لست أدرى ما يروم
ومليك الليل يدنى من فمى خمر النسيم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

* * *

لا أرى فى الصبح إلا كل غدار أثيم
وأرى فى الليل سعدى يحمل الخير العميم
هو فى عينى نقى ناصع صافى الأديم
وبه صحبي كثير بعد ان كنت اليتيم
ومليك الليل يحيي ما غدا منى رميم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

* * *

أنا يا ليل أناجى منك سلطانا رحيم

القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى فيه النسيم يجاوب الاطيارا
طرب المحب لشدوها متبسما للشمس وازداد الوقور وقارا

* * *

حى الصباح معدداً حسناته وانس الهموم وصاحب الاقدارا
واذا مررت على الغدير فقف به تلفيه قد تخذ الزهور شعارا
فاركع وهلل للطبيعة خاشعاً واذكر هناك الواحد القهارا

سلطان الليل

أنا يا ليل أناجى منك سلطاناً رحيم

* * *

من بنى جسر الأمانى فوق أمواج الهموم
واحتسى من كاس ودى خمرة الخل الحميم
يطفئ النار اذا ما هاجنى الذكر الأليم
يرسل الرحمة تنفى قسوة الشوق القديم
صادق الوعد كريم وعلى الود مقيم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

* * *

أنا فى الدنيا وحيد ولى الناس خصوم
راقهم ان جد أمر برق غدر لا يدوم
ورأيت الغدر نارا ورأوا فيه النعيم

الصبح أقبل

قم من سباتك وانظم الاشعارا ... فالصبح أقبل والظلام توارى
لك من شعاع الشمس وحى قادر ... سلب العقول وحير الافكارا
ما أنت إلا صوته ترك الألى ... عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
تشدوا على فنن الوجود مرتلا ... آياته وتداعب الازهارا
بين القلوب وبين صوتك ألفة ... وجدت لها بين القلوب قرارا
فكأن من نبرات صوتك رحمة ... جعلت ظلام البائسين نهارا
جفت مآقيهم وكان لبؤسهم ... سيل جرى من دمعهم أنهارا
فالبؤس بين الناس طير نائح ... أبكى قلوب البائسين وطارا

* * *

تهتز من طرب ولست بحتاس ... خمر الشفاه ولا خلعت عذارا
فكأنما ألقى الزمان قياده ... طوعا لوحيك لا يريد فرارا
ما تلك الا قبلة الاشعار فى ... ثغر الصباح تزيده أنوارا
لله در الشمس غازل ضوءها ... للناظرين الطير والاشجارا
كست الجبال مع الوهاد سبيكة ... من عسجد والنهر سال نضارا
فمن الفؤاد تحل عقد هموه ... وعن الطبيعة تكشف الأسرارا
فى كل قلب هائم من نورها ... أمل الوصال يحرك الأوتارا
يا شمس غادرت الحقول ضحوكة ... وتركت أمواج البحار حيارى
رقصت لنورك تسترد رضاءه ... عنها وقامت تبسط الاعذارا

الليل أقبل

الليل أقبل والمنام حرام أتنام عين ماؤها الآلام
لا تستبين العين نور رجائها والنور فى عين البئيس ظلام
روح يروعها الاسى ويثيرها نار لها بين الضلوع ضرام
اليأس رائدها وتلك مشيئة للدهر لا نقض ولا ابرام
ما العيش الا عبرة مهراقة فى طيها الأوجاع والأوهام
داء الحياة له النفوس فريسة ودواؤه بين الورى الاحلام
والسعد برق كاذب ومزاره لابن الحقيقة فى الحياة لمام
إنا تكتمنا الحقيقة علنا نحظى بسعد . اننا أنعام
يابؤس من لا يستقر فؤاده يا سعد من يهديه الاستسلام
نلهو ونضحك للوجود وليتنا نبكى الوجود لاننا أيتام
ما نحن الا كالذئاب فعيشنا غدر وفيه تقطع الارحام
كل امرئ يلهو بعرض صديقه وسلاحه الاغراء والاقسام
واذا نصحت أخاك أنت عدوه فكأنما نصح الفتى أيلام
والشر سلطان النفوس كأنه سر الهناء وللوجود دعام

* * *

ماتلك الاخاطرات أخى أسى نضو الفؤاد حياته أسقام
يقضى سواد الليل يرقب نجمه والنجم ليس بصفحتيه سلام
ألف الهموم فبئس ممن يشتكى للناس حربا فى الفؤاد تقام
هو ذلك الطود الذى كمن الأسى فى جوفه ما دامت الايام

أمس واليوم

زمن الأنس تولى وانقضى   حاملا ما كان لى من أمل
مرّ كالسهم ووافى غيره   فشربنا الصاب بعد العسل
هيجت ذكراه قلبى مثلما   هيج الصبَّ نواحُ البلبل
لم أزل أشعر بالوجد الذى   أشعلته نار تلك القبل
كل ما نهواه يمضى عاجلا   ليته يمشى بنا فى مهل
كل شىء حائل عن شكله   تلك فينا سنة للأزل

* * *

سلب الدهر هنائى اننى   لفعال الدهر لم أمتثل
عقنى الاخوان إذ قد جهلوا   اننى عن غيهم فى شغل
أأقضى العمر أرجو ودهم   بين عذر منهم أو عذل
أنا بين الناس طير صادح   نائح فى عرصات الطلل
أنا ذاك الليث لا تغضبه   وثبات الذئب وقت الكلل

* * *

إيه يا دنيا أما من ساعة   ألتقى فيها بنور الأمل
أودع التعس حياتى صحفاً   خطها من دمعى المنهمل
أبنو الدنيا هم الأوهام أم   أنا فيهم لم أكن بالرجل
هاكم السعد بهم متصل   وبمثلى بعد لم يتصل
راحة الانسان من كد ومن   نصب يوم انقضاء الأجل

أسرع وخذ روحى ولا ترحم فليس لدى صبر
يا موت لا ترحم شبا بى انه والله مر
أمن المصائب لى فؤا د أم من الاحزان عمر ؟
ما ذا لقيت من الحيا ة وما بها شىء يسر ؟
ان الحياة لمسرح والناس اشباح تمر
والعيش عندى صفحة عنوانهـــا لؤم وشر
فمن الشدائد للمتا عب للشقا — أين المفر ؟

الذكرى

تهز قلبى بعد رقدته كالريح هزت جانب العلم
تمشى الهوينا فى جوانبه كالفجر يطرق حالك الظلم
ترمى به من نارها شررا فتثير فيه رواقد الهمم
وسمعت منها يوم أن طرقت قلبى رنين الهجر والسقم
فكأنها نبع يفيض بما يحويه قلب الصب من ألم

* * *

وتعيد من ماضى ما شهدت عيناى من بؤس ومن نعم
وتضيئه من بعد ظلمته فكأنها تحييه من عدم
وكأنه صحراء مجدبة ظمأى اقطار الصيب العرم
وكأنهـــا نهر تعهدها بالجود من اساله الشيم
أو جنة الماضى قد انبثقت منها لنفسى زهرة العدم

النجم الآفل

دفنوها فى الترب يوم الوفاة ... فوق فرش من الحصا ورفات
لا أنيس لها سوى وحشة المو ... ت وصوت الظلام فى الحجرات
وبقايا من همد لا يفيقو ... ن ونوح الارواح فى الظلمات
ودموع تجرى على القبر حيرى ... وأنين يفيض بالحسرات
تركوا آية المحاسن والد ... ل بدار السكون رهن الممات
يلمس الترب جسمها وهو غض ... بعد لمس الشفاه بالقبلات
وترى عينها الظلام وبالام ... س تلاقت بأجمل النظرات
أهى فى القبر فى ارتياع من الوحـ ... ـدة والبعد جمة اللفتات
أم دهاها من هوله ما دهاها ... من جلال وخشعة وعظات
أم تراها والقبر ظمآن روت ... ارضه من لآلىء العبرات
أم تراها لاقت من الارض اما ... وهبت جسمها لذيذ السبات
هى فى القبر وردة سوف تفنى ... كيف تحيا الورود فى الحفرات
قد غدت والهناء عنها بعيد ... بين اهل الثرى بغير حماة
أسدل الموت، والممات ظلوم، ... ستره بينها وبين الحياة

ظلام النفس

أسرع وسدد فى الطريـ ... ـق خطاك ان العيش غدر
أسرع فانى يائس ... اذ ليس بين الناس بر

قد رشفنا منها النعيم ولكن　　قد شربنا من بعده كاس صاب

. . .

فى اديم الغبراء تذهب عنى　　من حياتى أدران من ثم صحابى
هى امى خرجت منها صغيراً　　واليها بعد الممات ايابى
قبلة من تراب ام حنون　　هى خير من اثم حلو الرضاب
وعناق الاحجار فى الترب اولى　　من عناق الاصحاب والاحباب

. . .

ان فجر الدموع يتلوه عندى　　يوم ارسلتها مساء اكتئاب
ما تلا فجرها لمثلى صبح　　كيف يتلوه وهو رهن المصاب
ضاع نصحى وضاع منه رجائى　　فى صحابى وضاع قبلا عتابى
رب خل فى صدره كل غدر　　وخداع يلقاك بالترحاب
يتبدى من عينه وهو يرنو　　فى ظلام الريا لظى الارتياب
لا ينيل الوفى فى العيش الا　　ما ينيل الظمآن لمع السراب
لا يغرنك من صديق خؤون　　اسود قلبه بياض الثياب

. . .

يا صاحبى ولست اول حر　　عاندته الاقدار فى الاصحاب
قد جهلتم أسرار قلب أمين　　فاعذرونى ان ضاع فيكم صوابى

باع الوجود ومن به ومن الوجود تحيرا
قد عانقته فأسكرتـ ـه وما تناول مسكرا
من ذا الذى لا يرتضى فى الحب ان يتغيرا
واذا رأى ذل الهوى رفض الهوى واستكبرا
عشق الطبيعة يوم ان لبست لباساً أخضرا
والشمس تاثمها كما لثم الكبير الاصغرا
واذا دنا الليل البهيـ ـم وجاء يعثر بالكرى
يتوسد الصخر الاصـ ـم مفكراً متذكرا
من ذا الذى قد هاله دمع الفقير اذا جرى
من ذا الذى يبكى الأما نة والوفا بين الورى
هذا الذى ليست له نفس تباع وتشترى

الشاعر الغضبان

هيئوا لى فى باطن الارض قبراً ودعونى انام تحت التراب
فى ظلام القبور راحة نفسى ومن النور شقوتى وعذابى
وادفنوا فى التراب ديوان شعرى فوق قلبى المملوء بالأوصاب
فيه مكنون ما احتواه جنانى وعزيز فراق ذاك الكتاب
هو بعضى فهل اموت وأنسى فى ظلام الحياة نور شبابى
وانثروا فوقه الزهور وحسبى من شذاها منابع الآداب
هى رسل الهوى تذكر قلبى بشفاه ذوات حسن عذاب

قد كنت فى البستان بهجته   تلهو بما فى الجسم من حس
تصدح بالالحان مغتبطاً   تحرك الاشجان فى النفس
يصغى اليك الكون مستمعاً   ما قلت من جهر ومن همس
والحب يسمع منك ما وجبت   له قلوب الجن والانس
والبدر فى كبد السماء بدا   كالملك ذى الجبروت والبأس
لو سمعتك الشمس سائرة   لكنت توقف دورة الشمس

. . .

قد راعنى والليل مقتبل   يا طير انك فاقد الحس
الحب عرس للأنام وقد   فارقته يا زينة العرس
موتك سفر فيه قد كتبوا   ما فى ممات الطير من درس

نفس الشاعر

من ذا الذى عشق الخيا   ل وهام فى حب الورى
نصب الزمان له الشرا   ك فما اشتكى وبها ازدرى
من ذا الذى يمشى على   قمم الجبـــال مفكرا
وينام فى غار الوحو   ش ممددا فوق الثرى
أو فى الفضاء وفيه يفـ   ترش النبات الاخضرا
لم يخش برداً قارصاً   فيه ورعداً زمجرا
كلا ولم يخش الصوا   عق والسحاب الممطرا
والمادة الشعر التى   وهبته ملكا اكبرا

يا ليتنا نرجع مجداً مضى   لا تعزب الحيلة عمن يجد

***

تدوسه الزوار من هابط   أو صاعد غر عليه صعد
قد استبدوا ونسوا مجده   (كأنما القادر من يستبد)
كأنه لم يك قبر الذى   كان اخا مجد بعيد الامد
حق على الزوار ان يسجدوا   يا سعد من فى ظله قد سجد

***

يا دارس التاريخ قف خاشعاً   فعمدة التاريخ هذا الاسد
يا باحثاً عن مجد دهر مضى   وجدت فى الاهرام ماتفتقد

البلبل الصامت

فارقت ربع الحى بالامس   وغدوت طى صفائح الرمس
غادرتنا والليل معتكر   والقلب نهب مخالب اليأس
والنفس والهة وقد لعبت   خمر الشقا والنحس بالرأس
مضى زمان كنت مسعده   وجاء دهر الهم والتعس
فشربت كأس الحزن مكتئباً   حتى جرعت صبابة الكأس
آنرت قلباً كله شجن   سكنته دهراً ظلمة البؤس
آنسته وأزلت وحشته   ياويح ما فى القلب من أنس
وهجرته فبكاك من جزع   متهدماً كالمربع الدرس
علك تشجى فى الثرى طرباً   أرواح قوم فى الثرى خرس

كلا ولا حنت الطيـ   ـر ناح فوق غرائس
كانت تهاب جلالها   عين الشجاع الفارس
وغدا ستقطعها وتقـ   ـلعها يمين الفارس

الهرم الاكبر

منكد الحظ كثير الجلد   يخاله الرائى خيال الأبد
مسدد النظرة فى قومه   مهشم المفرق عارى الجسد
لم تبكه الاشجان لكنه   مقطب الوجه حليف الكمد
قد أرسل النيل رسولا له   يبحث عن مجد قديم فقد
كتاب تاريخ قرأنا به   عن مصر أهوالا تهد الجلد
أعادت اللاهى الى رشده   وأوقدت فى القلب نارا تقد
ويجتلى الناظر من بابه   فى ظلمة الليل شعاع الرشد
ومصر لا تعرف الا به   كأنه عنوان هذا البلد
لســـانه أبكم لكنما   تخاله يصرخ فيمن رقد :
« من نام عن نيل العلا ما ارتقى   ومن مشى فى الارض سعيا وجد
وصاحب الهمة يعلو بها   وكل كسلان عدو ألد »

* * *

يطوف فى أرجائه صارخا   جيش من الارواح جم العدد
أرواح فرعون وأنصاره   من شيدوا مجدا متين العمد
أضاعه أبناؤهم بعدهم   وعز مجد ضائع لا يرد

لم يخفف عنك نيران الجفا　　غير دمع فوق خدىّ انسجم
غير انى قد أبيت الذل اذ　　أنت الذى علمتنى هذا الشمم

* * *

رحمة بالقلب يا ربى اذا　　ما ظلام اليأس بالقلب التطم

* * *

يا مقر الحب يا نبع النهى　　أنت ميدان التصافى والالم
كتبت أقلام تذكار الهوى　　فيك أسرار الغرام المنصرم
لم تنل منك المساوى غيرما　　نالت النيران من بحر خضم
لم يروّعك خليـل خائن　　اذ وفاء الناس حلم لا يتم

* * *

منك سعدى وشقائى لا تكن　　قاسياً، اذ أنت خصمى والحكم

شجرة على شفا الموت

أوراقها فوق الثرى　　آمال صب يائس
والساق بين الزرع تحـ　　ـسبه جبين العابس
وكأنهـــا لسوادها　　شبح الفقير البائس
مهجورة من طيرها　　والطير خير مؤانس
فكأنما وكناتهـــا　　دمن بليل دامس
سكتت وكان حفيفها　　نغم الحبيب الهامس
صماء لم تعبأ لزمـ　　ـجرة السحاب الراجس

النرجسة اليانعة

فوق قبر الشاعر

يا زهرة تنمو وتيـ نع فوق قبر الشاعر
لا غرو إن غذا شبا بك منه حسن الخاطر
فالشعر يبعث كالزهو ر من الجمال الباهر
هلا حملت لروحه أرج الحبيب الهاجر ؟
حرمته صفو حياته الحـــاظ ظبي نافر
فعلام ترمى قلبـــه بسهام لحظ فاتر ؟
يا بيت شعر من فتى أضحى رهين حفائر
قد أخرجته من الثرى نفثات ذاك الساحر
يا قبـــلة جاءته من ملك كريم طاهر
نزلت تؤانس فى الترا ب شهيد حظ عاثر
إنى أخالك فى النها ر شعاع حب زاهر
وأخال أنك فى الدجى عين المحب الساهر
أنت ابتسامة غادة لقدوم صب زائر
تحوى خفايا الحسن تكـ شفها لعين الناظر

القلب

موضع الوجدان فى أجسامنا ودليـــــل للرزايا والنعم
لم تحكم فيك أسياف العدا وبك المحبوب يا قلب احتكم

ما دمت الا برهــــة ما الهجر من طبع الكرام
لك فى الخدود بقية عنوان صب مستهام
وبنيت قبرك فى قلو ب العاشقين أولى السقام
يا من قصــــير عمرها لم يأت طيفك فى المنام

اللقيط

فوق الثرى أبصرته نائما يئن من جوع و برد شديد
عليه ثوب أبيض لم أجد فى طيه أسرار ذاك الوليد
كأنه من حسنه وردة ترشقها الحسناء بين النهود
تلفيه لا يعرف ما يبتغى هل يعرف ابن الامس ماذا يريد
يرنو الى ليل طويل الكرى مسترحما ، والليل باغ عنيد
كأنه والليل من حوله وفى ظلام الليل موت اكيد
سفينة تهوى بلا منقذ وبحرها الجائش هذا الوجود
قد حرمته الام تحنانها والصدر والثدى ولثم الخدود
ينساه فى البؤس أب ظالم فى دهره يحظى بعيش سعيد
يعيش لا يعرف من أهله كأنه فينا شريد طريد
والله عار يا رجال النهى أن يظلم القانون هذا الشهيد
العدل يا من شاقه وجهه فى هذه الدنيا رهين القيود

أسراره نجهل مكنونها   يهتكها البدر اذا ما سفر
في هجعة الليل ومن سره   يستولد الليل عقول البشر
هل يعجب العقل اذا ما رأى   في ظلمة الليل شموس الفكر

* * *

في صدره يهجع أهل التقى   ويسهر الصب يناجي القمر
في صدره تضحك بنت الهوى   وضحكها عنوان ذاك الكدر
في صدره يقتل من قد رأى   في عيشه الضنك وذاق الضجر
يخـــاله السارق ثوبا إذا   رماه تلقاه عيون البشر
ويجزع الصنديد خوفا إذا   رآه بين القبور انتشر
يموت في اليوم ويحيا به   هل يهزأ الليل بحكم القدر؟

دمعة عين

يا قطرة قد اسكنت   في القلب عاصفة الهيام
ذاقت عيوني بعد أن   أرسلت لذات المنام
وطردت من فكر الفتى   المهجور أشباح الحمام
من أي نبع قد بعثت   لعين صب لا تنام
حملتك من دار الهنا   ء أكف أحلام الغرام
يا وردة من جنة   فيها الطهارة والوئام
كيف ارتضيت لقاء ظا   مة دار ذل وانقسام؟
أحمات في أوراقك البيضاء أنوار السـلام

لم ينس دار الحب اذ	لديارة تلك الذمم
ويرى الحقائق عابسا	ت والمسرة كالحلم
ويخال من فرط الأسى	ان الوجود هو العدم

ضحكات طفل

طفل أتانى ضاحكا فرأيت من	ضحكاته وجه الحياة تبسما
أصغى لها وكأننى مستقبل	فى ظلمة الليل البهيم الأنجما
لو كان يسمعها مليك ظالم	لبكى على احكامه متندما
أو كان يرسمها المصور خلتها	لجمالها وشى الربيع منمنما
تحنو لها أوتار قلب مظلم	لم يلق فى نور الحقيقة مغنما
والشاعر المطبوع يحسب انها	ألحان طير فى الرياض ترنما
وكأنها كخرير ماء بارد	يطفى به الظمآن نيران الظما
وتعيد فى قلب الكبير شبابه	وتزيده فى كل يوم أنعما
وترد فى بيت الحزين شموسه	فكأنه من قبل لم يكن مظلما

الليل

قد أودعته الناس أسرارها	كأنه للسر نعم المقر
الحانه تقبيل أهل الهوى	وهمس من يحلو لديه السهر
ونوح محزون شكا همه	يثير شكواه حفيف الشجر
يزيدها البلبل من لحنه	ما شاءه البلبل وقت السحر

شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذى زال ابتسام العيش عن ثغره
قد ودع الآمال لا يرتجى منها سوى الراحة فى قبره
مقطباً ان شمته خلته ... مستجمعاً ما جال فى فكره
يطلب خلا صادقاً واعياً يهدى له ما شاء من سره
يرنو الى أم جفاها الكرى تنتظر المجهول من أمره
يبحث عن صدر اذا ضمه أباد جيش الموت من صدره
كطائر ذى شجن صامت أبعده المقدور عن وكره

الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجدي د كأنه بحر خضم
يلهو الرجاء به كما تلهو به أيدى الندم
متلفتاً عن جانبي ه يخيفه يأس أصم
متذكراً لغة بحر ك شجوه منها النغم
يمشى الهوينا مطرقاً للأرض يدفعه الألم
كم ليلة فاضت دمو ع الحزن منه كالديم
ويهيجه فى ليله من وجده طيف ألم

شعار صاحب الديوان

الشعراء فى مصر ينقسمون الى قسمين :

الاول يحبذ المذهب القديم ، والثانى يتمسك بالمذهب الجديد .

أما صاحب الديوان فشعاره :

المذهب القديم جميل ، والمذهب الجديد جميل .

المذهب القديم جنة فيحاء ، والمذهب الجديد جنة فيحاء .

والشاعر طائر لا يعرف داراً ولا موطناً يتنقل من غصن الى غصن فان راقت له جنة القديم غرّد فيها وان أعجب بجنة الجديد سجع فى دوحها .

ولا عجب لو وجدناه يغنى فى جنة ثالثة يحل فيها عن نفسه قيود الفن والقافية ؟

محمد تيمور

مقدمة

ما هذه الا نفثات ضاق بها صدري فنطقتُ بها شعراً ، فان كانت تصل الى أعماق قلبك أيها القارىء الكريم وأنت تتلوها لنفسك أكون قد بلغتُ الغاية التي من أجلها طبعتُ هذا الكتاب ؟

محمد تيمور

اهداء الديوان

لروح عائشة تيمور ارفع هذه النفثات

ابن أخيها

محمد تيمور

الكتاب الأول

ديوان تيمور

خاتمة

لقد أتممت الكتابة على محمد تيمور - تاريخ حياته وأعماله — فأعلن صراحة انني كتبت ما كتبت كنقاد لا كأخ. اجتهدت أن أظهر لمن يعرف محمد تيمور ومن يجهله صورة نفسه وصورة أعماله. مكتفياً بتلك الصحفات القليلة التى لا أعتبرها فى الواقع غير مختصر ضئيل لا يفى بالمقصود تماماً ولكنها كافية فى الوقت الحاضر لأن تعين القارئ على معرفة الفقيد وترشده الى مؤلفاته. فاذا كان هناك نقص أو زلل فالعصمة لله على كل حال؟

محمود تيمور

من أثر تعاطيه الكوكايين فيرتمى على الارض وهو يهذى صارخاً باكياً ثم تفيض روحه بين يدى والدته التعسة فيقضى المسكين على نفسه بنفسه. ويقف يسرى باشا الرجل العاقل الذى حنكته التجارب يقول واعظاً ومتحسراً : (ادى أخرتك ياللى ما تحاسبشى على نفسك ولا على شرفك، أدى أخرتك ياللى تمشى فى السكة اللى ما يرجعش منها حد . . .)

وتنتهى الرواية بهذا القول

. . . .

والآن وقد قرأت مايهمك أيها القارىء عن رواية الهاوية . عرفت مضمونها وتعرفت بأشخاصها وتصورت فى مخيلتك مشاهدها ألا تشهد لتيمور بتلك القوة الفنية الهائلة التى استطاعت أن تخرج رواية جمعت فيها قوة التأثير على الجمهور ، وقوة التحليل النفسانى التام وبث الحكمة الغالية والنقد الاخلاقى الصحيح ، واظهار صورة حية لبيئة مصرية كل ذلك فى دائرة الفن الراقى

بهذا نجحت الهاوية ونجح تيمور ميتاً كما نجح من قبل حياً ؟

زوجته ويسألها بحدة عما كانت تفعله أمس وفى أى مكان قضت عصر يومها. وبعد جدال عنيف تعترف له بكل شئ. وهنا تبدأ حكمة الرواية تتجلى فى كلام الزوجة المدافعة عن نفسها، المتهمة زوجها بتهمة الاشتراك فى جريمتها فتقول فى ذلك ما يأتى :

(أنا أعترف بانى مذنبة. اعترف بانى ارتكب جريمة استحق عليها الموت. لأن الست اللى تحاول انها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت ولكن اعرف انى ما نيش أنا المجرمة الوحيدة. فيه شخص تانى كان يدفعنى بأيديه للهوة العميقة اللى كنت رايحه أقع فيها. واعرف انك انت الشخص ده . . . ! عمرك ما خلتنى أشعر بانك جوزى. صحيح أنا كنت طايشه وما كنتش عارفه أقدر حق الزوجية. لكن ربنا مادّانيش زوج يهدينى ويورينى الواجب. كان واجب عليك أنك تهدينى وترشدنى للصواب بدال ما تسيبنى أهوى وتروح تخبص وتلعب قمار وتسكر وتعمل كل موبقة تزرى بشرفك وبقيمتك.

أنا ما عرفتش شفيق لا فى الدكاكين ولا فى الجزيرة ولا فى مصر الجديدة ولا فى التياترات. عرفته هنا فى بيتك وقدام عينيك. ومين اللى قدمنى له ؟ حضرتك زوجى العزيز اللى شايفاه قدامى دلوقتى يبكى على شرفه وعرضه .)

وهكذا استطاع تيمور أن يلخص كل روايته فى كلام هذه الزوجه الشاكية، المتهمة، المدافعة.

يسمع أمين هذا الكلام فيزداد هياجه وتنتابه نوبة اختناق حادة

خالى الجيب من المال ويخبره عن غير قصد انه أخذ من شفيق أمس ثلاثة جنيهات أضاعها على الخمرة والنساء فيندهش أمين ويسأله هل قابل شفيق أمس وكيف كان ذلك وهل لم يسمع فى مدة وجوده فى منزل شفيق حركة غير اعتيادية أو همس أو ما أشبه ، ثم يندفع أمين ضاحكا هازئاً ظاناً انه يهزأ بصديقه مجدى لانه كان فى منزل شفيق ولم يعرف أن أخته كانت فى الوقت نفسه هناك . فيعجب مجدى من ضحك أمين واستهزائه به ويسأله عن سبب ضحكه فلا يجيبه فيطلب منه أن يخبره كيف علم بوجود حركة غير اعتيادية وهمس وما أشبه عند شفيق أمس فيندهش مجدى ويغرق فى الضحك هازئاً برفيقه الذى كان هناك وكان يجهل أمر زوجته الساقطة التى كانت تخونه مع صديقه فيعجب أمين من اندهاش وضحك مجدى ويسأله عن سبب ذلك فيطلب منه الجنيه أولا فيعطيه أمين طلبه ولكن مجدى سرعان ماينال بغيته حتى يريد الهرب من سؤال حرج لا يستطيع أن يجيبه عنه وكيف يخبر أمين بوجود زوجته فى منزل شفيق . يحتد أمين ويطلب من مجدى أن يخبره بالحسنى فلا يرضى فتنتابه نوبة الكوكايين ويجعل يسب ويشتم مجدى متهماً إياه بالسقوط والنزالة والسرقة ثم تزداد حدته فيقول له جهاراً « هل تعرف أين كانت أختك بالأمس . انها كانت تخون شرفها عند صديقك شفيق » فيحتد مجدى مكذبا ذلك ولا يسعه الا افشاء الحقيقة الهائلة التى يصعق من هولها أمين

يخرج مجدى مطروداً من منزل صديقه ويهرع أمين فيقابل

ويبدأ مداعبته ولكنها مداعبة باطلة لاتجدى ولاتنفع . لقد أصبحت رتيبه غيرها منذ لحظة . دخلت ذلك المنزل ساقطة وستخرج منه شريفة محافظة على عفافها . لقد هيأ الله لها حوادثاً هائلة فتحت أعينها المغمضتين فرأت هوة الخيانة والسقوط فاتحة فاها لتبتلعها الى الأبد فتصيح قائلة : (آه يا ربى ما كنشى بينى وبين الفضيحة الا شبر واحد . أما صحيح كانت عينيه مقفولة ودلوقتى اتفتحم) وتترك المنزل وهى تقول لشفيق : (دلوقت عرفت انك راجل دون ، نذل ، جبان ، الوداع . عمرك ما انت شايف وشى أبداً)

وهكذا ينتهى الفصل الثانى من الرواية أو المرحلة الثانية من حياة أمين . أما المرحلة الثالثة من حياة أمين وهى الفصل النهائى للرواية ففيها يختم حياته السافلة — حياة الكوكايين والسكر والنساء ويودعها الى الأبد

يأتى يسرى باشا لمنزل أمين فى اليوم التالى لوقوع الحادثة السابقة بدعوة من والدته فيقابل الوالدة ثم الابن ويدور بينه وبين الأخير محادثة عن عزبة أبو (الأحمر) الذى يريد أمين أن يبيعها بثمن بخس لصديقه شفيق فيرجوه يسرى باشا أن لايقبل ويبيعها اليه لانه سيردها اليه كاملة سليمة اذا استرد ثمنها من ريعها فلا يقبل أمين الا اذا أقرضه الباشا ٢٥٠٠ جنيه فى الحال فيرفض خاله ويصر هو على رأيه ، وفى ذلك الوقت يحضر الصديق مجدى زائراً فيخلو به أمين ويتحادثان حديث المجون والخلاعة بين شم الكوكايين . ثم يطلب مجدى من صديقه جنيهاً لأنه

الرأس يترنح ذات اليمين وذات الشمال من تأثير الشراب ، وبعد المصافحة والكلام يخبر شفيق صديقه بأنه كتب اليه خطاب الاعتذار لأنه لم يرغب فى تعكير صفوه مع حسنائه . ولكن أمين لا يقتنع بهذا العذر ويداخله الريب فى كلام صديقه ويلتفت يمنة ويسرة فيرى كاسات الشمبانيا مملوءة ومعدة للشرب فيسأل شفيق ضاحكاً : (وهل عندك حسناء تريد أن تخفيها عنى) فلم يسع شفيق الا الاعتراف بان عنده حسناء ، وهى فتاة متزوجة لا يمكنه أن يبوح باسمها ورجاه بلطف أن يترك المنزل لأن الوقت ليس وقته بل وقت الحسناء ، فيضحك أمين ضحكات ثمل مأفون ويقسم أنه لن يبرح المنزل حتى يعلم اسم الحسناء ويدور فى الغرفة صائحاً ضاحكاً فيقع بصره على مروحة زوجته وكانت تركتها على أحدى المقاعد فيلتقطها ويفحصها ثم يصيح هازئاً برفيقه ويقول : (أنت تريد أن تخفى عنى اسم عشيقتك ولكنى عرفتها) فيهتز شفيق رعباً ويسأله عن معنى ذلك فيقول له أمين ان هذه المروحة لشقيقة مجدى . لأن زوجته ذهبت الى شيكوريل وقابلت هناك أخت مجدى فاشتريا مروحتين متماثلتين لم يكن فى المحل غيرهما ، فيطمئن شفيق ويزول رعبه ويرجو صديقه أن يكتم سره مع الفتاة لأنها أخت صديقهما ، فيوبخه أمين على خيانته لصديقه وبعد مناقشة وجدال بين ثمل وصاح يخرج أمين من المنزل وهو يصيح قائلا (صعبان علىَّ جوزها المغفل . . . . . !!)

يترك أمين المنزل وتخرج رتيبه من حجرة النوم وهى ممتقعة اللون مرتجفة الأعضاء تكاد تسقط من هول الحادثة . فيقترب شفيق منها

أن يفشل فى ساعة انتصاره النهائية وأن يفلت الظبى من عنده وهو ما زال قابضاً عليه بيديه فأقبل عليها يتصيدها من جديد بعذب كلامه نادباً حظه السيء الذى أرسل اليه مجدى فى هذه اللحظة ليعكر عليه صفو سعادته ، ثم جعل يحدثها تارة عن حياتها وما فيها من شقاء وامتهان وطوراً يقسم لها بشرفه عن حبه الطاهر النظيف فتقع الفتاة فى الشباك مرة أخرى وينتصر الغرام الفاسد على الارادة النسائية الضعيفة وتزول تلك الجملة القوية التى قالتها عن نفسها : (ازاى افتكرت فى انى أخون جوزى) ، أجل زال كل شيء ولم يبق فى النفس إلا صورة الأحلام الفاسدة ممزوجة بمناظر حياتها محاطة بهالة سوداء من غواية شفيق القاتلة. وبينما هما يقتربان من كؤوس الشمبانيا يروحان ما بهما من عناء ويدفعان بنفسهما الى عالم اللذة يسمعان وقع خطوات ومشاجرة بين زائر جديد والغلام الصغير

من يكون هذا الزائر وكيف رجع الغلام الصغير الى المنزل يحرس بابه ؟ أما الزائر فكان أمين بك زوج رتيبه — زوج الفتاة التى جاءت تخونه مع أعز صديق له ، جاء أمين بك يعود شفيق لأن الرسالة أخبرته بأنه طريح الفراش يشكو صداعاً ومغصاً ولأن حسناءه التى كان ينتظرها لم توف بوعدها ، أما الغلام الصغير حارس الباب فقد رجع الى الدار من السوق حينما صرف آخر مليم عنده .

تضطرب رتيبه اضطراباً عظيماً حينما تعلم بحضور زوجها فيُدخلها شفيق على عجل غرفة النوم ويقفل بابها بالمفتاح ، ويحضر أمين بك متثاقل

خارجا واذا بالفتاة رتيبة داخلة . . . . وتكون فترة عصيبة هائلة ، يعلم فيها مجدى أى فتاة استطاع شفيق أن يوقعها فى شباكه ، وتضطرب رتيبة اضطرابا ينم عما شعرت به من وقع الفضيحة والعار ، ويغضب شفيق لأن الظروف أتت على عكس ما يشتهى !

وبعد خروج مجدى يجتهد شفيق فى استرضاء رتيبة مؤكداً لها أن ليس هناك ثمت فضيحة ولا عار لأن مجدى من عابدى الدرهم وهو لا يبخل عليه بما يسكت لسانه ولكن تلك الصدمة الهائلة جعلت رتيبة تصحو برهة من حلمها الغرامى فتصيح قائلة : (أنا بسأل نفسى دلوقتى ازاى طاوعتك وجيت ، ازاى فكرت فى انى أخون جوزى) ولكنها تجد ان الذى هيأ لها سبيل السقوط هو زوجها فانها وان كانت مذنبة فالذنب الاكبر قد اقترفه زوجها ، وهكذا نسمعها وهى تخاطب شفيق : (صحيح أنا بنت طايشه ، دايما كنت أجهل واجباتى ، ولكن جوزى ما عرفش أبداً يرجع لى صوابى ، هو اللى خلانى أشوفك ، هو اللى اداك الفرصة عشان تحبنى ، هو اللى خلانى أحبك ، هو اللى اسبب فى انى أجى برجليه لحد بيتك) كلام كله حكم غالية ، نعرف منه ما كان يجول بنفس تلك الفتاة الضعيفة فى ذلك الوقت العصيب الذى أتت فيه لتبيع شرفها وتلحق بنفسها العار الدائم . لقد اعترفت بخطئها وما أوقعها فيه زوجها من المصائب والمحن ، وكادت تنهض بشرفها الذى لوثته بعض الأدران وعقدت العزيمة على ترك ذلك المكان والرجوع من حيث أتت قانعة من الغنيمة بهذا الدرس الأخلاقى الكبير ، ولكن يعز على شفيق

فاذا سأله أحد منهم أجابه على الفور بأن البيك غير موجود . أما اذا أتت سيدة فيفتح لها الباب على مصراعيه . ثم يعطيه قرشا مكافأة له على نباهته وقيامه بالواجب سلفا !! فيتناول الفتى قرشه ويترك الباب بلا حارس ذاهباً الى السوق يشترى بالمكافأة مايشبع به بطنه من مختلف الحلوى ، ويجلس شفيق مطمئنا مستريحا مستعداً لمقابلة المحبوبة ولا يمضى عليه وقت قصير حتى يسمع وقع خطوات فيقوم ليستقبل رتيبه . ومن يأتى خلافها فى ذلك الوقت ، والميعاد ميعادها واليوم لها كله ، فاذا به يستقبل الصديق مجدى فيفزع منه بادئ الأمر ثم يسأله كيف دخل وهل لم ير الغلام الحارس على الباب ، فيخبره بأن الباب بلا غلام ولا خفير ، وبعد محادثة قصيرة يخبره شفيق بأن الساعة ميعاد حضور فتاة تعرف بها حديثا لا يستطيع أن يخبره باسمها لانها من عائلة كبيرة ومتزوجة ثم يرجوه أن يتركه منفرداً لانه لايريد أن يفضح أمر الفتاة ، ولكن مجدى المهزار الثقيل ذا النفس الذليلة الساقطة يمكث بالرغم من شفيق ضاحكا مستبشراً معللا النفس برؤية تلك الحسناء المتزوجة التى استطاع شفيق أن يلقيها فى شباكه فيضطرب شفيق ويحتدم معه واذا بهما يسمعان وقع اقدام فيدفع شفيق مجدى لحجرة النوم و يقفل بابها عليه ويذهب ليستقبل فتاته فاذا بالزائر يسرى باشا الذى جاء ليرجو شفيق أن يتنازل عن شراء العزبة ولكن شفيق لايجد صعوبة فى اخراجه من منزله وارجاعه من حيث أتى . ثم يُخرج مجدى من مخبئه ويرجوه الاسراع فى الخروج فيطلب منه مجدى تعويضاً فيعطيه ثلاثة جنيهات يأخذها ويهم

عليه من الحسنة ! ولكن يسرى باشا خال أمين الذى عقد العزم على نجاة أمين بالرغم من نفسه يذهب متذللا شاكيا لشفيق راجيا منه أن يعدل عن هذا الشراء لأنه يريد أن يشترى هذه العزبة لنفسه ثم يردها لأمين بعد أخذ ثمنها من ريعها خدمة لأمين ومحافظة على ثروته فلا يقبل شفيق ولا يجدى معه رجاء ولا توبيخ . فمن ذلك نعلم أن شفيق الذى يعده أمين صديقه الحميم وساعده الأيمن يريد أن يقضى فى وقت واحد على شرفه وثروته

فى يوم الموعد — موعد حضور رتيبه هانم زوجة أمين لدار شفيق — يدّعى شفيق المرض ويرسل خطابا مع خادمه لأمين يعتذر اليه بعدم استطاعته مقابلته اليوم لأنه مصاب بمغص شديد وصداع ويرجو له نزهة جميلة مع خليلته الجديدة . وكان أمين تعرّف باحدى الحسان وواعدته أن تقابله فى ذلك اليوم ليتنزها سويا فى الجزيرة فعز عليه أن ينفرد بالحسناء ورغب أن يشرك معه صديقه الحميم شفيق حادثه فى ذلك فلم يرفض الدعوة ولكنه اعتذر أخيرا لأن رتيبه واعدته على الحضور فى هذا اليوم . وهى أول مرة قبلت أن ترمى بنفسها فى أحضان رجل غير زوجها . فضحى شفيق موعد أمين ارضاء لرتيبه وكيف لا يفعل ذلك وهو الذى استطاع بعد اربعة أشهر طويلة أن يقتنص هذا الغزال المهجور ويأويه فى داره لينال منه بغيته الفاسدة

يرسل شفيق الخادم بالرسالة ويأمره بعدم الرجوع ثم يوصى الخادم الصغير بحراسة الباب ويأمره بأن لا يسمح للرجال أن يطأوا عتبة بابه

مهملة وغير محبوبة ومدفوعة فوق ذلك بخلقها الناقص الى سبيل الطيش والرعونة . ماذا تكون نتيجة ذلك التعارف ؟ وهل يستطيع أمين الجهول أن يعرفه ؟

هكذا ختم المؤلف القسم الأول من حياة أمين والفصل الأول من فصول روايته . أما القسم الثانى من حياته فيبدأ بعد مضى أربعة أشهر من ذلك التعارف وفيه يفاتح شفيق بك فى غواية زوجة صديقه أمين فيظهر لها بمظهر المحب الذى ضرّم الحب أنفاسه محدثاً اياها عن حياتها البائسة حياة العزلة التى لم تتمتع فيها بالحب ، والحب هو سعادة الحياة ونعيمها

استطاع شفيق بك بحلو حديثه السام وخداعه أن ينفذ فى قلب تلك الفتاة الطائشة سهام غرامه القتال فأصبحت تشعر بميل له وواعدته على الحضور لمنزله ليقطفا ثمار الحب الشهية وينعمان بالسعادة والهناء تحت ظلال الغرام الشريف . . ! واعدته الفتاة على الحضور مدفوعة بعوامل كثيرة — اهمال زوجها وغواية شفيق القوية وطبيعة خلقها الناقص — عوامل ثلاثة تهد جبال الشرف وتقود النساء من ذمامهن الى حيث يضحين عفافهن ويلوثن حياتهن بالعار الدائم

اذا كان شفيق استطاع أن يغوى زوجة صديقه ليأتى على شرفه فقد حدثته نفسه فى الوقت عينه أن يجهز على جزء عظيم من ثروته . فانتهز فرصة افلاس أمين والحجز على احدى عزبه فتصدى لمشتراها بثمن بخس مخجل ، وهو الذى كان يمد يده لأمين بالامس يأخذ ما يتصدق به

تستدعى حكمت هانم والدة أمين يسرى باشا وترجوه أن ينصح ابنها ويهديه سواء السبيل ويحدثه عن ثروته وما يجب عليه أن يفعله ليحفظها من الدمار فلا يكاد يسرى باشا يفتح فمه ناصحاً ومحدثاً ابن أخته حتى تنهال عليه الشتائم والاهانات . أما معاملة أمين لوالدته فمماثلة لمعاملته لخاله وان كانت أقل منها قليلا . ووالدته أم قبل كل شيء . أهملت تربية ابنها شفقة وحنانا عليه فهى من فئة الوالدات الحنونات اللاتى يلقين بحنانهن أولادهن فى وهدة الشقاء ثم يشكون حالهن وسوء حظهن . وما أحسن قول يسرى باشا لها وهو يحدثها عن ابنها وعن شفقتها عليه : (أنا مش قلت لك أن سبب فساد الأولاد هيه شفقة الامهات . أعرف أن شفقة الأم كويسة . لكن أعرف كمان ان شفقة الأم لازم يكون لها حدود . بقى عشان خايفه أن ابنك يزعل تخليه يعمل اللى على كيفه ويفضل ماشى فى السكة دى . . .)

أما أصدقاء أمين فكثيرون لم يظهر لنا المؤلف منهم غير اثنين : شفيق بك ومجدى بك . وهما من اخوان السوء الذين يلتصقون بالشاب الغنى الطائش يمتصون ثروته متظاهرين بالاخلاص والمحبة له وهم لا يضمرون الا الايقاع به والانتفاع منه بقدر ما يستطيعون . يأتى بهما أمين لداره ويشرعون يتحادثون حديث المجون والخلاعة وهم يشمون الكوكايين بين فترة وأخرى ثم يقدم لهما أمين زوجته جريا وراء الحرية التى لا يعرف منها الا اسمها . وهكذا يقود الزوج زوجته لطريق جديد لم تكن تعرفه . شابان من سفلة القوم يتعرفان بزوجة صديقهم — زوجة

المغرم بالكوكايين » — تحليلا تاماً أوضحته مشاهد الرواية ومحادثاتها فأتى نموذجا كاملا لهذه الفئة الطائشة التى كثيراً ما أودت بأخلاقها وحياتها مندفعة فى ذلك السبيل الفاسد بدون روية ولا عقل . ان شخص أمين بك يجدر أن يكون ماثلا دائما أمام متعاطى الكوكايين من الشبان ليأخذوا من حياته درساً نافعاً ينقذهم مما هم اليه مساقون

رواية الهاوية هى تاريخ حياة أمين قسمها المؤلف ثلاثة أقسام هى عدد فصول روايته . القسم الأول شرح فيه المؤلف كيف يعيش أمين مع زوجته وكيف يعامل خاله وأمه وماهم أصدقاؤه . أما معيشته مع زوجته فمعيشة رجل يمضى ليله خارج المنزل يقامر ويسكر ويفنى شبابه بين الكوكايين والنساء ، ويمضى نهاره هنا وهناك محاطا بفئة طاغية من الاصدقاء — معيشة جعلت زوجته المهملة الغير محبوبة أن تتبع هواها ، فنهارها فى مخازن البيع ومصر الجديدة والجزيرة وليلها فى المسارح المصرية والافرنجية . وهاك ماقاله يسرى باشا وصفاً لهذه الزوجة ، وهو يحادث أخته حكمت هانم (والدة أمين بك) : (احنا اتربينا تربية جنس تانى . عمرنا ما شفنا البهرجة ولا الدلع ولا الزينة ولا لحمر ولا لبيض ولا اليشمك ولا حاجة من دى . احنا بناتنا متعلمين ومتربيين يقضوا وقتهم فى شغل بيتهم وفى تربية أولادهم وفى المطالعة مش فى شكوريل وسمعان والجزيرة ومصر الجديدة والتياترات زى مراة ابنك !)

أما معاملة أمين لخاله فمعاملة خشنة شديدة ، معاملة شاب طائش لا يرضى بغير رأيه ولايتبع نصيحة من هم أكثر منه خبرة وحنكة وعقلا .

رواية الهاوية

سمعنا واحدا من أصدقاء الفقيد يقول « لو مات تيمور ولم يكتب الهاوية لقلنا أنه مات ولم يفعل شيئاً ، أما وقد ألف الهاوية فقد خلد أسمه فى تاريخ التمثيل المصرى » . ومع ما فى هذا القول من المبالغة فهو لا يخلو من الحقيقة . لأن الهاوية خير رواية كتبها تيمور وربما كانت خير رواية أخرجها المؤلفون المصريون على المسرح المصرى

رواية الهاوية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول صور فيها المؤلف سيئة لها مساس كبير بحياة العائلات المصرية . تضمنت هذه السيئة ما أتاه المؤلف على لسان أحد أشخاصه يسرى باشا وهى : (مادام الراجل مشغول بالنسوان والخمرة والسهر والكوكايين طبعاً الست راخره تشتغل أولا بالشرابات والمناديل ... وبعدين تشتغل بحاجات ثانية ... !)

بنى المؤلف روايته على أساس داء الكوكايين — ذلك المرض القتال الذى شغفت به الشبان وأقبلوا عليه اقبالا ينذر بسوء المصير . فأتى بشاب من عائلة كبيرة متزوج وله ثروة عظيمة ورثها عن أبيه . شغف بشم الكوكايين ففسدت أخلاقه واندفع فى طريق مهلك سماه المؤلف فى روايته (السكة اللى تودى ولا ترجعش) وهو طريق السهر والمقامرة والنساء ، فيه تتدفق الثروة العظيمة فيخسر الشاب فى وقت قصير ماله وشرفه وربما خسر حياته أيضاً

حلل المؤلف أخلاق بطله — « أمين بك الشاب المتزوج الوارث

ولكن فرحات النصاب خالى الوفاض لا يملك الا الدفع مؤجلا فترجح كفة بليغ . وبينما الكل على هذا الحال اذ يدخل ضابط بوليس يلقى القبض على فرحات لاتهامه بالنصب والاحتيال فيتم الفوز لبليغ وتصفو الاحوال

ما يقصده المؤلف من روايته

كتب تيمور عبدالستار لا ليشرح للجمهور نظرية أخلاقية أو ليعرض عليهم حكمة غالية بل كتبها لمجرد التحليل النفسى لأشخاص الرواية ، وعرض قطعة حية على المسرح ظهرت فيها بأجلى بيان الأخلاق المصرية لطبقة من الطبقات . وهذا نوع الروايات التى تبحث فى درس الأخلاق فحسب « étude de caractère » . فهى والحالة هذه الرواية الأولى من نوعها تجلت فيها دقة المؤلف فى الملاحظة وبراعته فى درس الاخلاق . عاب بعضهم على تيمور أخراج رواية خالية من أى معنى أو قصد ، ولكنهم جهلوا غرضه الأساسى من كتابتها كما جهلوا ذلك النوع الروائى من قبل لتعودهم رؤية الروايات ذات المغزى سخيفة كانت أو جليلة . واذا هم دققوا النظر واعملوا الفكرة وعرضوا أمام أعينهم شخصية كل فرد من أفراد رواية عبد الستار لتجلت أمامهم قيمة الرواية وقوتها الفنية .

سوف يشرق أسم عبد الستار من جديد فى أفق المسارح المصرية حينما تتعدد أمثال هذا النوع فيقر المنكر بفضل هذه الروايه ويعترف لمؤلفها الراحل بمكانته الخالدة

أخلاق الفتى فرحات وفقره المدقع. فيدق قلب نفوسة فرحاً ويزول ما بها من البغض لبليغ. ويأتي عفيفي فتشرح نفوسة له الأمر بمسكنة وذل ليرجع عن رأيه ويرضى ببليغ الشاب الغنى المهذب زوجاً لأخته جميلة. ولكن عفيفي لايرجع عن رأيه ويخبرها بأن كل ما قاله لها عبد الستار كذب وبهتان. وهل تصدق كلام هذا الرجل الماكر الكذاب الذى لا يرعى لزوجته عهداً ولا وفاء. فتطلب منه المزيد فيتفق مع خليلته هانم لتمثل لها دوراً مع عبد الستار يظهر منه خفايا قلبه. فلما يأتى عبد الستار يختبئ الاثنان وراء الستار يريان بعينهما تلك المهزلة الغريبة ويسمعان بأذنيهما اعتراف عبد الستار. تستدرج هانم عبد الستار بخلاعتها ومكرها فيقع فى شباكها ويفتح قلبه لها، فتسمع نفوسة من فم زوجها تلك الكراهية التى خصها بها — تسمع أخبار خيانته لها مع نساء تعرفهن — تسمع لهجته الغرامية مع هانم، فتخرج من مخبئها والنار تأجج فى قلبها وتنهال عليه ضرباً بنعلها ثم تأمر بحبسه فى المندرة الرطبة فيقضى بها ليلة طويلة قاسية. كانت تلك الرواية التى قامت هانم بتمثيلها أمام نفوسة خير برهان يثبت لها كذب عبد الستار وخيانته فأصبحت تعده منافقاً كذوباً وازدادت ثقتها بابنها فأقرته من جديد على زواج فرحات بجميلة. وفى صباح اليوم التالى لحبس عبد الستار يأتى فرحات مع المأذون ليعقد العقد على الفتاة ويأتى فى ذلك الوقت بليغ مزوداً بالمال وحجج الاطيان وتقام فى ذلك الحين حفلة مزايدة بدلا من حفلة القران فيزيد كل من الخطيبين صداق الزوجة ويخص كل منهما نفوسة وعفيفى بأطيان ومال استمالة لهما.

الاكبر . رأينا تيمور يحالل أخلاق هذه الفتاة على المسرح تحليلا مدهشاً من مبدأ الرواية لنهايتها . فكأنه أتى بفتاة جمعت تلك الاخلاق من بيئتها الصحيحة (البلدية) وأوجدها على المسرح لتمثل لنا الحقيقة التامة . فشخصية هانم شخصية قوية أودع فيها المؤلف نفس فتاة متهتكة خليعة من فتيات الطبقة البلدية

موضوع الرواية باختصار

عبد الستار افندى رب البيت يعيش فى منزله تحت سيطرة ابنه وزوجته . يختار لابنته فتى مهذبا زوجاً لها ولكن زوجته وابنه يرفضان ذلك الزوج ويختاران زوجاً آخر من سفلة القوم يدعى فرحات. وكان فرحات هذا قد وعد عفيفى بأنه اذا تزوج أخته جميلة يسعى له فى زواج كريمة المثرى الوجيه عزيز بك فيغتر عفيفى بهذا الوعد الكاذب آملاً أن يحقق آماله الخيالية من طريق الزواج ويحتم على والده بقبول فرحات زوجا لجميلة . ولكن جميلة تحب بليغ وتريده زوجاً لها وتكتشف عن طريق الصدفة خيانة أخيها لها بأن تسمع حديثا يدور بينه وبين فرحات تعلم منه سفالة أخلاق ذلك الخطيب ومكانته الوضيعة الساقطة فى الحياة . وكان عبد الستار يجاهد فى مسعاه جهاد الابطال ولكن بدون فائدة . وتوفى فى هذه الاثناء عم بليغ فورث منه الفتى ثروة لا يستهان بها قدرها ١٠٠ فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب فى البنك فيعم عبد الستار الفرح ويذهب الى زوجته يخبرها هذا الخبر السار ويبرهن لها فى الوقت نفسه بسفالة

شخصية جميلة شرحها المؤلف شرحا وافيا أظهر فيها صورة ذلك العجوز الطيب القانب الصابر على بلواه المخلص لسيده الذى تملأ البساطة نفسه فتراها على وجهه وتسمعها من كلامه وتجدها ظاهرة فى معاملته

جميلة : شخصية جميلة ليست من شخصيات الرواية القوية لأن المؤلف أوجد فيها روحا غريبة تخالف بعض المخالفة روح بنات مصر . فتاة محبة محبوبة تجاهر برأيها فى رفض من اختاره أخوها وتعلن عن رغبتها فيمن تريده زوجا لها . والمعلوم أن بنات هذه الطبقة ليست فيهن تلك الروح الجريئة خصوصا فى مسائل الزواج واختيار الزوج

فرحات : لانجد وصفا له أحسن مما قاله عبد الستار فى سياق كلامه عنه : (فرحات الواد الصايع اللى عامل ديل لاولاد الزوات . دا واد صنعته تخلى الوش يحمر . أنا ما أجوزشى بنتى أبداً من راجل فلاتى . بتاع نسوان ، قمارتى وحشاش ... وكمان يخدم أصحابه ! ...)

بليغ : فتى مهذب ، كامل الاخلاق ، موظف فى احدى المصالح وثروته بسيطة ، محب لجميلة يريدها زوجة له . يتوفى عمه ويخلف له ثروة لايستهان بها قدرها مائة فدان و ٤٠٠٠ جنيه ذهب فى البنك . بهذا المبلغ يفوز بليغ بأمنيته فيهب حماته نفوسه ونسيبه عفيفى بضع أفدنة وبضع دريهمات يسكت بها أصواتهما المعارضة فينقلبان يسبحان بحمده ويلهجان بشكره

هانم : فتاة خليعة مراوغة ماكرة . خليلة عفيفى وساعده الأيمن فى شره . تعبث بمن فى المنزل جميعه ، لاتبقى على سيد ولا على خادم بل الكل فى قبضة يدها . وكيف لا يكون ذلك وسيدها عفيفى حاميها

أن فرحات نصاب وهى ترفض الزواج منه . فرأينا الأم فى ذلك الوقت أما ينبض قلبها بمحبة ابنتها وتحتاج نفسها بطلب السعادة لها فسمعناها تقول لابنتها : (اوع ياحبيبى يابنتى يخطر ببالك أنى أجوزك الواد بتاع الازبكية ده « تعنى فرحات » خصوصا وأن جوزك بليغ بك بكره يبسطك ويشوف كيفك ...) يدل هـذا الـكلام على أن نفوسه اقتنعت بكلام زوجها وقبلت بليغ زوجاً لابنتها . ولكن سرعان ما يدخل عفيفى ويسمعها صوته حتى يتلاشى ذلك الاعتقاد وترجع الى فـكرها الأول معضدة إبنها فى طلبه . والذى يساعد هذا الابن الشرس الوقح على التأثير على أمه أخلاق عبد الستار النسائية وسذاجته الـكبيرة ، فينصب له الابن مكيدة يدبرها مع خليلته الخادمة « هانم » تظهر جميع خفايا قلبه ، فتسمعها نفوسه زوجته بقلب حاقد ونفس شريره ، تسمع أقواله وهو يغازل ويحادث هانم بينما تكون مختبئة وراء الستار فيزول ذلك الأثر البـاقى من نفسها وتنهال على زوجها تضربه بنعلها ضرباً مبرحاً يئن منه ثم تصدر قرارها هى وابنها بحبس عبـد الستار فى المندرة فيقضى المسكين طول الليل يئن ويبكى ويندب سوء حظه وعظم سذاجته . هذه أخلاق نفوسه زوجةً وأمًّا.

عم خليفه : رجل كهل خدم العائلة من قديم ، فهو صديق أكثر منه خادم ، لا يسلم من اهانات عفيفى ونفوسة ولا من مكر الفتاة الخليعة هانم . رجل طيب ساذج . وكثيراً ما شاهدنا الطيبة مع السـذاجة ، والمـكر مع الذكاء . لا يحب غير سيده عبـد الستار لانهما اشتركا فى السذاجة والبؤس . كلاهما ذليل ممتهن يقبـل الذل بصمت وصـبر .

على الديوان . جاى منين ؟ من لديوان ولا تسألنى أبداً عن الكلاب .
« موجها الكلام لأخته » وحضرتك مانتيش سائله الا عن جوازك .
لأ . أخُد ده . لأ . ماخدش ده . . .)

نفوسة : امرأة عامية من الطبقة المتوسطة سيئة الاخلاق جبانة القلب تقسو على زوجها الضعيف وترهب ابنها الشرس . شخصية قوية أوجدها المؤلف فى هـذه الرواية ليشرح أخلاق نساء (أولاد البلد) وعوائدهن ومعاملتهن مع الغير ومبلغ رقى أفكارهن . لابنها عفيفى تأثير شديد عليها ، فدائما فى صفه تساعده على تنفيذ أوامره باطلة كانت أو حسنة . ولقد رأيناها ترضى بمن أتاه لها زوجاً لابنتها ، ورفضت ذلك الذى اختاره زوجها ، لخوفها من إبنها واعتقادها أنه أعلى فكراً وأرجح عقلا من زوجها . ومن عاشت تلك المدة الطويلة وهى تنظر لابنها هذه النظرة المجردة عن الحق رهبة منه وخوفاً على نفسها من بطشه لا نجد فى شخصيتها مغالاة ولا ضعف . رضيت نفوسه بمن أختاره عفيفى زوجاً لجميلة وسمعت الثناء المستطاب من فمه فقابلته بالفرح والاستبشار وتلقت كلامه كما يتلقى الانبياء الوحى فلا نقض هناك ولا ابرام . فكان حظ من اختاره عبد الستار الرفض والطرد والهزء والسخرية . ودام الحال على ذلك حتى اتضحت الحقيقة وأكد لها زوجها أن الفتى فرحات شخص منحط الاخلاق نصاب لايليق ان يكون زوجاً لجميلة . وعززت كلامه ابنته التى كانت عقت هذا الشاب وتميل لبليغ الشاب المهذب الذى اختاره أبوها . فبرهنت لامها ببرهان قاطع

حبسه ابنه وزوجته فى المندرة الرطبة حيث أمضى طول الليل على مقعد من الخشب . أثرت فيه تلك القسوة فانخلع ماتجدد من ارادته واستسلم لأوامر ابنه وزوجته فرأينا جميلة ابنته تصرخ قائلة وهى تجيب عم خليفه ، حليف أبيها وساعده الأيمن : « نرتب ايه ونعمل إيه اذا كان انت وأبويا مافيش فيكو قوه . لا ياعم خليفه أنا حاتكل من هنا ورايح على نفسى وربنا يساعدنى » . تقول جميلة هذا القول بعد ان رأت ان أباها يكاد يتخلى عنها وكانت تعرف حق المعرفة الى أى هاوية مُساقة

عفيفى : ابن عاق سيئ التربية فاسد الأخلاق عاطل من أى عمل ، ولكنه يدعى أنه عضو عامل فى الهيئة الاجتماعية . كيف لا وهو غاوى تمثيل وعضو فى جمعية الرفق بالحيوانات ! وقح شرس يخافه كل من المنزل فهو السيد المطاع الذى لايردّ له أمر ولا نهى . يخافه أبوه وأمه ولا يجسران على معارضته فيما يريد ويطلب . دنئ النفس شرير يتخذ له خادمة حقيرة فى منزله خليلة له ، ويختار لأخته زوجا من المتشردين النصابين طمعاً فى زوجة مثرية وعده بها ذلك الصعلوك الكذاب . مشتغل بتربية بعض الكلاب فى منزله ويكلف أهل المنزل من أبيه الى خادمه — برعايتها وخدمتها . ولا ننسى حدته وغضبه على الجميع حينما يجد أحد كلابه مريضا ، اذ يقول : « ازاى الكلب فوكس يعيى وانتم كلكم طيبين . أنا عارف السبب عارفه . « موجها الكلام لوالدته » حضرتك مابتحبيش كلابى ومش عايزه حد يعيش فى الدنيا إلا الارانب بتوعك . « موجها الكلام لأبيه » وحضرتك عامل صاحب أشغال ، رايح فين ؟

صوته لأول مرة مدافعاً عن ابنته وسعادتها . ولم تكن صدمات الزوجة والابن وقساوتهما مانعة اياه من السعى المتواصل وراء بغيته ، كان يئن تارة ويهدد طوراً . كان يتراجع مرة ويهاجم أخرى . وهكذا جعل المؤلف شخصية عبد الستار مسرحاً لنضال قائم بين الارادة والضعف ، بين العزيمة والوهن . وهل ننسى ما يقوله ذلك الأب المسكين الذى ما دفعه الى ذلك العناد القوى غير حب ابنته ورغبته فى إسعادها : (والله طيب يا عبد الستار . قعدت تخاف وتستر على كل حاجة وعشان كده سموك عبد الستار . لكن عشان خاطر بنتك راح تعمل اللى انت عايزه وبكره يسموك عبد القادر !) وهل ننسى أيضاً معارضته لنفوسة حيث يقول لها بقلب جرىء لم يتعود من قبل غير الرضى والاذعان : (مستحيل ان فرحات ده يجوز بنتى . سامعين ؟ أنا سكت لكم كثير . لكن المرة دى رايح اعمل اللى ما يتعمل) يقول عبد الستار هذا القول الذى يدل على تجدد العزيمة وازدهار الارادة وهو الذى سمعناه من قبل يقول ساخطا على حياته راضيا عن ذله : (والله يا عبد الستار خليت بنفسك شوية من السكاينه اللى رماك ربنا بها « يعنى زوجته » . فى الديوان رئيسك موريك الغلب وفى البيت ابنك مكفرك ومراتك مطلعة روحك ... القصد أديك بقيت لوحدك) . ولكن شخصا نبت الذل فى قلبه وأمضى عمره فى بيئة كلها قسوة وامتهان وخلت نفسه من بذور الارادة الصالحة يستحيل عليه أن يخلق له عزيمة ثابتة ويؤسس له ارادة قوية صلبة . ولذلك رأينا عبد الستار افندى يجبن ويتراجع القهقرى خصوصا بعد أن

لها . ولعل هذه غلطة من غلطات المؤلف التى لم يكن يحسب لها حسابا ،
وكثيراً ماتخطىء ظنون المرء

أشخاص الرواية

(١) عبد الستار افندى : رجل عامى من الطبقة المتوسطة ، موظف في احدى الوزارات براتب تسعة جنيهات ، متصابى يغازل النساء ويفتخر بذلك ، جبان القلب ضعيف الارادة الى حد جعله أعوبة فى يد امرأته القاسية وابنه الوقح ، يأتمر بأمرهما ونهيهما . ولكنه ذو قلب طيب ممتلىء بالشفقة والحنان ، يحب ابنته فوق كل شىء ويطلب لها العيش الرغد والحياة السعيدة . ومن أجل تلك الابنة أراد عبد الستار الذليل المهضوم الجناح أن يرفع رأسه وينادى بخلاص ابنته من هوة الزواج السحيقة التى أراد أخوها وأمها (أى ابنه وزوجته) أن يرمياها فيها . اختار عبد الستار افندى فتى شريف النفس ، مهذب الاخلاق ، كامل الطبع اسمه بليغ زوجا لابنته ولكن ابنه عفيفى لم يرض بهذا الزوج بل اختار شاباً صعلوكا ، دنىء النفس ، مشهوراً بالنصب والاحتيال ، اسمه فرحات ، سعى عند عفيفى هذا المسعى واعداً اياه أن يزوجه ابنة أحد العظماء الموسرين اذا تم له زواج أخته . فرفض عبد الستار هذا الزواج وتشبث بفتاه الذى اختاره لابنته من قبل . وبدأت معارضته من ذلك الحين وكان بالامس يعيش مطأطىء الرأس راضيا بما قسم له خاشعاً أمام زوجته صاغراً لما أمر به ابنه . رفع عبد الستار عقيرته وتجرأ ان يسمع

وكثر الاقبال عليها حتى كادت المسارح الجدية ذات الدرام والتراجيدى تهوى برواياتها الى هوة الافلاس والهلاك . كتب تيمور روايته لغرض أساسى واحد هو اختبار ذوق الجمهور واجتذابه اليه برواية فنية اخلاقية . ذات مشاهد هزلية ونكات طلية عذبة ، وروح خفيفة ضحوكة . حتى اذا أفلح فى جذبه الى هذا النوع الجديد من الروايات الكوميدية أيقن بفوزه على التمثيل الهزلى الخليع المفسد للأخلاق . فجاءت رواية عبد الستار بدعة على المسرح جامعة لاصول الفن ومسببات الهزل والمجون — رواية لا أغالى اذا قلت عنها انها ابتسامة ساحرة من مبدئها لنهايتها ، أخاذة بمشاهدها ، طلية بحوادثها ، خفيفة بكلامها ، عذبة بهزلها ، قوية بنقدها ، تامة بتحاليلها

كان هذا غرض المؤلف من وضع رواية عبد الستار ولكن الظاهر أن تمثيل الرواية فى هذا الاوان كان سابقاً لوقته لان الجمهور فى ذلك الوقت لم يكن قد امتلأ من الهزل الخليع بأغانيه ورقصه ومدهشات مناظره . فلم تعش « عبد الستار » على المسرح وان كان نجاحها فى الليالى الاولى مدهشاً . لم تعش « عبد الستار » لهذا السبب ولاسباب أخرى أهمها ان الجوق الذى مثلها جوق غنائى على رأسه المغنية المطربة السيدة منيرة المهدية . والرواية التى ليس للسيدة دور فيها أو بالحرى الرواية الخالية من أنشودة من أناشيدها كان محكوم عليها بالفشل . وهكذا كان نصيب رواية « عبد الستار » — رواية كوميدى راقية تمثل على مسرح لم يرن فى جوانبه غير غناء السيدة ولم يدو فى ارجائه غير تهليل الجمهور وتصفيقه

بين سطورها . أما الحكمة التى أرادها المؤلف فى رواية « العصفور فى القفص » فقد قالها على لسان أحد أشخاصه (عبد العزيز رضوان) حيث جعله يحادث الجميع قائلاً : « آه . أدى غلطة الأبهات . غلطتنا نشد الخناق على أولادنا حتى لما يعصونا نطردهم » . ويالها من حكمة جليلة مازالت تتكرر على مسرح حياتنا المصرية ولن تزال تتكرر حتى يصحوا الآباء من غفلتهم فيعلمون أن الشدة والقسوة والاستبداد بأولادهم ليست مظهر من مظاهر التربية الحقة بل هى مظهر من مظاهر الحمق والجهل الذين طالما سببا الشقاء الدائم لافراد الاسرة . ولم يقتصر المؤلف على ذلك بل شرح أعمال حسن ولم يقره على ما أتاه ليعلم الناس أن ذلك الفتى قد أتى ما أتاه بحكم الضرورة وقسوة الظروف، فما زواجه لفتاته الا فعلة مستنكرة كان من الواجب أن يحجم عن عملها فجعل عبد العزيز باشا رضوان يخاطب محمود بك وأمين بك رفيقى حسن بالنصيحة الآتية قائلا : « ما تظنوش يامحمود بك و ياأمين بك ان حسن عمل طيب . الظروف كانت قاسية عليه جداً . فأنصحكم انكم ماتجوزوش إلا من جنسكم »

. . . .

رواية عبد الستار افندى

رواية عبد الستار ذات اربعة فصول من نوع الكوميدى الاخلاقى . كتبها المؤلف فى وقت أينعت فيه المسارح الهزلية

المديرية فيهرع الباشا مغتراً الى منزل حسن ويقابل الجميع . فيتفاهم معه عبد العزيز باشا رضوان ويتعهد له انه اذا قبل اقتراحاته فان انتخابه محقق هذه المرة فيقبل الباشا الاقتراحات جميعها وهى تتضمن مساعدة حسن مالياً مساعدة شهرية جليلة وابقاء الوقفية التى كان الباشا عازماً على عملها وفيها يحرم ابنه من ميراثه . فيتم بذلك الصلح بين الولد وأبيه وتزول الضغائن من القلوب ولكن الذى يسبب الوئام الحقيقى وينشر ألوية السلام على أفراد العائلة ليس مجلس المديرية ولا الغاء الوقفية بل هو ذلك الطفل البرىء من كل ذنب فانه حالما يراه جده ويتمتع بتلك الابتسامة المشرقة على جبينه الوضاح ينسى كل شىء ويمتلىء قلبه باللطف والحنان ويشعر بمحبة لم يشعر بها من قبل وهكذا تتمكن روابط الألفة والمحبة وتزداد بين أفراد العائلة من أجل تلك الزهرة النامية ذات العبير الجميل

مايقصده تيمور من روايته

غاية تيمور الاساسية فى كتابة رواياته هى ماذكرناه آنفاً وكررناها عند الكلام على معظم نثره ألا وهى عرض قطعة حية من الحياة المصرية بمناظرها وأشخاصها وأخلاقها وشرح تلك الاخلاق شرحاً يفهم منه القارىء أو المشاهد وجه النقد الذى يقصده المؤلف والحكمة الجليلة التى أرادها وبنى روايته من أجلها . ومن اطلع على الرواية أو ساعده الحظ فرآها من الفرقة التى مثلتها لأول مرة لابد وأنه أعجب بمهارة المؤلف فى رسم اشخاص روايته وفى نقده الأخلاق وبثه الحكمة الغالية

ينتقل حسن الى السكنى فى منزل صغير مع حبيبته مرجريت التى تزوجها. يكسب عيشه من وظيفة متوسطة فى محل الجمال فيعيش عيشة صغار الموظفين قانعا بزوجة محبة له محبوبة منه . وتمضى الايام سراعا فتلد له مرجريت طفلا وضاء الطلعة جميل المحيا يكسب حياة والديه بهجة وسروراً

تأتى والدة حسن لزيارة ابنها ومد يد المساعدة له والتمتع بمشاهدة حفيدها خلسة بدون علم زوجها الباشا وكذا يزوره صديقه أمين ومحمود. ففى يوم والكل مجتمعون فى منزل حسن ينتظرون أوبته من محل عمله ينظرون من نافذة الحجرة المطلة على الشارع فيرون حسن آيباً ومصطحباً معه رجل ملتحى يعرفونه بأنه عبد العزيز باشا رضوان عين أعيان الحكومة ، وقبلة محمد باشا على ومعبوده الذى يعتمد عليه ليساعده فى الانتخاب لمجلس المديرية

يدخل حسن ومعه الباشا فيقدمه لمحمود وأمين ويقدمهما له ثم يبدءون الحديث فيخبرهم عبد العزيز باشا رضوان أن حسن أسدى اليه معروفاً لن ينساه الى الأبد بأن نجاه من الموت تحت عجلات الترام ، وهو يريد أن يجازيه على هذا المعروف بمد يد المساعدة له فى التوسط بينه وبين أبيه وقد كان يجهل الخصام العائلى الواقع بينهما ، فيهال الجميع لهذه الفكرة ويستحسنوا حضور الباشا والد حسن فى الوقت نفسه ليتم الصلح حالا ، ويذهب أمين بسيارته الى قهوة . . . ويخبر والد حسن ان عبد العزيز باشا رضوان يريد أن يراه بخصوص موضوع انتخابه لمجلس

أوقات مختلفة كلها من عشيقته مرغريت تخبره فى أولها انها حامل. وتهدده فى الثانى باعلان ذلك اذا تركها بلا مساعدة، وتخبره فى الاخير انها عزمت على الحضور بنفسها فى يوم عينته له لتفصح عن أمرها أمام عائلته وتطلب المعونة جهاراً لتربية طفله. فتشتعل نار الثورة فى رأس الفتى من جديد ولا يجد أمامه غير رفيقه الحميم محمود فيكشف له سره ويخبره بأنه عقد العزم على الخروج من هذا المنزل والالحاق بالفتاة التى أحبها بالامس والتى يختلج فى أحشائها جنين هو من دمه لان شرفه يحتم عليه مساعدة الفتاة، وأنّى له المساعدة فى هذا المنزل وهو خالى الوفاض قفر اليدين من النقود. فلم يجد محمود غير وسيلة واحدة وهى افشاء ذلك السر الهائل لوالدة حسن علها تتفق معهم على أمر يرضى حسن قبل أن تعظم المصيبة فيعلم الاب حقيقة المسألة من نفس الفتاة التى عينت هذا اليوم ميعاداً لحضورها. فترضى الأم بتقديم المعونة للفتاة وتكاد المسألة بهذا الحل تقترب من النهاية المحمودة ولكن حضور الباشا وحضور مرغريت بعد برهة وجيزة يفسدان الامر فتُعرف الحقيقة وتعلن الفضيحة على رأس حسن يسمعها الجميع بقلوب واجفة، فيزأر الباشا زئيراً مخيفاً ويهم بطرد الفتاة ولكن حسن يتصدى لوالده ويخبره بلهجة قاسية تخللها الارادة وعزة النفس انه لابد لاحق بها اذا قضى أبوه أن يطردها وغل يده عن مساعدتها، لانه لا يرضى أن يكون خسيس النفس وضيعها فيترك الوالدة بلا مساعدة ولا رحمة وطفلة بين جوانحها. فيزمجر الاب ويطرد الاثنين شر طرد وبذا تختتم أول مرحلة من حياة ابنه.

موضوع الرواية

يعيش حسن بك بن محمد باشا على الزفتاوى فى منزل والده عيشة الذل والتعاسة محروما من عطف أبيه ومن مساعدة والدته فيهيم بحب فتاة افرنكية خادمة فى منزله يرى فيها مثال الاخلاص والوفاء . تدفعه قوة البيئة التي يعيش فيها الى هذا الحب الحقير فيندفع فيه بلا روية ولا حساب راض من حياته التعسة ببعض أويقات غرامية وجد فيها ما ينقصه من شفقة وحنان وعطف . فاستمرأ لذتها بنفس شغوفة محرومة من كل مسرات الحياة . يعيش حسن بك غارقاً فى أحلام الحب غير عالم ما يخبئه له المستقبل المجهول من مصائب الأقدار ، فيصحو على ضجة هائلة وفضيحة نارها مستعرة فى أفق منزله اذ ينكشف هذا الحب الحقير لجميع أفراد عائلته فيطردوا أمامه من أحبها وأحبته ليزيلوا ذلك الرجس الذى اتاه ويسدلوا الستار بينه وبين حبه . فيثور حسن ثورة يفصح بها عن آلامه ويتهم والده العنيد الجهول بأنه هو الذى دفعه الى حب هذه الفتاة ، ولكن سرعان ماتهدأ تلك الثورة فتخرج الفتاة من دار الحب ويُسجن الفتى فى بيته يعيش عيشة الذل والمسكنة كالسابق . ويمضى على هذه الحادثة بضعة أشهر وحسن يجتهد فى نسيان الماضى عاملا على احياء مستقبله من طريق الدراسة ولكنه يفشل فى الامتحان فلا ينال شهادة البكالوريا . وفيما هو ساكن هادئ اذ يصله ثلاث خطابات متتالية فى

بالرغم منه فى ذلك المكروه مدفوعا بقسوة أبيه وسوء معاملته له وتقتيره عليه ، ولو كان معزز الجانب محاطا بالرعاية والعطف الأبوى لما زلت نفسه الطاهرة هذه الزلة السيئة)

(٣) محمود بك : شاب من أقرباء حسن ، عاقل مهذب كامل . طالب فى مدرسة الحقوق ورفيق حميم لحسن يفشى له الاخير أسراره ويعتمد على مساعدته . مثال الشهامة والاخلاص

(٤) أمين بك : من أقرباء حسن ، فتى وارث استعفى من المدرسة حديثا وسلك طريق التبذير والسهر ولكنه خفيف الروح ضحوك ينظر الى الحياة نظرة جميلة لايرى فيها كدراً ولا حزنا فهو سعيد بالرغم من الحياة نفسها . يدعى أنه أصبح رب عائلة بعد وفاة المرحوم والده ولذلك وجب عليه التفرغ لمراقبة أعماله بنفسه لئلا يسرقه من هم تحت أمرته

(٥، ٦) « عزيزه هانم ومرجريت » : الاولى والدة حسن ، أم منكودة الحظ فى زواجها . تقاسى عشرة زوجها البخيل الجهول وتحمل آلامه بصبر كبير — هى رمز المرأة الشرقية القديمة . لاتستطيع أن تمنع عن ابنها قسوة أبيه ولا تمنحه الا ماتقدر عليه من المساعدة الطفيفة.

والثانية خادمة افرنجية عطفت على حسن وأشفقت عليه ثم أحبته كما أحبها . فتاة طيبة وطاهرة ولكنها فقيرة

هذه أهم أشخاص الرواية وسنتكلم الآن عن موضوعها باختصار

عن بلده بعد أن سقط فى انتخاب مجلس المديرية — أمنيته العظمى فى الحياة — وسكن القاهرة ليتزلف لبشاوات الحكومة وأعيانها ليتوسطوا له فى الانتخاب الجديد . رجل له ثروة عظيمة لا ينفق منها الا النذر القليل على بيته وعائلته ، وان أنفق شيئاً غير ذلك فجرياً وراء الأبهة والعظمة الكاذبة ليقول الناس عنه انه غنى . مقتر جد التقتير على ابنه حسن ، يعطيه فى الشهر ستين قرشاً ويحرم عليه جلوس القهاوى ليشرب المبردات مثل الكازوزة وخلافه . يقسو عليه كثيراً ظانا منه أن هذه القسوة خير علاج لتربية النفوس . هو رجل من رجال العصر الماضى كلف بالافكار القديمة متعصب لها ، كاره لكل شئ جديد نافع ، يمتهن مثلا مهنة المحاماة والطب ويقبحهما بينما يهلل بالقضاء ووظائف الحكومة

(٢) حسن بك على بن محمد باشا على الزفتاوى : شاب فى المدارس الثانوية حسن الاخلاق ذو اباء وعزة نفس . نشأ فى بيت المذلة والألم فشب يائساً من حياته كارهاً لها . أساء والده معاملته وحرمه من عطفه وقتر عليه تقتيراً مخجلا فسلب منه حب الابن لأبيه وزرع فى قلبه النفور منه . لم يجد حسن فى تلك البيئة العابسة التى تحيط به أحداً يشفق عليه ويشاركه آلامه الا فتاة غربية خادمة ، فأحبها وأحبته ووجد فيها نفسا طيبة وقلبا طاهراً كريما . أحدث ذلك الحب فى حياته بهجة لمعت حينا فى ذلك الجو المظلم ثم أخذت تهب عليها العواصف الهوجاء حتى كادت تمحيها من عالم الوجود لولا عزيمة ذلك الشاب واباء نفسه . لم يكن ما أتاه حسن بحب هذه الخادمة بالأمر الشريف ولكنه سقط

ناطقة . فقد كتب « ماتراه العيون » و « خواطر » و « مذكرات باريس » وقصة « الشباب الضائع » وغير ذلك فصور للقارئ صورة حية ذات لون حقيقى ، وكتب رواياته أيضاً فعرض على المسرح قطعة من الحياة بجوها وأشخاصها وكلامها وحوادثها

الثالثة : قدرته على صياغة حوادث الرواية بدون مغالاة ولا حشو . فرواياته جميعها حية يقظة مملوءة بروح سحرية ورشاقة عذبة . وان شئنا أن نزيد القارئ ايضاحا نقول ان رواياته خالية من المشاهد المملة وهى كما يقولون « محبوكة » وحوادثها دائما آخاذة تجعل المتفرج دائما يقظا منتبهاً متتبعاً حوادثها . وهى فوق ذلك روايات فنّية جليلة توخّى فى تأليفها أصول الفن قبل ارضاء الجمهور وضمنها انتقاده الصحيح عن الأخلاق والعادات المصرية

ألعصفور فى القفص

رواية من نوع الكوميدى ذات أربعة فصول مكتوبة باللغة العامية وموضوعها عصرى عن الحياة المصرية . صحيفة من تاريخ عائلة من عائلاتنا . حلل فيها المؤلف نفوس أشخاصه تحليلا عجيبا وأظهر لكل منهم شخصية بارزة مهمة وانتقد فيها بعض النقائص الاخلاقية الشرقية التى تؤدى غالباً الى كوارث عائلية ربما انتهت بفاجعات مؤلمة .

« أشخاص الرواية »

(١) محمد باشا على الزفتاوى : أحد أعيان الارياف الموسرين رجل

الاولى : كتب تيمور رواياته الثلاث باللغة المصرية (العامية) لأنه وجدها أكثر انطباقاً للحقيقة والواقع من اللغة العربية الفصحى. وقد حاول مرة فكتب روايته الاولى « العصفور فى القفص » باللغة العربية ومثلت بهذا الشكل ولكنه أعاد كتابتها باللغة العامية . وكان رأيه فى مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف بالعامية اذا كانت الرواية مصرية عصرية ، وبالعربية الفصحى فيما عدا ذلك كتأليف الروايات العربية والمصرية القديمة (الكلاسيك) وتعريب الروايات من اللغات الاجنبية وهلم جرا . ونظريته هذه غاية فى الصواب لان الكاتب « الرياليست » أى المتبع المذهب الحقيقى اذا كتب رواية عصرية باللغة الفصحى كان هذا العمل مخالفاً للحقيقة التى ينشدها لأن بغيته من كتابة هذا النوع من الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية ، عرض أشخاص يتكلمون بلغتهم ويعيشون فى جوهم ، عرض حقائق لا عرض خيال . وقد دلّ هذا العمل على جرءة تيمور وشجاعته فى الافصاح عن رأيه لأننا لا نبالغ اذا قلنا أنه أول من كتب للمسرح الجدى روايات فنية باللغة العامية .

الثانية : لقد ذكرنا قبلا أن تيمور كاتب تصويرى بالفطرة ، وقد ساعده فى ذلك ثبوت المرئيات والحوادث فى ذهنه وقدرته على التقليد ولذلك رأيناه فى أغلب كتاباته مؤلفاً تصويرياً يصور لك الحقائق فكأنها هى .

كتاباته صورة حقيقيـة من الحياة وأوصافه تامة ناضجة ، كاملة

المصرية ذات الالوان المحلية ، واحلال هذه الروايات محل المعربة ذات الحوادث والمناظر الاجنبية لانه كان يرى أن نهضة التمثيل فى مصر لاتأتى الا من هذه الوجهة . وقد كتب عن تدهور التمثيل الفنى فى مصر فذكر ان من الاسباب المهمة التى أدت الى هذا التدهور هو اهمال الاجواق تمثيل الروايات المصرية فقال فى ذلك ما يأتى : (... والآن نريد أن نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفنى وأول هذه الاسباب هو تهافت أجواقنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التى لايفهمها المصرى ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعاداته ليس التمثيل هو أن نقدم للجمهور روايات أفرنكية قيمة ومحبوكة الوضع ولكن التمثيل هو أن نقدم للجمهور روايات تبحث فى شؤونه العصرية ليأخذ منها درساً يستفيد منه . . . .)

هذا هو مذهب تيمور وقد سار عليه بأمانة وعمل على نشره وقد نجح فيه نجاحا عظيما . أما رواية الاب لبونار فلم يعربها الفقيد إلا لالحاح صديقه الاستاذ عبد الرحمن رشدى الذى كان عازماً على اخراجها فى احدى مواسم الاوبرا . ورواية اللغز عربها شغفاً بها فحسب . ولقد صدق ظن تيمور فى مذهبه هذا فان الجمهور المصرى متعطش لروايات مصرية ذات جو مصرى ومناظر مصرية وأشخاص مصريين وحوادث مصرية والدليل على ذلك اقبال الجمهور اليوم على مثل هذه الروايات وتعضيده لها بينما نرى أغلب الروايات الاخرى المعربة منبوذة قليلة الأهمية

ان من طالع روايات تيمور وشاهدها على المسرح نجدها تتحد فى ثلاث نقط أساسية :

عاجزون عن اظهار روح المؤلف المتجلية فيها وذلك الجمال السحرى المنتشر على صفحاتها

سيكون حديثنا فى هذا الباب الحديث الختامى عن حياة وأعمال هذا الشاب العامل المجتهد الذى ضحى حياته القصيرة — حياة الشباب والمسرة — فى التأليف والكتابة والعمل الصالح الطيب للآداب والمسرح

سيكون هـذا الحديث عن ثلاثة روايات ألفها تيمور فكانت باكورة أعماله ومنهـا عرف الجمهور نبوغه ورأى تلك الشعلة المتقدة فى قلبه شغفاً بالفن وحباً فى رقيه . ثلاث روايات فحسب كتبها تيمور الناشىء نخلد بها اسمه فى تاريخ المسرح المصرى . وهى وان كانت قليلة العدد لكنها جليلة الأثر عظيمة النفع فليس البطل بطلا بكثرة أعماله بل بقيمتها . ورواياته الثلاثة التى سنتكلم عنها هى « العصفور فى القفص » و « عبـد الستار افندى » و « الهـاوية » وقد أهملنا « العشرة الطيبة » وغيرها من معرباته لان الاولى ليست من عمله وحده فقد اشترك معه فى وضع ازجالها الملحنة بديع افندى خيرى ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق باختصار . ولأن الثانية معربات لم يكن تيمور نفسه يهتم بها كثيراً

مقدمة عن الثلاث روايات

كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب « الروايات المصرية » أو كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية

فيها أسباب تدهور التمثيل الفنى فى مصر. وهى على قصرها تصح أن تكون درساً عالياً لمديرى الاجواق الفنية ليتعظوا بما فيها من حقائق.

وفى المقالة الرابعة شرح الكاتب باختصار أسباب نجاح التمثيل اللافنى.

أما القسم الثانى فيشمل سبع مقالات متسلسلة: الاولى مقدمة عن التمثيل ختمها بحديث عن النهضة الاخيرة على يد أبيض. وفى المقالات الخمس المتتالية تكلم فيها عن تاريخ الدرام والكوميدى فى القرون الوسطى ثم شرح أنواع الروايات التى كانت تمثلها الجمعيات التمثيلية الاولى فى فرنسا ثم تكلم بعد ذلك عن التراجيدى والكوميدى فى القرن السادس عشر. والمقالة السابعة تاريخ مختصر للتمثيل فى مصر

. . . .

رواياته التمثيلية

لقد ذكرنا فى تاريخ حياة الفقيد ما ألفه وما عربه من الروايات التمثيلية وتكلمنا عن كل رواية باختصار واعدين الافاضة فى باب التمثيل. والآن وقد أتممنا الكتابة عن نظمه ونثره ومقالاته عن التمثيل ولم يبق الا رواياته التمثيلية وهى خير شىء عمله فى حياته وصرف فيه جهده بل هو الشىء الوحيد الذى كان يملأ ركناً من أركان قلبه حق علينا أن نهتم بهذا العمل ونشرحه شرحاً وافياً ناصحين القارئ الكريم أن لا يهمل قراءة هذه الروايات فى مجموعته لأننا مهما أفضنا فى الكلام عنها فنحن

القسم الأول : مقالات عن التمثيل الفنى واللافنى نشرها فى السنة الخامسة من جريدة السفور وشرح فيها أنواع الروايات التمثيلية الفنية واللافنية. وهى مقالات قيمة عن الفن تصح أن تكون مرشداً للمشتغلين بفن المسرح والقائمين بتأليف الروايات وتعريبها . أما القسم الثانى فمقالات أخرى نشرها فى السنة الرابعة من السفور وضمنها تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر باختصار . وهذان القسمان يحويان زبدة آراء الفقيد عن التمثيل لانهما بلا ريب نتيجة أبحاثه الخاصة فى الفن المسرحى وملاحظاته الشخصية عن المسرح المصرى ومنهما يرى القارئ بعض ذلك الوميض الذى كان يملأ قلبه ويلمع فى عينيه ، وما ذلك الوميض غير تفانيه فى المسرح ورغبته الشديدة فى اعلاء التمثيل المصرى واصلاحه

القسم الاول يتضمن أربع مقالات متتالية ، ففى المقالة الأولى تكلم الكاتب عن التمثيل الفنى فعرّف أولا ما هو التمثيل وما هى العوامل الاساسية لبناء الرواية ووضعها ، ثم تكلم عن تقسيم الروايات التمثيلية وشرح كل قسم شرحاً وافياً

وفى المقالة الثانية تكلم عن أنواع الروايات فعرّف التراجيدى والدرام والكوميدى الاخلاقية والكوميدى دراماتيك مع الافاضة فيما يتطلبه تأليفها من العوامل الاساسية

وفى المقالة الثالثة تكلم عن التمثيل اللافنى فذكر أنواع الروايات اللافنية وهى الميلو درام والجراندجينول والفودفيل والريفو ، ثم عرف كل نوع من هذه الانواع وذكر عيوبها ، ثم ختم المقالة عن نبذة مفيدة شرح

أرجو القارئ أن يقلب صفحات هذه المحاكمة الخالدة ليرى الصور المتقنة التى استطاع تيمور أن يرسمها بقامه الهزلى ، ويسمع الاحاديث العذبة التى انطوت تحتها النكتة البهجة والمجون اللطيف ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه المقدمة الطويلة المحاكمة نفسها

كانت رغبة المؤلف أن يكتب عن جميع المؤلفين الذين عرضهم فى قفص المتهمين ولكنه لم يكتب الا عن فرح افندى أنطون وابراهيم افندى رمزى ولطفى افندى جمعه وخليل افندى مطران . وكان فى ذلك الوقت يحرر السفور فلما أرجعه الى الصديق عبد الحميد حمدى حالت بعض الظروف الخصوصية بينه وبين الكتابة فانقطع عن العمل ولما زال المانع وأراد الكتابة فى هذا الموضوع لم يجد من نفسه ذلك الباعث الاول الذى دفعه فأرجأ اتمام العمل الى الوقت المناسب وكان فى نيته طبع هذه المحاكمة على حدتها كرسالة هزلية انتقادية ولكن القضاء لم يرد اتمام ذلك العمل فطواه الى الأبد

استطاع تيمور أن يعرض للقراء فى محاكمة الاربعة (أنطون ورمزى وجمعة ومطران) صورة حية لكل مؤلف وأن ينتقد بايجاز أعمالهم المسرحية ويشرح طريقة كل منهم فى التأليف وقيمة هذه المؤلفات فى نظر المنتقد الفنى . كل هذا بأسلوب قصصى أخاذ .

القسم الرابع : مقالات عن التمثيل مختلفة

هذه المقالات عديدة ومتفرقة ولكن أهمها وأحسنها قسمان :

القسم الثالث : محاكمة المؤلفين الروائيين

ان الغرض الذى رمى اليه تيمور فى محاكمته هذه هو النقد الصحيح بشكل قصصى فكاهى جميل لا يمل القارئ منه وقد أجاد كل الاجادة فى هذا الموضوع وربما كان أحسن ما كتب باللغة العربية فى النقد الهزلى الشريف . ومن كان له ميل للتمثيل وشاهد رواياتنا العربية واتصل بمؤلفينا وممثلينا ثم قرأ تلك المحاكمة وفهم ماحوته من الأساليب المجونية البديعة والنقد الصحيح الشهى شهد لتيمور بتوفقه فى النقد وقدرته الفائقة فى تصوير الاشخاص بشكل هزلى جميل . من ذلك يمكننا أن نقول أن تيمور كان فى محاكمته « يهزل ولا يقول الا حقاً »

مضمون المحاكمة باختصار حلم للمؤلف رأى فيه نفسه سائراً فى احدى شوارع العاصمة ولاحظ أن مسارح التمثيل العربى مغلقة ثم اجتمع ببعض الممثلين المتوفين فاندهش لوجودهم فى الدنيا وهم من أهل الآخرة وسألهم عن ذلك فأخبروه انهم أتوا الى عالم الوجود ليحضروا محاكمة مؤلفى الروايات التى ستعقد فى الاوبرا بعد حين . فسار معهم الى دار الأوبرا وقابل هناك الممثلين ومؤلفى الروايات التمثيلية فشرع يصف الممثلين وصفاً هزلياً بديعاً ينم عن حقائق صحيحة ثم بدأ الكلام عن هيئة المحكمة المكونة من أساطين رجال الفن الغابرين وهم (شاكسبير وموليير وكورنيل وروستان وجوته) ثم وصف قفص المتهمين وما يحويه . وهنا

ولذا رأينا تيمور الطيب القلب يوجه كلامه لمن غضبوا من انتقاده عليهم فى مقدمة « محاكمة المؤلفين » مناشدا اياهم — هم وغيرهم ممن سيتكلم عنهم — أن لايقابلوه بوجههم الغاضب اذا قرأوا شيئا عن انفسهم ولم يرق لهم . وهانحن نثبت المقدمة ليطلع عليها القارئ ويعلم منها تلك النفس الطيبة التى كانت تسعى جهدها للاصلاح فى جو السلام والصفاء

المقدمة : (اتقدم للقراء الكرام بنشر هذه القصة الخيالية بعد ان ترددت كثيراً فى نشرها خشية اغضاب اخوانى الممثلين واخوانى المؤلفين . لم أقصد اهانة أحد منهم وحاشا أن أفعل ذلك بل انى أجل كل مؤلف وممثل عن أن يتسرب لرأسه هذا الرأى الضئيل)

الى أن قال : (وآمل أيضاً اذا قابلت أحداً منهم فى الطريق أن لايقابلنى الا بوجه بشوش لأنى لا أكتم القراء وقد تألمت كثيرا بعد كتابة مقالاتى عن الممثلين فى جريدة المنبر وذلك لما كنت ألقاه من اخوانى أبناء الفن من الاعراض)

وقد اشتمل نقده على الممثلين المرحوم الشيخ سلامه حجازى ونجيب افندى الريحانى وجورج افندى أبيض وعبد الرحمن افندى رشدى واخوان عكاشه وعزيز افندى عيد والسيدة منيرة المهدية والآنسة روزا ليوسف والسيدة ميليا ديان وغيرهم . وكان بوده أن يتم هذا النقد ليشمل جميع أبطال التمثيل ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك .

القسم الثانى : نقده على الممثلين

هو سلسلة مقالات انتقادية عن أبطال الممثلين ظهرت فى جريدة المنبر سنة ١٩١٨ فأحدثت رجة كبرى فى عالم التمثيل وشخصت اليها أبصار الادباء المهتمين بالحركة التمثيلية المصرية فكانوا يتخاطفون أعداد الجريدة ويطالعونها بشغف كبير . ولا غرو فهذه المقالات كانت الاولى من نوعها لان الفقيد توخى فى كتابتها أصول النقد الصحيح الخالى من الاطراء والقدح . لم تثنه الصداقة التى كانت تربطه بمن انتقدهم عن اخفاء حقائقهم بل شرح بكل صراحة وبلا تحيز نقائصهم وفضائلهم على السواء . كتب ما كتب باخلاص وصدق نية ساعياً وراء الحقيقة ومجاهراً برأيه بجرأة وحرية مدهشة . كل ذلك فى سبيل الفن الذى كان يسعى دائما فى اصلاحه وتهذيبه . ولا ريب فى ان هذا العمل كان أكبر مظهر لاستقلال رأيه وحرية ضميره ونزاهته ، ولكن حرية الآراء مازالت وليدة الامس فى مصر . و لحق الصريح اذا جاهر انسان به فى هذا البلد عده البعض جريمة لا تغتفر . ذلك لان القلوب مازالت تحوى بذور الانانية والاعجاب بالنفس والمصلح دائماً لا يقابل عمله — ممن يريد اصلاحهم — بالتحبيذ والتشجيع ، فغضب بعضهم من هذا الانتقاد — وما حق لهم أن يغضبوا لان الكمال لله وحده والانسان مهما علا ففيه عيوب خافية عنه يجب أن يعرفها ليجتهد فى اصلاحها .

الطاهرة . وهكذا انتصر الشرف على المال والحسب

(٤) آلام شاعر : منولوج وجدانى ملأه سخطاً على الحياة وآلامها لما حوته من قلوب مفعمه بالقسوة والظلم . كله يأس وأحزان على انظمة الحياة الفاسدة وتحسر على انعدام العدل الانسانى وقيام دولة الطمع والجشع فى النفوس البشرية

(٥) ابن الوطن أو اللقيط : قطعة وطنية حماسية تنتصر فيها الأعمال الجليلة على الانساب والاحساب . تجد فيها المؤلف الشخص العصامى صاحب العمل الشريف النافع

(٦) الزوج القاتل : قصة زوج قتل زوجته التى خانته مع صديق له . شرح فيها شعور ذلك الزوج ودفاعه عن نفسه دفاعا أثبت فى نهايته هذه الحكمة المعروفة:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

(٧) الوردة الذابلة : قصيدة نونية تبلغ لثمانين بيتاً تمتاز بجمال المحاورة النظمية التى تتخللها، وسلاسة الاسلوب وسهولة اللفظ ورقته . هى قصة فتاة سقطت فى حمأة الرذيلة عن طريق الغواية . صوّر فيها تيمور صورة التعس والشقاء وما يحيط تلك النفس المسكينة من أنواع العذاب والمحن . فأصاب الحقيقة بهذا التصوير الفنى لأنه أخرج للناس منظراً من مناظر الحياة الذى يتكرر وان اختلفت العصور والأزمنة

ولا أغالى أذا قلت انه لم يسبق تيمور فى هذا المضمار ولم يفقه فى تأليف المنولوجات المسرحية أحد . كان تيمور عالما خبيرا بما يؤثر على الجمهور دارسا أصول الفن الصحيح فنظم منولوجاته على هذا الاساس فجاءت متينة قوية تهز سامعيها بما حوته من قوة وتأثير . وكان القاؤه لهذه المنولوجات بنفسه يزيدها روعة وجلالا بما كانت تكسبه من حسن القائه ودقة تمثيله . ولكن هذه القطع المسرحية اذا قارناها بمنظوماته الاخرى وجدناها أقل منها جمالا من حيث جمال الشعر ، لانه وجه كل مجهوده فى تأليفها لتكون صالحة على المسرح زد على ذلك سرعته فى نظمها فأغلبها ان لم تكن جميعها نظمت فى الصباح لتلقى فى المساء

وعدد هذه المنولوجات سبعة وهى :

(١) القاتل وطيف المقتول : محاورة بين قاتل وطيف مقتوله شرح فيه ما يشعر به القاتل من توبيخ الضمير الهائل الذى يقضى على حياته فى النهاية

(٣) العفو عند المقدرة : محاورة بين منتقم لأبيه وقاتل لهذا الأب . تمتاز هذه القطعة بما حوته من شرح شعور كل من القاتل والمنتقم ونفسية كل منهما ثم شهامة المنتقم وقوة ارادته « وعفوه عند المقدرة »

(٣) المال : محاورة بين غنى وفقير وخادم . تجلى فى هذه القطعة النفس الديمقراطية العالية بأجلى معانيها ، ففيها شرح المؤلف نفس الغنى المتكبر الجهول ونفس الفقير الطاهر الشريف ثم كيف يتنازل ذلك المتكبر العاتى ، الفخور بأمواله ، ويصافح يد الفقير الشريفة ويضم نفسه

الجميلة التى كان يطرب لها تيمور ويترنم بها ويستعيدها . هو الصورة الجليلة التى كانت مرتسمة دائما فى مخيلته لاتفارقها . أجل التمثيل — ولا أغالى اذا قلت — هو معبود تيمور الذى تعشقه صغيرا وهام به شابا وعمل له رجلا . ما أحلى ذلك اللفظ على قلب ذلك الفتى الراحل . فكم من حديث له عنه ، وكم من مباحث له فيه ، وكم من مناقشات ومجادلات من أجله . ولما كان على فراش المرض الاخير كانت روايات التمثيل بجواره على نفس الفراش يطالعها بشغف زائد كأنه كان يودعها الوداع الاخير . وهكذا قضى تيمور ولفظ التمثيل بين شفتيه ، وكتابه تحت يده ، وصورته فى مخيلته . فلا غرو اذا تفوق تيمور على سائر كتّاب العصر بالكتابة عن المسرح وللمسرح ، ولا غرابة اذا كانت أعماله المسرحية من نقد وروايات فى مقدمة أعماله الاخرى من نثر ونظم الا فى بعض أشياء قليلة .

كتاباته المسرحية تنقسم كما بيّنّا سابقا الى أربعة أقسام . الاول : منولوجاته التمثيلية . والثانى : نقده على الممثلين . والثالث : محاكمة المؤلفين الروائيين . والرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر . هذا غير رواياته التمثيلية الكبرى التى سنفرد لها بابا بعد هذا الحديث .

القسم الاول : منولوجاته التمثيلية : هى أول أعماله المسرحية نظما وتمثيلا . كان ينظم المنولوج ليمثله بنفسه فى حفلات السمر الراقية . فلما انقطع عن التمثيل انقطع عن نظم منولوجاته ايضا . ولما كان الوقت الذى صرفه عاملا على المسرح ضئيلا كانت منولوجاته قليلة العدد .

لتحقيق أمانيه فى الحياة لانه كان شغوفاً بعلم الآداب وفن التمثيل شغفاً ملك نفسه وملأ فراغ قلبه . وفى ذلك يقول : (جاس بجوار النافذة ونظر الى السماء القاتمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم اطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى فى الغرفة ذهابا وايابا ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى هذا العنوان (مبادىء القانون المدنى) ثم ما لبث أن القى به على الخوان وهو يقول ساخراً (مبادىء القانون المدنى . مبادىء القانون المدنى)

الى أن قال : (جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلتقى بنفسه فى أحضان تلك العلوم . فسافر وفى قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التى كانت تجشم نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التى يرى فيها مسكة الأمل وقرة العين .) حقا . لقد كان تيمور يرى فى الآداب « مسكة الامل وقرة العين » ولذا رأيناه يعمل للآداب حتى النفس الاخير :

***

ماكتبه عن التمثيل

لفظ التمثيل فى مصر مقترن دائما باسم تيمور ، فهو من مؤسسى الفن العاملين على رقيه . كان تيمور أول فتى ارستقراطى دخل غمار التمثيل كممثل وكمؤلف وكنقاد ، فكان لدخوله فى هذا الغمار أثر ناجع وفضل لاينكر ومجهود خالد على قصر الوقت الذى صرفه فيه . التمثيل هو النغمة

ولباريس الشتاء ولضواحيها الصيف». ثم روى حادثة محزنة وقعت لكلبين أحدهما يدعى «خرطوش» والآخر «سكر» وكان خرطوش من فصيلة معروفة مشهوراً بجدته وطيشه وقوته وأما الآخر «سكر» فكان كلباً ممتهناً لا تنظر اليه العين الا بالاحتقار لانه من الكلاب التى ليست لها فصيلة ولا نسب. ففى احد الأيام افترس خرطوش القوى البنية الشرس الاخلاق ذلك الكلب الوديع الهادىء فقضى عليه.

وقد ختمها قائلا: (لقد كنا نكره سكر فى حياته فاذا بنا نحبه ونجله بعد مماته. لقد كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الأصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد ان الاصل لا دخل له فى الطيبة وأن مخلوقات الله سواء. وياليت شعرى أليس الحالة كذلك بين الناس فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانسانى ذلك السحاب الاسود)

والسادسة سلسلة مذكرات لحياته فى باريس لم يكتب منها إلا بضع مقالات لم يتمها. وجعلها فى الظاهر تاريخاً لحياة غيره ولكنها فى الحقيقة كانت لنفسه. نشر الاولى منها تحت عنوان «هو وهى» تضمنت هذه القطعة حديثه عن زيارة حفلة راقصة خصوصية. شرح فى بدائتها أميال نفسه بكل حرية وجلاء فأظهر علانية كيف كان يكابد الآلام فى دراسة الحقوق — العلم الذى لم يمل اليه، والذى لم يكن يرى منه أى أمل

يلقى منولوجا بين الفصول عن كورنيل وسخر بهـذا المؤلِّف الذائع الصيت فهاج عليه الجمع المحتشد وأخرجوه عنوة من مقصورته وأهانوه بشتائمهم وصفيرهم لأنه تجرأ وأهان « كورنيل العظيم » . لم يكتب تيمور هذه القطعة ليروى حادثة فحسب بل أثبتها ليظهر للمصرى كيف يمجدون العظماء وكيف يحامون عنهم أحياءاً كانوا أو أمواتاً ، وما « كورنيل » الا عظيم من عظماء فرنسا وأحد مؤلفيها التمثيليين الذى عمل على بناء ذلك الركن الخالد المنير ألا وهو الادب الفرنسى . روى تيمور هذه الحادثة ليظهر روح الديمقراطية العالية التى تشربت بها النفس الفرنسية فساوت بين طبقة النبلاء والعامة . وقد ختم مذكرته هـذه قائلا (وعدتُ الى دارى وأنا أفكر فى هـذه الروح الديمقراطية التى شاهدتها تجسم أمام عينى فى دار الاديون والتى أود من صميم فؤادى أن تنتشر فى مصر بلادنا المحبوبة)

والرابعة كتبها وصفاً لصديقه الامريكى « هويت » الذى عاشره برهة من الزمن فوجد فيه نعم الصديق . فى ذلك الوصف الحقيق لنفسية ذلك الامريكى وأخلاقه وعوائده ، صورة حية للنفس الامريكية الثابتة ذات الخلق الرزين

والخامسة قطعة كتبها عن عيشته فى ضيعة (نوجان سيرمارن) وما شعر فيها بسعادة الحياة فقال « . . شهرين كاملين مرا كما يمر الحلم العذب برأس النائم — شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى — شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ،

عوامل المحيط الذى عاش وتنقل بين ارجائه ، جاشت بها نفسه فأظهرها خالية من التصنع والحشو وعرضها صورة حية المجتمع الانسانى

***

مذكرات باريس

مذكرات باريس مماثلة لمقالات خواطر غير انها شخصية كتبها عن نفسه ، شرح فيها عصراً من عصور حياته وما شعر فيه من ملذات وألم ، وما رآه فيه من مشاهد ومناظر وما وقع له فيه من حوادث . هى صحيفة من صحائف حياته كتبها بنفسه ، لم يخط فيها غير الحقائق . فهى مذكرات بالمعنى الحقيقى

القطعة الأولى وصف فيها شعوره فى بلاد الغربة وتأثير تلك البيئة الجديدة التى انتقل اليها وشرح فيها أيضا رحلته من برلين الى باريس باختصار

والثانية وصف فيها مجلساً فرنسياً مكوناً من بعض الاصدقاء وعرض للجمهور المصرى صورة من مباحثات ومناقشات ذلك المجلس الأدبى ونضوج عقل المرأة الفرنسية ورقى فكرها وتضلعها فى آداب بلادها ومقارنتها بامرأتنا الشرقية ليعلم المصرى الفرق بين تعليم نسائنا ونسائهم ودرجة رقى المرأة الافرنجية وتأثير رقيها فى حياة الأمة

والثالثة وصف فيها ليلة فى تياترو الأديون وروى فيها حادثة وقعت فى تلك الليلة مضمونها أن رجلا من طبقة النبلاء قاطع أحد الممثلين وكان

النفسية صورة جلية واضحة يعلم منها القارئ انبثاق عبقرية تيمور واشراقها، فهى فجر تآليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .

خواطر

مقالات خواطر حذا فيها حذو « ما تراه العيون » ولكنها أشبه بمذكرات ضمنها مشاهداته فى الحياة وملاحظاته عنها ، أوضح فيها كثيراً من آرائه وأفكاره وانتقد فيها نظم الحياة الاجتماعية القاسية . هى قطع اجتماعية ، أخلاقية ، انتقادية ، وصفية ، كتبها بأسلوبه القصصى الرشيق. فمن خواطره الوصفية خاطرة عن « الكتّاب والعريف » وأخرى عن « رمضان فى قهوة ماتاتيا » ، فى الاولى وصف فيها كُتّابا حقيراً كان زاره صغيراً ، وروى واقعة حال جرت بين العريف وأحد الاطفال ، وفى الثانية رسم بقلمه التصويرى القادر قهوة ماتاتيا وما حوته من صائمين ومدعين الصيام ومفطرين . أما فى قطعة « الطبيب » و « عرس ومأتم » و « ابن بقهوة وابن بالتراب » و « سارق وسارق » فقد أظهر فيها عواطفه نحو الفقراء ومشاركته لهم فى آلامهم وانتقد فيها قوانين الحياة وعدالتها المشوهة ، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر حبه للمساواة وانصاف المظلومين ، وقد شرح فى قطعة « المرأة لم تخلق لهذا النعيم فى مصر » و « سر من أسرار تأخر المصريين » و « هنا وهناك » حبه لتحرير المرأة ، وكشفه عن عوامل تقهقر المصريين ، والفرق بين التعليم الغربى والشرقى . فمقالاته خواطر هى خواطر حقيقية دفعه الى كتابتها

وتسمع ماراه وماسمعه عن حقيقة ومن غير تكلف . فمن ذلك نعلم سر تلك القوة المبتكرة التى ظهرت واضحة فى « قصصه » و « خواطره » و « مذكراته عن باريس » و « رواياته التمثيلية » و « محاكمته المؤلفين الروائيين » .

وانى أدعك أيها القارئ الكريم أن تقلب صحائف ذلك المؤلف الذى بيدك وأن تقرأ الآن قطعته « فى القطار » لتستطيع أن تتصور فى مخيلتك صورة تيمور كما هو

هذا هو مذهب تيمور فى معظم كتاباته ، وهذا هو شخصه يبدو لك من بين سطوره يحدثك حديثه العذب الشهى .

ويجدر بنا فى ختام هذا الكلام أن نقول كلمة صغيرة عن روايته القصصية « الشباب الضائع » .

لم يتم تيمور هذه الرواية وان كان قد أتى فيها ببعض ملحوظات ختامية يعلم منها القارئ حوادث الرواية النهائية . خطها المؤلف بلغة سهلة خالية من التكلف والتعمل . والظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ولم يكن قد كتب شيئاً من قصصه قبل ذلك الوقت فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ظهرت فيها مواهبه وتجلت تلك القوة الخفية المنبئة بمستقبل جميل فى هذا النوع .

فالشباب الضائع بأوصافها ومشاهدها وأحاديثها وأشخاصها وخياليها

قطعه القصصية

ماتراه العيون

لا أغالى اذا قلت ان هذه القطع هى من أحسن ماجادت به قرائح الادباء فى هذا العصر . ولو كان الفقيد تفرغ لهـا وسمح لنفسه بوقت كاف لاتمامها لـكان أتى لنا بالمعجز فيها .

« ماتراه العيون » قصص صغيرة كتبها المؤلف عن الحياة المصرية واتبع فيها مذهب الحقائق (الريالزم) الخـالى من الغلو أو الخيال فرسم فيها بقلمه صوراً ومشاهد حقيقية حية على مسرح الحيـاة المصرى . والتى امتازت به هذه القصص أوصافه الدقيقة وألوانه الحقيقية الناصعة ، وانتقاده الاخلاقى الراقى ذو المجون الفـكاهى الساحر . فاذا ماقرأت له عن شخص من أشخاص قطعه أمكنك أن تتصوره فى ذهنك بصورته ونفسه وأخلاقه حتى ورنة كلامه . واذا قرأت له قطعة بأكملها استطعت أن تتصور فى ذهنك روح تيمور الساحرة وحديثه الفـكاهى الجميل .

امتاز الفقيد شخصياً بدقة الملاحظة وثبوت المشاهدات وانطباعها فى ذهنه ثبوتاً تاماً ، وانطباعاً مدهشاً ، وكان بفطرته ميالا للتقليد ومتقناً له غاية الاتقان ، فاذا مارأى مشهداً ملفتاً للنظر استطاع أن يروى لك حوادثه بدقة واتقان مهما قدم عليـه الوقت ، واستطاع أن يصور لك بحديثـه صور الاشخاص وحركاتهم ويكلمك بكلامهم فـكأنك ترى

فيكلمك عن الرتب والنياشين فى « رسائل مجبور افندى » ويشرح لك حالة هؤلاء النفر الجهال العاطلين الذين يسعون جهدهم لنيل رتبة أو نيشان ولا يصرفون ذلك الجهد للعمل الصالح لأمتهم ووطنهم. وكيف انهم لو أتوا بعمل نافع مفيد سعت اليهم الرتب من غير أن يسعوا اليها، فتعلم اذ ذاك ميل هذا الفتى للديمقراطية الحقة والعصامية التى لا تعرف الانساب والاحساب ولكنها تعرف الأعمال فحسب. ويكلمك عن « المجمع اللغوى ومشكلة الالفاظ » فيوضح لك رأيه بلا تحيز أو تعصب، فتعلم منه انه انما كان يسعى فى سبيل احياء اللغة وتثبيت مكانها. ثم تقرأ له حديثه عن «شوقى وجبران » فاذا فيه يمتدح شوقى فى شعره الجديد الخالى من التكلف، ويتغنى لك بقصيدة « أنس الوجود » و « حفلة الرقص » ثم يظهر لك (نبوغ) جبران شاعراً وناثراً فيوضح لك ضمناً رأيه عن الشعر فيقول : ما الشعر الا ذلك الفكر الناضج والشعور الحى يصيغهما الشاعر بلفظ ساحر متين مفهوم خال من التكلف والتعقيد. وما مذهبه فى الشعر الا مذهب الابتعاد عن طريقة الأقدمين وانتهاج مذهب الابتداع الذى تظهر فيه شخصية الشاعر مستقلة حرة غير مقيدة.

وقس على ذلك قطعه الاخرى.

قطعه الوجدانية

هى مقالات من الشعر المنثور صاغ فيها عواطفه ووجدانه بأسلوب خيالى راق ، خال من التصنع ، ذى أفكار وآراء جديدة ، وهى تشبه بعض الشبه شعره ، فهى مظهر من مظاهر روحه .

لم يكتب منها غير بضع قطع نخص بالذكر منها «الشاعر والليل» و« حديث زهرة » و « حب البقاء » . وكأنه استعاض بشعره عن هذا النوع فلم يكثر منه ولم يعتنِ به عنايته بنظمه .

قطعه الاجتماعية والادبية

هى مقالات طرق فيها مواضيع مختلفة ضمنها بعض آرائه الأدبية والاجتماعية والانتقادية تمتاز بحمية الاصلاح التى كانت تتقد فى جوانحه . فمثال ذلك مقالة « الافكار الحديثة والقديمة » كتبها بدافع حبه للجديد النافع ، وكرهه للقديم البالى فأظهر فيها بعض تلك الشعلة التى كانت تذكو وتضطرم فى قلبه .

كان يكتب مقالاته هذه فكأنه كان يتكلم . فاذا ماقرأتَ احدى تلك المقالات فكأنك تسمع حديثاً طلياً مفهوماً لا يصحبه الملل ولا السأم . يحدثك تيمور أيها القارئ فى مقالاته بكلام عذب منطقى يدور حول نقطة واحدة ، خال من السفسطة والتكرار واللغو . فى هذا الحديث أو بعبارة أخرى فى تلك المقالات يكشف لك تيمور عن فؤاده ،

نثره

لم يكن تيمور فى نثره غيره فى شعره فجميع قطعه الوجدانية والاجتماعية والتمثيلية والانتقادية والقصصية كتبها بدافع نفسى لا اضطرارى ، فأتت معظمها ان لم تكن كلها ناضجة متينة ذات تأثير غريب ، لان النفس لا تتأثر الا بما هو صادر عن النفس

ونثره ينقسم الى ستة أقسام :

الاول : قطعه الوجدانية

الثانى : قطعه الاجتماعية والادبية

الثالث : قطعه القصصية « ما تراه العيون » و « قصة الشباب الضائع »

الرابع : قطع « خواطر »

الخامس : قطع « مذكرات باريس »

السادس : قطع عن التمثيل .

هذه القطع تتفرع الى أربعة أقسام :

الاول : منولوجاته التمثيلية

الثانى : نقده على الممثلين

الثالث : محاكمة المؤلفين الروائيين

الرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل وغير ذلك

القلوب . ولكن تيمور الذى كان يجالس الناس و يسامرهم ويضاحكهم بحديثه الطلى الساحر لم يكن الا الفتى المتألم ، الكاره للحياة ، الواجد على الدنيا حينما يأتيه وحى الشعر الجليل . كانت له نفس باطنة خفية لم تكن تظهر الا اذا كان منفرداً ينظم عواطفه فى قصائده ويسكب نفسه على قرطاسه . ولذا تسمع من معظم شعره نغمة حزينة مبللة بالدموع هى رنين أوتار قلبه المتوجع . ولا ريب فى أن هذا الحزن الذى كان يشعر به تيمور ويظهره دائماً فى نظمه كان حزناً خلقياً ، وليس عرضياً سببته بعض الظروف .

وما قصائده « ياموت » و « عرش الحداد » و « الشاعر الغضبان » و « القلب » وغيرها الا صوت فؤاده الذى يحادثك ويناجيك عن آلام خفية لم يعرف مصدرها ولكنه يشعر بها فى نفسه . هاك أوصافه أيها القارئ تصفحها فى غير هذا المكان . ألا تجدها كلها أنة طويلة وشكوى من الحياة . « فالبلبل الصامت » و « دموع الشفق » و « النجم الآفل » و « شجرة على شفا الموت » و « الطائر السجين » وغيرها من قصائده الوصفية ليست الا مظهر ذلك القلب الدامى الحزين . أما قصائده « خوفو » و « الهاوية » و « الفجر الأول لمحمد على » و « الهرم الاكبر » فلعلها القصائد الوحيدة التى خلت من نغمة الحزن . وهى وان كانت قوية الأسلوب ، رائعة الوصف ، خلابة الرنات ، تشهد بقوة شاعريته ، إلا أننا نعدها فى الصف الثانى لشعره لخلوها من الانات والعبرات التى كانت وحيه الالهى فى النظم .

تريد الظروف . فكان فى هذا العهد شاعراً حقيقياً يكتب ما يشعر به ،
وهذا أهم مميزات شعره الجديد ، فجميع قطعه خالية من المدح والذم
والرثاء ، ولكنها مفعمة بتلك العواطف الرقيقة وذلك الشعور العميق .
وشعره فى هذا الطور سهل العبارة يفيض رقة وسحراً ، وهو على قسمين:
شعر غزلى . وشعر وجدانى وصفى .

أما شعره الغزلى فكتبه عن شعور حقيقى ، شعور فتى أحب ولم
يسعد فى حبه — حب لم يكن أهلا لصاحبه . فأظهر فى شعره هذا
عواطفه الصادرة عن قلب مكلوم متألم ، ولكنه قلب طاهر يرنو دائما الى
المجد ويأنف من المذلة والعار . وقلما تخلو قصيدة من قصائده هذه من
تلك الانفة العالية التى لم يهزمها غرام عرف أن فيه مذلته .

ترى ذلك فى جميع قصائده الغزلية نخص بالذكر منها قصيدة « أنا
وهى » و « حية الخاطر » و « أنتِ » الموجودة جميعها فى المجلد الاول
من تآليفه ، وقد ملأها بوصف رائع للحب ، وشكوى حزينة من الغرام ،
وصولة عالية فى سبيل المجد ، نعلم منها عزة نفسه وبُعده عن اذلالها .
أما شعره الوصفى والوجدانى فهو شعر رقيق أبدع فيه كل ابداع ، أملاه
عليهِ وجدانه العالى وشعوره الصادق وأفرغ فيهِ حزناً مستفيضاً مما تملأ
قلبه ، فأتى جميع شعره الا بعض قصائد معدودة ، سنذكرها فيما بعد ،
مصبوغاً بلون الحزن تسيل منه الشكوى والآلام .

لم يكن تيمور بالفتى الحزين المهموم بل كان الشاب الضاحك اللاهى
الذى لا تفارق النكتة فمه ، حديثه ابتسامة ساحرة شهية تأخذ بمجامع

واظهار أمياله . ولعلى أستطيع أن أظهر للقارئ شخصيته القوية ، وأن أشرح له نفسيته وأمياله بشرح أعماله الكتابية نثراً ونظماً ، فما تآليف المرء الا المرآة الصقيلة التى تنعكس عليها نفسه وتتجلى عليها روحه ، فتحايل مؤلفات تيمور ماهو الا تحايل لتلك النفس الطاهرة ذات الشعور العميق والوجدان الجليل .

. . . .

الفصل الثانى

مؤلفاته

قطعه النظمية

لقد كتب الفقيد نحو ستين قطعة نظمية هى كل ما نظمه من الشعر فى طوره الاخير . أما ما كتبه قبلا أى قبل سفره الى أوربا فكثير أهمله حين رجوعه ، أى فى الوقت الذى وجد فيه نفسه قد تغيرت عن قبل . ففى شعره الأول كان لا يتحدى قصائد المدح والرثاء والفخر وكان اذا مدح بدأ بالغزل ثم تخلص منه الى المدح شأن الشعراء الاقدمين فكان شعره لا يخلو من مسحة التكلف والتعمل . أما فى طوره الاخير فبعد ان شاهد جمال الطبيعة فى أوربا وتشبعت نفسه بها وامتلأ فؤاده سحراً بنفثات الشعر الفرنسى وعرف أصول النقد فميز الغث من السمين شعر بدافع داخلى كان يدفعه للنظم حينما يريد لا كما

الاستاذ عبد الرحمن رشدى حينما كان ممثلا أن يعرب لفرقته رواية «الاب ابونار» فعربها وأهداها للفرقة لتمثلها ، ولكن من غريب الأمور أن الفرقة أهملتها ولم تُمثل الرواية حتى اليوم على المسارح المصرية ، ولكن الاستاذ جورج أبيض استأذن الفقيد وأخذها من فرقة رشدى المنحلة ليمثلها فى رحلته فى الشرق . ورواية الاب ابونار من الروايات القيمة الذائعة الصيت التى أصابت نجاحا عظيما فى فرنسا . وقد عرّب تيمور غير رواية «ابونار» رواية «اللغز» وكان كلفاً بها وأراد أن يهديها لبعض الجمعيات الادبيـة لتمثلها ولكن الظروف لم تشأ ذلك فتركت فى درج مكتبه .

أما كتابات الفقيد الأخرى فلم ينظم الا قليلا من الشعر بالفرنسية حينما كان فى فرنسا حنينا الى وطنـه . وكان يشتغل قبل وفاته بكتابة رواية مصرية قصصية بالفرنسية عنوانها «الفتوة» ولم يتم منها الا الفصل الأول . ثم كان يعمل بالاشتراك مع أحد أدباء الفرنج على تأليف رواية تمثيلية مصرية لتمثل فى أوربا ، وأنجز منها مشاهد ومواقف عديدة .

أما حياة الفقيد السياسية فأعرف عنه انه كان عضواً عاملا فى جمعية أبى الهول المصرية حينما كان فى فرنسا ولما انتقل الى مصر كان من ضمن مؤسسى الحزب الديمقراطى . ومذهبه فى السياسة مذهب كل وطنى حر يطلب السعادة لبلاده فى ظل الحرية الدائمة .

هذا موجز بسيط لحياة تيمور منه نعلم كيف كانت نشأته وكيف تطورت حياته وكيف كانت تأثيرات البيئة والوراثة فى تكوين شخصيته

الفقيد بنكبتين قويتين لم يحملهما جسمه المريض فانطفأت تلك الشعلة الملتهبة وتلاشت تلك الفكرة الوقادة المنيرة ، وانتقل تيمور من قصره الى قبره (القصر الذى لم يتم فيه شهور العسل الحلوة الجميلة !) . اختطف الموت تيمور من والد أفنى عمره فى راحة ابنه معتزاً بذكائه فخوراً بأعماله ، ومن زوجة حامل لم تكد ترشف منه كأس السعادة حتى تحطمت ، ومن ابنة صغيرة بدأت تترنم وتتغنى باسمه شاعرة بعطفه وحنوه ، ومن شقيقين أرواحهما متصلة بروحه ، ومن عائلة كان هو ابتسامتها ، ومن أصدقاء كان هو الوفاء والمحبة بينهم ،

. . . .

وقبل أن نختم ذلك الفصل نقول كلمة عن رواية « الهاوية » وعن مؤلفاته الأخرى التى كتبها ولم ينشرها . أما « الهاوية » فقد مثلتها فرقة ترقية التمثيل العربى بعد وفاته بشهرين تقريباً وكان نجاحها مدهشاً حتى أن الجمهور هتف المؤلف فى احدى لياليها . أما مؤلفاته الأخرى « رسائل مجبور افندى » التى لم أعثر الا على رسالتين منها الأولى تامة وقابلة للنشر وعنوانها « الرتب والنياشين » ، والثانية مبتورة لا تصلح للنشر . ورواية قصصية أخلاقية اسمها (الشباب الضائع) غير تامة . ورواية أخرى قصصية لم يكتب منها الا الفصل الأول وعنوانه « جلال الموت » . وكان الفقيد يريد أن يؤلف كتاباً فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى جديد نشر المقالة الأولى منه فى سفور السنة الخامسة ، ووجدتُ بين أوراقه مذكرات عديدة عن مراجع الكتاب وشذرات عنه . وقد طلب منه

العربى (آل عكاشه وشركاؤهم) وشرعت تمثل روايات جديدة بين قديمة وجديدة على مسرح الحديقة الجديد الذى بناه خصيصاً للفرقة الرجل العامل النشيط طلعت بك حرب . وانتهى تيمور من تأليف روايته فوجد فرقة جدية ناهضة ترحب بروايته وشاهد مسرحاً فخماً نظيفاً متقناً أهلا لان تمثل عليه الهاوية ، فقدمها للفرقة عن طيبة خاطر وكله أمل فى نجاحها .

كان تيمور شديد الاعجاب بروايته مبتهجاً بقرب تمثيلها فرحا للنهضة الجديدة التى بدأت تشرق من مسرح الحديقة آملا أن تكون « الهاوية » فاتحة الروايات المقبلة . بدأ تيمور « الهاوية » فى جو قاتم يخيم عليه اليأس وختمها فى جو صاف تشرق فى جوانبه الآمال ولكنها ، ويا للحسرة القاتلة ، كانت آمال معكوسة . آمال سوداء يخيم عليها الموت . انتهى المؤلف من روايته فبدأ الموت يكتب روايته الرهيبة ، فلم يكد يرمى تيمور القلم من يده حتى رماه المرض على سرير الموت . وعلى ذلك السرير حيث كان يتنفس النفس الاخير لم يفتر تيمور لحظة عن العمل فى سبيل اخراج روايته فقد كان الممثلون يعودونه ويقرأون عليه أدوارهم وهو يرشدهم الى ما يهمهم منها ، وقد كان يوصى أصدقاءه لحضور تجارب (بروفات) الرواية ويراقبونها بالنيابة عنه . وكانت أيام معدودة قضاها تيمور على فراش المرض وكان الجميع ومعهم الاطباء انفسهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بسلامته لان اليرقان من الامراض السليمة العاقبة ، وكانت الدلائل تدل على انه سائر فى طريق الشفاء المحتم . ولكن بغتة والكل مستبشرون مسرورون أصيب

على المسرح الجدى والهزلى على السواء وداخله حزن عميق لعدم توفيقه خدمة الفن الذى تعلق به وأحبه حباً عظيما ، وأراد أن يحطم ذلك اليراع الذى شهره جهاداً فى سبيل التمثيل . ولكن ماهى الا فترة مضت حتى تجددت تلك الشعلة الكامنة وبدأت ترسل وميضها فى أفق الفن العابس المتهجم ، تحرك اليراع بعد أن هدأ برهة نخط رواية الهاوية . تحرك حركته الاخيرة التى سكن بعدها الى الابد .

بدأ تيمور يكتب « الهاوية » واليأس يملأ قلبه والغيوم الحالكة ما زالت ملبدة فى أفق التمثيل الجدى ، والمسرح الهزلى ينفث سمومه القاسية الفتاكة . بدأ تيمور يكتب الهاوية وهو لا يدرى أى ريح تحملها وأى فرقة ستمثلها وهل يكون نصيبها السبات العميق فى درج مكتبه أو الاحتضار والموت على المسرح الجدى . كان يكتب تيمور « الهاوية » لاجل الفن فحسب . كان يكتب لانه يريد أن يكتب ، يريد أن يعمل ويساعد الفن بالرغم من الفن نفسه . بدأ تيمور روايته فى ذلك الجو العابس ولكنه لم يكد يتمها حتى رأى بوادر الانحلال والضعف قد بانت فى جسم التمثيل الهزلى . أجل لقد بدأ المسرح الخليع يهوى من تلقاء نفسه الى هوة الفشل السحيقة لان الشيخوخة أصابته وهو فى عنفوان شبابه وعز سلطانه . لقد مل الجمهور الهزل والخلاعة ، وكل شيء اذا تكرر وزاد عن حده مجته النفوس وكرهته ، وتعطش ذلك الجمهور الى الجد بعد أن امتلأ جوفه من المجون والتهتك فأقبل يتلمس المسارح يبحث فيها عن ضالته . وتألفت فى ذلك الحين فرقة ترقية التمثيل

الجمهور الطفل الذى لم يكن يرضى الا بالهزل والمجون . فاضطر تيمور أن يرضيه وهو يسعى رويداً لتهذيبه وتحويله لانه انما كان غرضه الاساسى وضع روايات هزلية راقية يتوخى فيها بعض أصول الفن مفعمة بالالحان ثم يتدرج بالجمهور رويداً الى الكوميدى الفنى الراقى ثم الى الدرام الكوميدى وهلم جرا . وكان بدء عمله رواية « العشرة الطيبة » وضعها عن المماليك فى مصر وكانت أول رواية من نوع الاوبرا بوف ظهرت على المسارح المصرية ، ولكنها لم تصب النجاح الذى تستحقه ، فقد انتقدها بقسوة جماعة من الكتاب وعابوا عليه موضوعها وهو « انتقاد هزلى وتهكم على حكم المماليك فى مصر » . وليس المقام هنا مقام شرح وافاضة وانما نقتصر على شرح فكرة تيمور الاساسية التى توخاها فى عمله هذا . كتب تيمور روايته عن المماليك فى مصر لعدة أغراض أساسية أهمها : اظهار عصر من عصور مصر ابان حكم المماليك على المسرح بلون حقيقى وصبغة محلية قوية وأشخاص حية وذلك بقالب فكه راق ولغة تناسب المقام . واذا علمنا أن العشرة الطيبة هى الرواية الفرنسية الهزلية (ذو اللحية الزرقاء La Barbe blue) لفهمنا مقدرة تيمور فى تمصير الاشخاص واختيار العصر المصرى الموافق للرواية ، ولعلمنا ما كان يرمى اليه من وضع الرواية على هذا النمط وهو شرح حالة مصر فى عهد طغمة المماليك التى يعرف الجميع عسفها وظلمها رمزاً للقوة الاستبدادية المذلة .

اعترى تيمور اليأس من عمله لانه وجد مجهوده الفنى يضيع سدى



محمد تيمور

طالب حقوق بباريس

حقيقية لاحدى العائلات المتوسطة ،أظهرها الفقيد على المسرح وشرح فيها شرحاً وافياً أخلاق تلك الطبقة . مثلها الممثل القادر عزيز عيد بفرقة السيدة منيرة المهدية فأجاد عزيز وأفراد الفرقة تمثيل الرواية وقابلها الجمهور بما تستحقه من العناية ، ولكنها لم تستطع الثبات طويلا على المسرح الجدى لخلوها من الالحان والخلاعة ولاقبال الجمهور عامة على المسارح الهزلية بشغف زائد . فلما رأى تيمور حظ روايتيه من الاهمال امتنع عن التأليف المسرحى خوفا على عمله من المهانة وجهده من الضياع وجعل يكتب فى السفور كعادته فكتب مقالات خواطر ثم مذكرات باريس وغيرها . ثم اشتركنا سوية فى تحرير السفور فكان هو عماده الاكبر ، وأصدرنا خمسة عشر عدداً كان للفقيد فى تحريره النصيب الاوفر ، فكتب عدة مقالات فى الادب والنقد والاجتماع والتمثيل . ولعل مقالاته الفكاهية « محاكمة مؤلفى الروايات التمثيلية » هى أحسن ما كتبه فى ذلك الحين . ثم لما عاد الكاتب الفاضل عبد الحميد حمدى الى استلام زمام السفور انصرف تيمور ثانياً الى التمثيل . عزّ عليه أن يرى التمثيل يهوى بسرعة الى الحضيض ، وأن يرى الفن يلبس ذلك اللبوس المزرى الخليع ، فأراد أن يأتى بآخر مجهود لاحياء الفن وأقدم بجرأة مدهشة واشترك مع نجيب افندى الريحانى رب التمثيل الهزلى ليؤلف لفرقته الجديدة بكازينو دى باريس روايات مجونية فكاهية . تحول تيمور عن المسرح الجدى ومد يد المساعدة الى خصمه بالامس الذى انتقده وأفصح عن مساوئه — اتجه تيمور الى المسرح الهزلى وبدأ يعمل له ، وما دفعه الى ذلك غير



الاب وابنته

محمد تيمور مع ابنته راوية (ديرى)

مديرى الاجواق الجدية ، وجهلهم ميل الجمهور المصرى، وأنانيتهم، وصلفهم فى بعض الاحيان ، من أهم العوامل التى أدت الى فشل تلك الفرق الجدية .

لم يقدم تيمور على التأليف المسرحى بعد ماشاهد بنفسه نصيب روايته الاولى ولكنه انصرف فى هذه الآونة العصيبة الى خدمة التمثيل من طريق النقد ، وكانت الاجواق الهزلية فى ابان مجدها وعلى رأسها نجيب الريحانى مبتكر شخصية « كشكش بيك » ، فبدأ تيمور كتابته بنقد نجيب الريحانى أظهر فيها بوضوح تام قيمة الروايات الابريت الهزلية التى يمثلها الريحانى وغيره وبُعدها عن الفن الكوميدى الصحيح ، ثم شرح العوامل الخفية التى أدت الى نجاح هذا النوع الخليع حتى تغلب على الفن الراقى . وكانت هذه المقالة التى كتبها تيمور عن الريحانى فاتحة لسلسلة مقالات أخرى نقدية عن أشهر الممثلين مثل الشيخ سلامه وأبيض ورشدى وعزيز وعكاشه وآخرين غيرهم . وأحدثت هذه المقالات رجة كبيرة فأعجب بها الادباء والمشتغلين بالفن اعجاباً شديداً لاحتوائها على الحقائق، وبُعدها عن التحيز، وخلوها من الذم ، فقد سلك فى كتابتها مسلك النقاد الحر الجرىء .

ولما رأى الفقيد اقبال الجمهور على التمثيل الاوبريت الهزلى الخليع وانصرافه عن الجدى بتراجيديه ودرامه وكوميديه ظن انه لو قدم للجمهور رواية كوميدى فنية خالية من الخلاعة أمكنه أن يجتذبه اليه رويداً ، فألف رواية « عبد الستار افندى » باللغة العامية ، وهى رواية قوية، متينة ، محكمة، مفعمة بالنكات الفكاهية والمواقف المجونية . هى صورة

وظهرت فى السفور قصائده العديدة ، وكتب فى ذلك الحين قطعه المشهورة « ماتراه العيون » وغيرها . ثم استعفى فى عهد عظمة مولانا السلطان فؤاد ورجع الى حياة المسرح وجدد عهده الأول فى ليالى السمر المختلفة . ولكنه لم يكد يبدأ هذه الحياة حتى ختمها الى الابد اذ كان على أبواب الزواج فاضطرته الظروف العائلية أن يهجر المسرح ويختم حياته التمثيلية . فبدأ من ذلك الحين يؤلف للمسرح وأتم روايته الاولى « العصفور فى القفص » وأهداها الى فرقة رشدى فمثلتها بنجاح يغبط عليه وهتف له الجمهور فى الليلة الاولى من تمثيلها اعترافا بفضله . كانت رواية « العصفور فى القفص » ذات ثلاثة فصول مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ولكنه رأى فيما بعد ان يغير بعض حوادثها فكتبها باللغة العامية المصرية لانه وجدها أكثر انطباقاً لحوادث الرواية وأشخاصها، ثم زادها فصلا ختامياً .

ظلت فرقة رشدى تمثل الرواية ولكن تدهور التمثيل الجدى وقتئذ وعدم عناية الاجواق الجدية برواياتها حطت من قيمة الرواية كما حطت من قيمة كل الروايات الجدية الاخرى . ولم يستطع تيمور ولا خلافه ممن اهتموا باصلاح التمثيل وتهذيبه من مد يد المساعدة لتلك الاجواق الجدية الهابطة بفنها الى الحضيض لان مرضاً قاسياً تفشى فيها وأصبح شفاؤها موكولا للزمن . ولا يسمح لنا المقام هنا بشرح العوامل التى أدت الى انحطاط التمثيل الجدى (١) وانصراف الناس عنه ، فكلنا يعلم أن لاهمال

(١) انظر مقالات تيمور « التمثيل الفنى واللافنى »

الفقيد بمراحل عظيمة — فلم يعبأ تيمور الديمقراطى الجرىء بكل هذا وأفصح عن رأيه جهاراً بحب الفن وعمل جهده على دفعه من مستواه وتهذيبه من شوائبه . ان الفن فى مصر منحط تحيط به الرذائل ولكنه محتاج الى أيد شريفة قوية جريئة لتنهض به . ليس من العار أن تنزل حيث الفن ثم تصعد به ، ولكن العار أن تنظر وأنت فى مكانك العالى الى الفن وهو فى هوته السحيقة فلا تبادر — وأنت المحب له — لانقاذه . ولا أغالى اذا قلت ان ذلك الالتفات الخاص نحو الفن فى مصر وانضمام طبقة من المتعلمين العاملين على احيائه كان نتيجة ذلك المجهود العظيم الذى قام به تيمور وأنصاره .

وقدّم الروائى الاديب ابراهيم افندى رمزى روايته الوجدانية الرقيقة « عزة بنت الخليفة » لجمعية أنصار التمثيل فمثلتها الجمعية لاول مرة على مسرح باتيه ، ومثل تيمور دور « سيف الدين » بطل الرواية فنجح فى تمثيله . وكانت هذه الرواية أول رواية مثلها الفقيد على المسارح . ثم أعيد تمثيلها على مسرح الاوبرا فى ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية فمثل الفقيد دوره أمام المغفور له السلطان حسين كامل الذى حضر تمثيل الرواية فى تلك الليلة . ثم أخرجت الجمعية بعد ذلك رواية العرائس لبيير ولف تعريب الاستاذ اسماعيل وهبى المحامى رئيس الجمعية فى ذلك الوقت فنجح الفقيد فى تمثيل دوره نجاحا عظيما .

ولما توظف فى السراى السلطانية أميناً للمغفور له السلطان حسين قضت عليه الضرورة بترك المسرح فصرف جهده فى الكتابة نثراً ونظما .

منولوجات تمثيليـة من نظمه فـكان هـذا بدأ عمله كممثل وأراد الاستاذ عبد الرحيم أن يحضِّر رواية هملت بعد أن نجح نجاحه المعروف فى رواية الممثل وطلب من الفقيد أن يشترك معه فى تمثيل الرواية فقبل وبدأت الجمعيـة تعمل على اخراج هملت ولـكن مرض عبـد الرحيم منعهم من تمثيلها . ولما توفى عبد الرحيم وهو رئيس الجمعية وعمادها كادت الجمعيـة تتفـكك لو لا سعى الفقيد وجماعته فى لم شعثها . وأرادت الجمعية أن تخرج للجمهور ثمرة من ثمارها فاختارت رواية (تيمون الاثينى) لشاكسبير واختارت الفقيد لينقلها فنقلها الى العربية باشتراكه مع أحد أصدقائه ، ولما أتمها ناولها لذلك الصديق وكان عميد الجمعية فى ذلك الوقت فأضاعها. وكانت بعد ذلك فترة سـكون لم تأتِ الجمعية أثناءها بأى عمل تمثيلى

بدأ تيمور فى ذلك الوقت ينظم المقاطيع النظمية الرقيقة وخص جريدة السفور بنشرها ، وكان هذا بدأ نظمه للشعر بعد رجوعه من أوربا ولـكن غرامه بالتمثيل كان يملأ قلبه فـكان التفاته اليه أكبر وعنايتـه بنظم منولوجاته التمثيليـة أتم . وكثرت حفلات السمر للنادى الاهـلى ونادى الموسيقى ونادى موظفى الحـكومة وغيرها فـكانت لا تخلو حفلة من تلك الحفلات من منولوج من نظم الفقيد والقائه . فاشتهر ذكره بين غواة التمثيل والقائمين به ، ولعل هذا أقوى مظهر من مظاهر ديمقراطيته التى ظهرت آثارها الاولى حينما كان طالباً بالمدارس الثانوية ونمت وكبرت حينما عاش فى فرنسا وتنسم نسيمها المشبع بالحرية والمساواة . أحب الفقيد الفن — والفن فى مصر ناقص مبتور تشوبه الرزائل ومنزلته دون منزلة

وبرزت فيه شخصيته القوية تامة كاملة . هو الوقت الذى خدم فيـه الفقيد الادب والتمثيل خدماته الجليلة

ونحن اذا عددنا تلك الفترة الزمنية القصـيرة بطور العمل فانما نقصد طور البدء فى العمل لان تلك المجهودات العظيمة التى صرفها فى هـذا الطور على كبرها وعظم نتيجتها لم تكن الا الخطوة الاولى التى خطاها فى سبيل مجده ، خطوة واحدة فى تلك الحياة خطاها وهو لم يتم العقد الثالث من عمره

لم يسـتطع الفقيد الرجوع الى أوربا عند أوبته الثالثـة الى مصر بسبب الحرب العظمى ولـكنه كان موطداً العزم على الرجوع الى فرنسا فى زمن السلم فشغل وقته بالمطالعة فى الآداب الفرنسية والعربية ، وكان أهمل الاخيرة حينما كان بفرنسا . ثم طرأت عليه فكرة الاشتغال بالزراعة فدخل مدرسة الزراعة العليا ولـكنه لم يمكث بها غير بضعة شهور حتى تركها لانه وجـد علومها مخالفة لاميالـه الادبيـة والفنية كل المخالفة

وفى أول سنى الحرب تكونت فى مصر جمعية أنصار التمثيل أسسها المرحوم الاستاذ عبد الرحيم المدرس بمدرسة السـعيدية سابقاً فانضم الفقيد اليها وكان صديقاً حميما لعبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل فى ذلك الوقت على اخراج رواية (الممثل دافيـد جرك) فساعدها فى تحضيرها وتمثيلها وان لم يشترك بنفسه فى تمثيل أى دور فيها . وكانت حفـلات السمر التى كان يقيمها النادى الاهـلى فى بدئها ، فظهر فيها الفقيد بالقاء

جديداً للتمثيل فكان يطلب منى دائماً أن أوافيه فى خطاباتى عن الحركة التمثيلية فى مصر والروايات الجديدة التى ألفت أو عربت فكنت أكتب له كثيراً عن ذلك خصوصاً عن الحركة الاصلاحية الكبرى التى قام بها الاستاذ جورج ابيض وانضم له فيها الممثلان الاديبان الاستاذ عبد الرحمن رشدى المحامى والكاتب الاديب فؤاد افندى سليم . فكان اعجابه بذلك شديداً . وحين عاد الى مصر تعرّف بهؤلاء الابطال واتصل بهم

لم يأت تيمور بمجهود كتابى حينما كان فى فرنسا بل اقتصر على المطالعة فكان يعد نفسه للعمل الجليل الذى بدأ به حين رجوعه الى مصر والذى منعه القدر من أن يتمه ، هذا اذا استثنينا بعض قطع نظمية فى وصف مصر وشوقه وحنينه اليها وبعض مقالات فى الاقتصاد السياسى نشرها فى المؤيد فى أول عهده بالاقامة فى فرنسا ومقالة فى الاهرام عنوانها الخوف من الحياة

الطور الثالث

الرجوع الى مصر (طور العمل)

هو أهم أطوار حياته وأظهرها أثراً ، هو طور العمل الناضج ونتيجة تلك الايام والسنين التى قضاها فى تكوين نفسه وتثقيفها . هو الزمن الذى نضج فيه فكره وتهيأت فيه مواهبه للوثوب الى الحياة والعمل فيها ،

ان تلك السنين القليلة التى صرفها تيمور فى أوربا وبالاخص فى فرنسا كانت ذات أهمية كبرى فى تكوينه النفسى ولا نخطىء اذا عددناها بعصر انتقاله . ان البيئة التى عاش فيها — بيئة الحرية والديمراطية والمساواة، بيئة الاستقلال فى الرأى والعمل والاعتماد على النفس ، بيئة الثورة الفكرية والعلم والنقد الصحيح ممزوجة بتلك المناظر الرائعة التى لا عهد له بها — قد أثرت فيه تأثيراً شديداً قامت على أثرها فى نفسه ثورة فكرية هائلة انتهت بذلك التطور الجديد الذى ظهر فى كتاباته نثراً ونظماً فيما بعد. والذى ساعد على تلك الثورة الفكرية انصرافه بشغف شديد للمطالعة فى آداب اللغة الفرنسية .كان قلبه فى ذلك الوقت يلتهب بنار الاصلاح للادب والمسرح المصرى وكانت خطاباته الىّ مفعمة بأرائه وأمياله فى سبيل ذلك. تفتحت عيناه فرأى بعين غير عين أمس ذلك النقص الهائل فى الادب العربى والمسرح المصرى فغير كثيراً من مذاهبه القديمة تيقن بخطئها وذلك مادعاه لاهمال كتاباته فى طوره الاول لانها كانت تحوى بعض آراء وأفكار دون فكره فى عصره الجديد . وان أهم فكرة اختمرت فى رأسه ومازالت تكبر وتتسع « فكرة تمصير الآداب » أى أن تكون ذات صبغة مصرية والوان محلية بحتة . والذى يقرأ قطعه النثرية ورواياته المسرحية يجد الصبغة المصرية فيها ظاهرة للعيان

أما أفكاره وأراؤه فى التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره فى الادب وازداد شغفه وميله اليه بعد أن رأى أهمية ذلك الفن فى فرنسا ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين وأمّل أن يرى فى مصر عهداً

الطور الثانى

حياته فى أوربا (عهد الانتقال)

نال الفقيد شهادة البكالوريا وقصد برلين ليتعلم الطب ومكث هناك شهرين ولكنه سافر منها الى فرنسا ليتعلم القانون لظروف خاصة لاداعى لذكرها . لم يكن فى الحقيقة ميالا لتعلم الطب أو القانون بل كان قلبه مشبعاً بحب الآداب ، وشهادة الآداب ليست بالشهادة التى ينظر اليها المصرى بعين الرضى . فاضطر الفقيد أن يدرس القانون بالرغم منه ولكنه فى الوقت نفسه كان يعمل للآداب فصرف جل وقته فى المطالعة نثراً ونظماً . مكث فى فرنسا متنقلا بين ليون وباريس ثلاث سنوات لم يتم فيها علم القانون وكان يصرف من كل سنة شهراً أو شهرين فى مصر بين عائلته فلما أن عاد ثالث دفعة وصرف كالمعتاد وقت الاجازة فى مصر وأراد الرجوع لاتمام دروسه أقفلت الحرب العظمى (سنة ١٩١٤) أبواب البحر والبر فاضطر الى المكوث فى مصر صاغراً ممللا النفس بانتهاءها ليتيسر له الرجوع حيث كان ولكن الحرب طالت فداخله اليأس والحزن على ضياع مستقبله وكانت هذه الفكرة متسلطة عليه لآخر أيام حياته ولكنه لم يكن يعلم انه كان يبنى مستقبلا زاهراً لنفسه بتآليفه . وان ذلك العمل الخالد الذى كان يقيمه — عمله فى الآداب لا فى الحقوق — كان سبب مجده وعظمته

تردده كثيراً منذ الصغر على جوق الشيخ سلامه حجازى لمشاهدة رواياته . ولكن علاقته بهذا الفن حينما كان صغيراً لم تكن قاصرة على مشاهدة الروايات فحسب بل على تأليف فرق تمثيلية عائلية كان هو بطلها ومؤلفها التمثيلى

هذا مجمل لتاريخ الفقيد فى طوره الاول أما الكلام على نثره ونظمه فى ذلك الوقت فكما يلى : مقالاته فى الجرائد وبالاخص فى المؤيد كانت حسنة الاسلوب ذات مواضيع اجتماعية وأخلاقية تهم الناس تمتاز بتلك الروح المنبئة بمستقبل جميل فى الكتابة والتحرير ونحن لا ننسى سلسلة مقالاته فى الوطنية التى شرح فيها معنى الوطنيـة الحقة وكيف يكون المصرى وطنياً بعمله لا بقوله ، ولا سلسلة تلك المقالات الانتقادية التى انتقد فيها كثيراً من عوائدنا الخبيثة . أما قصائده فكان يحتذى فيها حذو الاقدمين ويقيد نفسه بهم فلم تكن له شخصية ظاهرة فيها ولكنها كانت ذات أسلوب رشيق

كان نثره ونظمه فى ذلك الوقت يفوق كثيراً ما نقرأه اليوم من نثر ونظم لكثير من الطلبة والمحررين ولكن الفقيد أهمله اهمالا كبيراً بعد عودته من أوربا حتى لم نعثر على شىء منه فى أوراقه لانه كان يعده عملا ناقصاً لا أهمية له . والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين كتاباته قبل سفره وبعد رجوعه وهـذا يدل دلالة ساطعة على تأثير البيئة هناك على أفكاره وما اكتسبه من المطالعة فى الآداب الفرنسـية وتأثير امتزاجه بطبقة المتعلمين وغير ذلك مما سيأتى ذكره بعد حين

فكان يرى من أبيه قدوة حسنة يقتدى به واماما صالحا يحتذى حذوه وكان يسمع دائماً عن شهرة عمته السيدة عائشة هانم التيمورية ومقامها بين الشعراء وكان يحفظ وهو فى الثامنة من عمره معلقة امرئ القيس وبعض مقطوعات نظمية من شعر العرب بارشاد والده ومساعدته فنمت ملكة النظم وكبر ميله للآداب فاستطاع أن يقرض الشعر وهو فى العاشرة من عمره وبدأ يكتب المقالات فى الجرائد وهو لم يبرح المدرسة الابتدائية . وكان محباً للصحافة يصرف وقت العطلة فى تحرير الجرائد المنزلية التى كان يعدها تسلية له على تمضية الوقت . ولما انتقل الى المدرسة الثانوية وتوسع فى دراسة العلوم العربية من آداب ونحو وبلاغة وبيان ظهر على أقرانه وتفوق عليهم فى الانشاء . ولم يقصر نفسه على دراسة الآداب فى المدرسة بل كان يطالع دواوين الاقدمين خصوصاً ديوان المتنبى والمعرى وأبى نواس فتحسن أسلوبه فى النظم وارتقى فجعل ينظم غير قصائده الخصوصية قصائد الترحيب والتكريم للاعبى الكرة من المدارس المختلفة وكان يلقيها بنفسه فى المقاصف التى كانت تعدها المدرسة ، والفقيد وقتئذ أحد أفراد فرقة لاعبى الكرة لمدرسته ، وقصائد المدح والثناء والوداع لاساتذته فى نهاية السنين الدراسية حتى لقبوه الجميع « بشاعر المدرسة الخديوية » أما كتاباته فى الجرائد فكان يخص المؤيد بمعظم مقالاته

أما علاقته بالتمثيل فقد كانت قوية منذ الصغر فقد تمكن حب هذا الفن من فؤاده حتى صار جزءا منه والذى ساعده على تقوية هذا الميل

أطوار حياته

أن حياة الفقيد تنقسم الى ثلاثة أطوار قصيرة الامد. الطور الاول منزله ومدرسته (أى حياته الاولى فى مصر) والطور الثانى حياته فى أوروبا وبالاخص فى فرنسا. والطور الثالث حياته الثانية فى مصر (بعد رجوعه من أوروبا).

أما حياته الأولى فى مصر ففيها تكونت مواهبه ونمت وساعدها على هذا النمو البيئة المنزلية. أما حياته فى أوربا ففيها تفتحت أعينه للجديد النافع وتشربت نفسه بالديموقراطية العالية والمساواة وامتلأ قلبه بالمطامع والآمال — آمال الهدم والبناء، هدم القديم الرث من المذاهب اجتماعيةً كانت أو أدبية. وبناء الصالح النافع من الأنظمة والمذاهب الجديدة. وطوره الأخير كان طور العمل ففيه ظهرت كتاباته وروایاته التى سنأتى على شرحها ليعرف القارىء قيمة الفقيد ومقامه الادبى فى مصر وتأثيره الفعال فى تطور المسرح المصرى

الطور الاول

الفقيد ناثراً وناظماً

ان المواهب طبعية لاتزرع فى عقول الاشخاص بل تمنح لهم منحاً وتخلق معهم خلقاً ولعل للوراثة اكبر عامل فى تكوينها. وعلى هذا القياس أقول ان مواهب الفقيد الادبية تكونت بفعل الوراثة ثم نمت وكبرت بفعل البيئة المنزلية التى كانت أكبر مشجع ومساعد لها.

تاريخ حياته

فى الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ قضى الشاب النابه الاديب أمير المسرح المصرى محمد تيمور ولما يبلغ الثلاثين بعد . قضى وهو فى مبدأ حياة النضال والعمل وفى أول درجة من درجات مجده الذى بناه بعمله لا بحسبه . قضى وهو يسعى جهده فى سبيل تحقيق أمانيه الحلوة الطيبة أمانى الشباب العامل لاصلاح الادب المصرى والمسرح المصرى .

لم تكن تلك السنين القصيرة التى قضاها فى الحياة بكافية لان تنيله مبتغاه ولكنها كانت كافية لان تظهر شخصيته القوية النادرة التى كانت تنمو رويداً يغذيها ذلك الشعور العميق وتلك المواهب العقلية الثابتة .

ان أهم ما يعنى به المترجم فى كتابته تواريخ الحياة هو معرفة أطوار حياة الشخص المراد ترجمة حياته وتأثير البيئات التى عاش فيها واطلاعه على امياله صغيراً وشاباً ورجلا والأسباب التى ساعدت أو لم تساعد على نمو تلك الأميال فان مظاهر تلك الاميال فى حياة الشخص طفلا كان أو غلاماً لعلى جانب عظيم من الاهمية فى معرفة مواهبه العقلية وشخصيته الكامنة . ولعلى لو تتبعت ذلك السبيل فى ترجمة حياة الفقيد أمكننى أن أعرض للقراء صورة حقيقية لحياته .

محمد تيمور

حياته واعماله

بقلم شقيقه

محمود تيمور



محمد تيمور فى العقد الثالث من عمره

هيئوا لى فى باطن الأرض قبراً　　ودعونى أنام تحت التراب
فى ظلام القبور راحة نفسى　　ومن النور شقوتى وعذابى
وادفنوا فى التراب ديوان شعرى　　فوق قلبى المملوء بالأوصاب
فيه مكنون ما احتواه جنانى　　وعزيز فراق ذاك الكتاب
هو بعضى فهل أموت وأنسى　　فى ظلام الحياة نور شبابى

محمد تيمور

الى أخى

لم أقم يوم تأبينك لأقل كلمتى عنك لأننى فى كل يوم أؤبنك وأتحدث عنك بعبرة فائضة مستديمة . ولم اكتب على صحائف الجرائد رثاء لك لأن نفسى مازالت الى اليوم تكتب على صحائف قلبى رثاءك الطويل .

كنت شقيقى فأمتعتنى حيناً بحنوك وعطفك ، وكنت أستاذى فكونت نفسى بحسن ارشادك وتعاليمك ، وكنت صديقى فجعلت قلبى مستودع أسرارك ونفسى مستقر مطامعك .

فلن تبرح مخيلتى « يا شقيق » ما دام فى الدنيا حنو وعطف ، ولن يتضاءل شبحك من رأسى « يا أستاذى » ما دامت نفسى هى نفسى وشعورى هو شعورى ، ولن تفنَ ابتسامتك من قلبى « يا صديق » ما دامت أسرارك منقوشة على فؤادى ومطامعك ممزوجة بدمى .

الوداع .

شقيقك الباكى

محمود



محمد تيمور الصغير نجل المرحوم محمد بك تيمور

الطفل الذى لم يره أبوه

اهداء الكتاب

الى محمد تيمور الصغير

اليك يا بنى أهدى مؤلَّف أبيك ، اليك أهدى خلاصة نفسه ووميض روحه ، ذلك الكنز الخالد والارث الذى لا يفنى .

ان روحك مكملة لروحه ، ونفسك متممة لنفسه ، فانظر الى عمل أبيك الذى بدأه بعزم صادق ، وحقق آماله العالية التى كانت تختلج فى فؤاده .

سر فى سبيله مهتدياً برأيه مستنيراً بمطامعه ، وابنِ مستقبلك على ذلك الأساس الثابت الذى أفنى شبابه فى اقامته .

كلا كما لم ير صاحبه !

ولكنك سوف تراه من بين ثنايا سطوره ، وسوف يراك من خلف كلماته . سوف تشعر بنفسه فائضة من شعره ، وسوف يشعر بنفسك مشبعة بعواطفه . فامعن النظر فى هذه السطور والكلمات ، وأمزج بدمك جمال الفن وروعته ، وابدأ من حيث وقف ، وانتهِ الى حيث كان يطمع .

هكذا ستعرف أباك خالداً ، وسيعرفك عاملا ؟ المخلص

محمود تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب « وميض الروح » الصرح الأول من مجهود الشاب الراحل فقيد الأدب والمسرح المرحوم محمد تيمور ، أقدمه لجمهور الأدباء والفنيين صورة لشعلة نفسه ، وخلاصة لمجهود شبابه

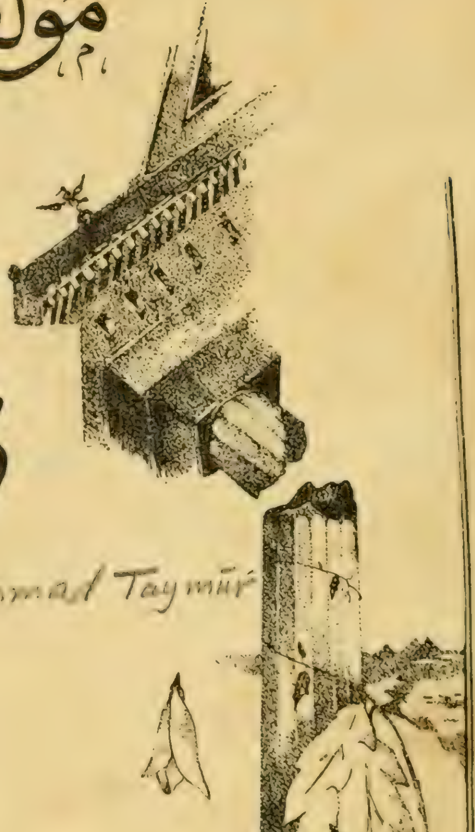
وقد ضمنته شعره ونثره ، وصدرته برسالة عن تاريخ حياته وشرح مؤلفاته ، يفهم منها القارئ نفس المؤلف فيستطيع أن يفهم أعماله ؟

١٣٤٠ الطبعة الاولى ١٩٢٢

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر

مؤلفات محمد تيمور

الجزء الاول



وميض الروح

لفقيد الادب والمسرح

المرحوم

محمد تيمور

